



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة  
**الدراسات الدعوية**  
مجلة علمية دورية محكمة

العدد الثالث عشر

ربيع الآخر ١٤٤٤هـ



## **المراسلات:**

تم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العنوانين التالية:

**المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢**

**هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٦**

**هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٣**

**بريد الجمعية الإلكترونية:**

**baserah@imamu.edu.sa**

**المشرف العام**

**د. شبيب بن حسن الحقباني**

**رئيس مجلس الإدارة**

**رئيس التحرير**

**أ. د. خالد بن هدوب المهيدب**

**أعضاء هيئة التحرير**

**أ.د. عبدالله بن إبراهيم الطويل**

**أ.د. خالد بن حسن العبري**

**د. طالب بن أحمد الهمامي**

**أ.د. سلطان بن عمر الحصين**

**أ.د. علي بن أحمد الأحمد**

**أمين المجلة**

**د. راشد بن محمد الجاسر**

ردمد: ١٦٥٨ - ٣٨٨٤

إيداع: ١٤٢٩ / ٩٢٤

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

## قواعد النشر

**أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:**

- ١-أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والخمسة والدراسات الإسلامية المعاصرة.
- ٢-أن يكون متسمّاً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- ٣-أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخرّج.
- ٤-أن تتحقق فيه السلامنة اللغوية.
- ٥-أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.
- ٦-أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.
- ٧-أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر بجهة أخرى.
- ٨-أن لا يكون مستنداً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

**ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:**

- ١-توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.
- ٢-ثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال:  
معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ٤٠٦).  
٣-توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

**ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.**

**رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:**

- ١-أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.
- ٢-يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين(العربية- والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

- ٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).
- ٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٦، وحجم خط الإحالات في المأمور بحجم ١٤ Traditional Arabic .
- ٥- أن يترك مسافة قدرها (٤٠٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (٢٠×١٢) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.
- خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠) ألفي ريال في حساب الجمعية.
- سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، و إرساله بالبريد الإلكتروني.
- سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.
- تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

## مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

وبعد:

انطلاقاً من حرص الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في مواصلة رسالتها العلمية في دعم وتأصيل الدراسات الدعوية الرامية لترسيخ مبدأ الوسطية السمحاء الذي قامت عليه المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها، والذي يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفق منهج قائم على نبذ الأفكار والأطروحات الخزية ، وبخلية المفاهيم المغلوطة عن الدعوة إلى الله تعالى والقائمين عليها ، وتقسم دراسات نوعية متخصصة ، وبفضل الله تعالى فقد اشتمل هذا العدد (الثالث عشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

- ١) العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.
- ٢) مسؤولية الدعاة في المملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا.
- ٣) المسائل والدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٤) المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠).
- ٥) معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام في القرآن الكريم دراسة نظرية.
- ٦) معاجلات التطرف في السنة النبوية.

نتطلع أن تكون هذه الأبحاث العلمية إضافة مميزة للعاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى ، والباحثين والمتخصصين في مجال الدعوة.

وبهذه المناسبة فإننا نحيب بالعلماء والباحثين والمتخصصينتناول الموضوعات

الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد  
الجمعية الإلكترونية baserah@imamu.edu.sa، وفق اشتراطات  
النشر العلمي،،،  
وفقنا الله وإياكم لكل خير ...

رئيس هيئة التحرير

أ. د خالد بن هدوب المهيدي

البحث رقم (١)

## العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد

د. أمل بنت محمد العجلان

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة

بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## المقدمة

إن الحمد لله نحْمَدُه ونستعينُه ونستغفِرُه، وننحوذ بالله من شرور أنفسنا وسَيَّئاتِ أَعْمَالِنَا ، من يهدِّه الله فَلَا مُضْلِلُ لَهُ ، وَمَن يُضْلَلُ فَلَا هَادِي لَهُ ، وأَشَهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وأَشَهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُقَاتِلُهُ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

قال تَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ تَنْجِسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup> .

قال تَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>(٣)</sup> يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤)</sup> .

أَمَّا بَعْدُ :

فَلَقَدْ كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(٥)</sup> وَرَأَيْتَ النَّاسَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيات: ٧١-٧٠.

(٤) هذه خطبة الحاجة كما في حديث عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — قال: علمنا النبي ﷺ خطبة الحاجة (الحمد لله نحْمَدُه ونستعينُه)، وقد صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ، ص ٣٠٦ [كتاب النكاح،

باب في خطبة النكاح] حديث رقم (٢١١٨)، ص ٣٦٨.

يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِلَهُ وَ

كَانَ تَوَابًا ﴿٢﴾<sup>(١)</sup>، من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم، مما يدل على الجهد العظيم الذي بذله المصطفى ﷺ حتى تحقق له مراد ربه، فأخرج الأمة من الظلمات إلى النور، وهداها إلى صراط مستقيم، واليوم تشتد الحاجة لإنقاذ الأمة، وإبعادها عن ظلمات الجهل والتخلف إلى نور العلم والإيمان.

ومن أجل ذلك فقد اجتهد الدعاة والمصلحون لتحقيق هذا المهد العظيم وتنوعت أساليبهم ووسائلهم واجتهاداتهم الدعوية وفقاً لذلك، ولذا كان من الصفات الواجب توفرها في الدعاة ليقوموا بهذه المهمة الكبيرة والشرف العظيم إظهار العزة في الدعوة.

### أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تأتي أهمية الموضوع من ارتباطه بثلاثة جوانب عظيمة هي:

- القرآن والسنة النبوية المطهرة، فهما الوحي المعصوم، ومصدر الشرع، وهداية الله للعالمين.

- الدعوة، وقد تولاها الله بنفسه حيث قال تعالى: في سورة يونس: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو أَنَّ إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، ثم جعلها وظيفة الأنبياء والمرسلين حين قال عزوجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّلْمَوْتَ﴾<sup>(٣)</sup>، بل إنها من أحسن الأقوال وأشرفها بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّنْ دَعَاءٍ إِلَىٰ اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنْ

(١) سورة النصر، الآيات: ٣-١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ، كما قد ربط خيرية هذه الأمة بقيامها بهذا الواجب في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءاْمَنَ أَهْلُ الْكِتَابَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِيقُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

- العزة، وهي صفة من صفات الداعية، كما أنها يمكن أن تكون من الأساليب الناجحة في الدعوة، ولأهمية التزام الداعية بتلك الصفة أو اتخاذه هذا الأسلوب رأيت أن أذكره هنا، كما أن هناك توافق بين معنى العزة والدعوة إذ من العزة أن يقوم المسلم بإظهار دينه والدعوة إليه، ومن أساليب الدعوة إظهار العزة، وهذا تكون العلاقة بين الدعوة وإظهار العزة علاقة عموم وخصوص.

أما عن أسباب اختيار الموضوع فتكمن فيما يلي:

- عدم وضوح المفهوم الشرعي للعزّة في الدعوة مما يجعل بعض الدعاة يخلون عن تلك الصفة، لذا ساغ ذكر مشروعية العزة وأنواعها وضوابطها، ثم أثرها على الدعوة.

- تطلعت في واقع عالمنا الإسلامي، فوجدت أن بعض المسلمين قد ضعفوا أو استكناوا، وتسلطت عليهم قوى البغي والعدوان، وتداعت عليهم قوى الباطل كتداعي الأكلة إلى قصتها كما أخبر الصادق الأمين ﷺ حين قال: ((يوشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثیر، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولینزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، ولیقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله ، وما الوهن؟ قال: حب

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣: .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠: .

الدنيا وكراهية الموت)<sup>(١)</sup> ، ولابد للمسلم من إبراء ذمته بالمشاركة للتخلص مما أصاب هذه الأمة من ضعف.

- إغفال عدد من كتبوا في مجال الدعوة للعزة كصفة يجب أن يتحلى بها الدعاة أو كأسلوب في الدعوة.

### ثانياً: أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى ما يلي:

- توضيح السند الشرعي للعزة في الدعوة.
- بيان أنواع العزة في الدعوة.
- إبراز ضوابط العزة عند الدعاة.
- إلقاء الضوء على آثار العزة على الدعوة.

### ثالثاً: الدراسات السابقة :

باستعراض الدراسات السابقة في هذا المجال لاتكاد توجد دراسة علمية متخصصة في موضوع العزة في الدعوة ، لكن هناك من الدراسات تحدثت عن جوانب نفسية أخرى في الدعوة كتأليف القلوب في الدعوة<sup>(٢)</sup> ، والفتور في حياة الداعية<sup>(٣)</sup> ، والإيجابية في حياة الداعية<sup>(٤)</sup> .

(١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمة الله، حديث رقم (٤٢٩٧٠)، ص ٧٦٩.

(٢) تأليف القلوب في الدعوة لعبد العزيز الروضان: ١٤١٩ هـ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام.

(٣) الفتور في حياة الداعية لعثمان محمد دفع الله، مجلة معلم الدعوة الإسلامية في جامعة أم درمان

(٤) الإيجابية في حياة الداعية محمد أحمد الراشد، دار البشير، جدة.

وكل هذه البحوث وغيرها وإن كانت في نفس المجال إلا أنها لم تتناول موضوع الدراسة وهو العزة ، مما يثبت أن هذا الموضوع لم يحظ حتى الآن باهتمام الباحثين في تحصص الدعوة ولذلك يرجي أن تقدم مثل هذه الدراسة المقترحة إضافة جديدة لمكتبة التخصص وخدمة للباحثين في هذا المجال .

#### رابعاً: تساؤلات الدراسة:

في هذه الدراسة ستسعى الباحثة إلى الإجابة على مجموعة من التساؤلات تمثل الإجابة عليها في النهاية أهداف البحث، وهذه التساؤلات هي :

- ما مشروعية العزة؟

- ما أنواع العزة؟

- ما الضوابط الشرعية للعزّة عند الدعّاة؟

- ما آثار العزة في الدعّوة؟

#### خامساً: منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة وصفية، لأنها تستهدف وصفاً لظاهرة ما سواء كانت في صورة كيفية أو كمية، وتحتم بوصف الأوضاع والأحوال القائمة في مجتمع ما<sup>(1)</sup> ، والظاهرة التي تسعي الباحثة لدراستها هي العزة في الدعّوة وفي إطار هذا النوع من البحوث ستستخدم الباحثة المنهج الوثائي الذي هو الجمع المتأني والدقيق للسجالات و الوثائق ذات العلاقة بموضوع و مشكلة البحث ومن ثم التحليل الشامل لحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل

(1) انظر: أساليب ومنهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية لأحمد الصباب، دار البلاد، جدة، ط ٣: ٤١٩، هـ، ص ٤٥.

بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث الأصلية<sup>(١)</sup>، وسيكون ذلك بالعودة للمصادر الأصلية التي اهتمت بالعزّة في الدعوة وأبرز آثارها.

### سادساً: التعريف بمفردات عنوان البحث:

#### أولاًً: العزّة

في اللغة: تأتي العزّة بمعنى المشقة، وتأتي بمعنى الأنفة والحميّة كما وتأتي بمعنى التشدد والتكبير، وتأتي أيضاً بمعنى الغلطة<sup>(٢)</sup> مما سيرد ذكره في أنواع العزّة من حيث المعنى<sup>(٣)</sup>.

في الاصطلاح: لم تجد الباحثة خلال اطلاعها من قام بالتعريف الاصطلاحي لمعنى العزّة إلا من خلال تكرار وإعادة ما تم ذكره في المعنى اللغوي كالقول بأن العزّة هي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب<sup>(٤)</sup>، أو بأنها القوّة والغلبة والحميّة والأنفة<sup>(٥)</sup>.

#### ثانياً: الدعوة

في اللغة: تأتي الدعوة بمعنى النداء والطلب والدعوة للطعام والدين أو المذهب حقاً كان أم باطلأ<sup>(٦)</sup>.

#### في الاصطلاح:

تطلق الدعوة في الاصطلاح ويراد بما أحد هذه المعاني:

(١) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية للدكتور صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٦، ص ١٤١٦.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ط١، بيروت، ج ٥، ص ٣٧٤.  
(٣) كما في صفحة ٣٢.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج ١٥، ص ٢١٩.

(٥) المعجم الوسيط، جمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ج ٢، ص ٥٩٨.

(٦) انظر: لسان العرب لابن منظور، ج ٤، ص ٢٥٧.

أولاً/ الدين: ومنه تعريف الأستاذ محمد الرواوى في كتابة الدعوة الإسلامية دعوة عالمية بأن الدعوة إلى الله هي دين الله الذى بعث به الأنبياء جيئاً، تحدد على يد محمد ﷺ خاتم

النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدين والآخرة <sup>(١)</sup>.

ومنه أيضاً تعريف الدعوة في كتاب التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته فقال إن الدعوة هي نداء الحق للخلق ليوحدوا العبود ويعبدوا الواحد حنفاء لله غير مشركين به متبعين غير مبتدعين <sup>(٢)</sup>.

ثانياً/ النشر والتبلیغ: ومنه تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- للدعوة : هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسالته بتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا . وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، والبعث بعد موته ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه) <sup>(٣)</sup> .

ثالثاً: التعريف الاجرائي للعزّة في الدعوة :

كافحة الأعمال والأقوال والأحوال التي يقوم بها الداعية ليرفع نفسه ودعوته عن كل أسباب الذل والمهانة.

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الرواى، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣٩١٤١١هـ، ص٣٩.

(٢) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي أبو السعود، دار التوفيق، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٢.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، ط ١ : ١٤١٦هـ ، ج ١٥ ، ص ١٥٧.

## سابعاً: تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وتشمل على:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- تساؤلات الدراسة.
- منهج الدراسة.
- التعريف بمفردات عنوان البحث.
- تقسيمات الدراسة.

## المبحث الأول: مشروعية العزة.

المطلب الأول: منزلة العزة في الإسلام.

المطلب الثاني: طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة.

المبحث الثاني: أنواع العزة.

المطلب الأول: أنواع العزة من حيث المعنى.

المطلب الثاني: أنواع العزة من حيث المصدر.

المطلب الثالث: أنواع العزة من حيث المدح والذم.

المبحث الثالث: ضوابط العزة في الدعوة.

المطلب الأول: الاعتماد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة

وإجماع عند الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: ضرورة أن تقوم العزة على العلم والبصيرة عند الدعوة إلى الله.

المطلب الثالث: ضرورة مراعاة الحكمة في العزة عند الدعوة إلى الله.

## المبحث الرابع: أثر العزة على الدعوة

المطلب الأول : وجوب تحديد مفهوم العزة

المطلب الثاني : الوضوح في الدعوة

المطلب الثالث : العزة بحسب المقدرة

المطلب الرابع : مشروعية المجررة عند الحاجة إليها

المطلب الخامس : كسب الرزق

المطلب السادس : الحرص على تحبيب الدعوة بالعزّة

المطلب السابع : الولاء والبراء

المطلب الثامن : فتح باب الأمل بالتوبه

المطلب التاسع : الستر عند الخطأ

المطلب العاشر : الحوار مع المدعو

الخاتمة:

النتائج والتوصيات

## المبحث الأول

### مشروعية العزة

توطئة:

لقد جاءت بعض الشواهد الشرعية الدالة على مشروعية العزة ، سواءً كانت شواهد قرآنية تشمل على صفة العزة صراحة أم ضمناً، أو أحاديث شريفة قولية كانت أم حكاية عن أفعال يرويها أحد الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم ..

وستذكر الباحثة هذه الشواهد لتكون بمثابة مقدمات وإرشادات لبيان منزلة العزة في الإسلام، ثم تبين طرق القرآن الكريم والسنّة النبوية في تقرير هذا الأمر العظيم على النحو

التالي:

**المطلب الأول: منزلة العزة في الإسلام:** وتحتوي على أربعة مسائل:

- ١ ارتباط العزة باسم من أسماء الله الحسنى.
- ٢ العزة صفة من صفات القرآن الكريم.
- ٣ العزة صفة للرسول ﷺ وسائر المؤمنين.
- ٤ كثرة ورود العزة في القرآن والسنة.

**المطلب الثاني: طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة:** وتحتوي على عدة طرق:

- ١ أسلوب النهي الصريح عن المهانة والذلة.
- ٢ أسلوب الأمر بالطريق الذي يؤدي إلى العزة.
- ٣ أسلوب الأمر بما يستوجب العزة.
- ٤ أسلوب استعراض الأمم السابقة التي استجابت لدعوة الحق واستشعرت العزة.

## المطلب الأول

### منزلة العزة في الإسلام

#### المسألة الأولى: ارتباط العزة باسم من أسماء الله الحسنى

ارتبطت العزة باسم من أسماء الله الحسنى، فالله هو العزيز وهو المعز، لأنه الغالب لكل شيء، بل هو الذي ليس كمثله شيء، وإذا كان سبحانه هو الموصوف بالعزّة التامة المطلقة فهو الذي يهب العزّ لمن يشاء من عباده، وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- أن عزة المولى سبحانه متضمنة لعزّة القوّة، وعزّة الامتناع، وعزّة القدرة والغلبة<sup>(١)</sup>.

وما يُعلم أن لكل اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته تأثيراً معيناً في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتطلبه استشعر ذلك وتحاوب مع هذه المعاني، وانعكسـت هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه، فالعبد الذي يعلم أن الله هو العزيز والمعز، يعلم أن الله مانعه من أعدائه، ولن يصلوا إليه إلا بإذنه تعالى، فلا يذل ولا يخنـع لـكـافـر، لأن الذلة للمخلوق ليست من أخلاق المسلمين أو صفاتـهـ، فمن تولـاهـ اللهـ وكانـ فيـ حـمـاهـ لا يـصـحـ أنـ يـنـكـسـ رـأـسـهـ أوـ يـهـبـطـ عنـ المـسـتـوـيـ الرـفـيعـ الـذـيـ وـضـعـهـ اللهـ فـيـهـ.

كما أن على المسلم أن يسعى للاتصال والتخلـي بـذـاتـ الصـفـةـ (ـالـعـزـةـ)، على ما يليـقـ بهـ، فـذـلـكـ يـقـويـ عـزـيمـتهـ، وـيرـفعـ معـنـوـيـاتـهـ، وـيـشـعرـ أنـ اللهـ سـنـدـهـ، فـيمـضـيـ فيـ حـيـاتـهـ مـرـفـوعـ الرـأسـ، مـعـتـزاـ بـرـيهـ، فـهـوـ فيـ مـعـتـكـ الحـيـاةـ وـبـيـنـ مشـكـلاـتـهـ الـمـتـعـدـدـةـ يـحـتـاجـ لـمـنـ يـعـزـهـ وـيـشـدـ منـ أـزـرـهـ، وـلـذـلـكـ كـانـتـ عـزـةـ اللهـ لـلـمـؤـمـنـينـ خـيـرـ سـنـدـ وـأـفـضـلـ عـونـ تـشـدـ منـ أـزـرـهـمـ وـتـقوـيـ عـزـيمـتـهـمـ.

(١) انظر: نـزـهـةـ الأـعـيـنـ النـواـظـرـ لـابـنـ القـيـمـ، مـؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ، بـيـرـوتـ، طـ٢ـ، ٤٠٥ـ، ٥١ـ، صـ٤٣ـ.

## المسألة الثانية: العزة صفة من صفات القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو منهج الإسلام، فمن اتبعه اهتدى في طريقه ونجح في دعوته وعصمه

الله من الضلال، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾<sup>(١)</sup>

بل لقد وصفه الله عز وجل بالعزّة فقد أعزه لأنّه كلامه وحفظه من الباطل، قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ وَلَكِتَبٌ عَزِيزٌ﴾<sup>(٢)</sup> ، يقول الطبرى - رحمه الله - : (وإن هذا الذكر لكتاب

عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلاً أو تحريفاً أو تغييرًا من إنسى وجي

وشيطان مارد)<sup>(٣)</sup> ، فعزيز أي يصعب مناله وجود مثله، فهو منيع الجناب، لا يستطيع أحد

أن يأتي بمثله، فلا الشيطان يستطيع أن يأتي بمثله، وممتنع عن الناس أن يقولوا بمثله، لأن

كل عزيز نفيس.

## المسألة الثالثة: العزة صفة للرسول ﷺ وللمؤمنين:

مدح القرآن الكريم الرسول ﷺ ومؤمني هذه الأمة حين وصفهم بالعزّة، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

حيث يأتي الله سبحانه ورسوله والمؤمنين إلى جانبه ويضفي عليهم من عزته، وهو تكريم عظيم لا يكرمه إلا الله، وأي تكريم بعد هذا التكريم!!

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤١.

(٣) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن للطبرى، دار هجر للطباعة، مصر، ط ١٤٢٢: ١٤٢٠، ج ٢٠، ص ٤٤٣.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

وهذا يوضح كلام ابن كثير - رحمه الله - حين قال: (أَخْبَرَ تَعْالَى بِأَنَّ الْعِزَّةَ كُلُّهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَمْ يَجْعَلْهَا لَهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ قُولِهِ ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>).  
 كما وصفهم أيضاً بـ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكُفَّارِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، أي جانبهم لين على المؤمنين غليظ على الكافرين، ويترفعون كذلك عن الاعتناء بما عند الكافرين من العزة الكاذبة التي لا يعبأ بأمرها الدين، كما أدب الله تعالى بذلك نبيه الكريم في قوله عز وجل: ﴿لَا تَمْدَنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَرْوَاحَ جِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (هذه صفات المؤمنين الكامل أن يكون أحدهم متواضعاً لأحياء ووليه متعززاً على خصمه وعدوه)<sup>(٤)</sup>.

#### المسألة الرابعة: كثرة ورود العزة في القرآن والسنّة:

يكثّر ورود العزة في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، ويتنوع هذا الورود، فقد يأتي بلفظ العزة ومعناها أحياناً، أو بمعنى العزة دون لفظها أحياناً أخرى، ومن ذلك :

**أولاً: النصوص التي ورد فيها لفظ العزة و معناها:** ورد في القرآن الكريم العزة كاسم من أسماء الله الحسنى في سبعة وثمانين موضعاً، وقرن بالحكيم في سبعة وأربعين موضعاً، وقرن

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار ابن حزم، بيروت، ط ١٤٢: ٥٤٣، ص ٥٤٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ١٠٥١.

بالعليم في ستة مواضع، وبالرحيم في ثلاثة عشر، وبالقوى في ستة مواضع، وبالغفار وبندي

انتقام والحميد ثلاثةً ثلثاً، وبالغفور مرتين والوهاب والمقتدر والجبار مرة .<sup>(١)</sup>

كما ورد إثبات العزة كلها لله في أربعة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

يَتَّخِذُونَ الْكُفَّارِ إِلَيْهِمْ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ

الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup>، وورد بلفظ رب العزة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ

الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وجاء القسم بعزة الله في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَيُعَزِّزُكَ

لَا عُوْيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ولم يرد المعز بلفظ الاسم، وإنما جاء بلفظ الفعل في قوله

تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْذِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.



(١) شرح أسماء الله تعالى الحسنى لحصة عبد العزيز الصغير، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ، ص ١٧٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

(٤) سورة ص، الآية: ٨٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

ثانياً: النصوص التي ورد فيها معنى العزة دون لفظها، وهي كثيرة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

### ١ - الأمر بالصدع بالدعوة:

قال ابن القيم - رحمة الله - : وأقام بعد ذلك ثلاط سنين يدعى إلى الله تعالى مستخفياً، ثم أنزل عليه ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، فأعلن بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين<sup>(٢)</sup> ، والصدع فيه معنى القوة والوضوح والصلابة، وهكذا المسلم حينما يدعو إلى ربه دعوة الواثق من قوله فهو يعلو بدعوته، بل ويرفع بها صوته، لا يخجل ولا يستحي من عرض دينه أو الحديث عنه.

٢ - المضي قدماً في الدعوة رغم المساومات. ومن ذلك الحوار الذي دار بين النبي ﷺ وسيد من سادات مكة وذلك في بداية الدعوة الإسلامية، فيروي ابن هشام في السيرة أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال له: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السعة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعابت به آهاتهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها، فقال النبي ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع، فقال له عتبة ما قال، حتى إذا فرغ قال له: أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال:

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) زاد المعاد لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٣: ١٤٠٦ـ، ج ١، ص ٨٦.

فاسمع مني، قال: أفعل. فأخذ الرسول يتلو من سورة فصلت، حتى انتهى إلى الآية ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذِرْتُكُمْ صَلْعِقَةً مِثْلَ صَلْعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾<sup>(١)</sup>

﴿أَنذِرْتُكُمْ صَلْعِقَةً مِثْلَ صَلْعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد كان تصميماً رسول الله ﷺ على المضي في الدعوة تصميماً قوياً يقطع جميع أنواع التردد والمساومات، حيث عرض عليه عدة أمور هي الملك والمال والسيادة والجاه والدواء، وكلها عروض سخية جداً لا يستطيع أن يقاومها صاحب دنيا ولا يمكن أن يردها عاقل إن كان باحثاً عن متاع الدنيا وزينتها، إذ يخبره أنه ماضٍ بدعوه رغم تلك المساومات لأنَّهنبي لا مدع للنبوة ولا طالب ملك ولا رئاسة ولا مال، وأنَّ ما يأتيه هو الملك من عند الله سبحانه، فيرجع بعدها عتبة مذعوراً متعجبًا من تلك الأنفة والكرياء والعزة حتى قال قومه إنه عاد بغير وجهه الذي ذهب به فقالوا.. (سحره والله محمد) حقاً إنَّها القوة المستمدَة من عزَّة الله عزَّ وجلَّ.

### ٣- بذل الجهد في كسب العيش للاستغناء عن الناس. قال رسول الله ﷺ : (ما

من نبي إلا وقد رعى الغنم<sup>(٣)</sup> ، رعى الأنبياء للأغnam منذ صغرهم، واعتمادهم في مكبسهم على أنفسهم يشعر بأهمية اعتماد الداعية إلى الله على نفسه، وأن لا يتعلَّق بما في أيدي الناس، لأنَّه لو تعلَّق أو مالت نفسه إلى ما في يد غيره لجامله<sup>(٤)</sup> وخضع له وهان عنده، والدعوة لا خضوع فيها، أو مهانة، فالداعية يرتأي بنفسه أن يعيش على صدقائهم وأعطياتهم، ولن يتقبل الناس من ذل عندهم أو خضع. ومنه ما ذكره البخاري - رحمة الله - في باب

(١) سورة فصلت، الآية: ١٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، مؤسسة علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، حديث رقم (٢٢٦٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٥: ٤٢٨، ٥١٤، ص ٤٠٣.

(٤) فقه السيرة لزيد الزيد، دار التدمرية، الرياض، ط ٣، ٤٢٨، ٥١٤، ص ٧٦.

ما قيل في الرماح: (وجعل رزقي تحت ظل رمي) <sup>(١)</sup> ثم قال ابن حجر - رحمه الله - في هذا الحديث إشارة إلى فضل الرمح وإلى حل الغائط لهذه الأمة وإلى أن رزق النبي ﷺ جعل فيها لا في غيرها من المكاسب، ولهذا قال بعض العلماء إنها أفضل المكاسب، ثم قال: والحكمة في الاقتصار على ذكر الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف أن عادتهم جرت يجعل الرaiات في أطراف الرمح، فلما كان ظل الرمح أسبغ كان نسبة الرزق إليه أليق <sup>(٢)</sup>. ولذا فلا شك أن الذي يعين الداعية على إظهار تلك العزة هو أن يملك زمام نفسه، ويطلب رزقه بنفسه، وأن يتغلب على هواه، ويسطير على شهواته وأن يؤثر ما عند الله على ما عند الناس، وأن ييأس مما في أيديهم، فإذا ما كان كذلك استطاع أن يعتز بدنيه وبجهر بكلمة الحق دون أن يخشى من الناس.

**٤- إظهار العزة عند الجهاد:** كما حرم الإسلام على المسلم أن يهون أو يستذل أو يستضعف وأمره بإظهار العزة والإباء والكرامة، فإن أولى مكان وזמן لظهور فيه تلك الخلة واضحة هو الجهاد.

ولذا فقد حذر عليه الصلاة والسلام من عاقبة الذل والهوان عند ترك الجهاد بقوله: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلة لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) <sup>(٣)</sup>، فليس المراد في هذا الحديث الشريف ذم من اشتغل بالحرث واهتم بالزرع وإنما المراد ذم من اشتغل بالحرث ورضي بالزرع حتى صار ذلك أكبر

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح، حديث رقم (٢٩١٣)، ص .٥٣٦

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ج ٦، ص .٩٨

(٣) سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة، وصححه الألباني، حديث رقم

.٦٢٣ (٣٤٦٢)، ص .٦٢٣

همه وقدم هذا الانشغال بالدنيا على الآخرة، وعلى مرضاه الله تعالى، لاسيما الجهاد في سبيل الله وترك ما يكون به إعزاز الدين فلم يجاهد في سبيل الله بماليه ولا بنفسه ولا بلسانه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَذْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ظهرت تلك القوة والشدة والغلبة جلية في غزوات النبي ﷺ أثناء جهاده مع المشركين في العزة والإقدام على الجهاد ثم في العزة أثناء الجهاد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر. ما ذكر في غزوة أحد حين عصا الرماة أمر الرسول ﷺ وانقلب الدائرة على المسلمين، وصعد رسول الله ﷺ فوق جبل أحد، وأشرف أبو سفيان فقال أفي القوم محمد؟ فقال الرسول ﷺ (لا تجيبيوه) فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: (لا تجيبيوه) فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر -رضي الله عنه- نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقي الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: أعلى هيل، فقال النبي ﷺ : (أجيبيوه) قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. قال النبي ﷺ (أجيبيوه) قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولي لكم، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر وال Herb سجال<sup>(٢)</sup> وأبو سفيان لم يتوقع أن يكونوا أحياء ولا يجيبيوه بما يعرفه عنهم من عزة وغلبة وشدة، ثم بقوله ﷺ أجيبيوه إظهار عزة المسلم كخلق من أخلاق الرسول ﷺ وافتخاره، بما يحمله من عقيدة دون فخر أو استعلاء.

(١) سورة التوبه، الآية: ٣٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث رقم (٤٠٤٣) ص ٧٣٤.

ويمثل ذلك نستدل بما حديث في غزوة حنين في السنة الثامنة كما في صحيح البخاري  
كان يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) <sup>(١)</sup>.

**٥- قيام الصحابة بما يدل على العزة:** إن المتأمل لمعنى العزة بفهم صحابة رسول الله -رضي الله عنهم- والتابعين لهم بإحسان وإدراكهم لمعنى العزة وفقاً لمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ليجد فيها العزة الواجب الاتصاف بها ، ومن ذلك :

- الحرص على إسلام عمر الفاروق -رضي الله عنه- : فقد روى عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قوله: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر) <sup>(٢)</sup>. كما قال ابن مسعود -رضي الله عنه- (ما كنا نقدر أن نصلِّي عند الكعبة حتى أسلم عمر)، وقال صهيب -رضي الله عنه-: (ما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعاه إليه عازنية، وجلسنا حول البيت حلقاً وطفينا بالبيت وانتصفنا من غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به) <sup>(٣)</sup>.

وفي ذلك مشروعية إغاثة الكافر وإدخال الكعبة والحرن عليه، ولكن بدون اعتداء عليه، فإن عمر -رضي الله عنه- بادر إلى الجهر بالإسلام والصلوة بجوار الكعبة فأصاب قريشاً من ذلك كآبة وحزن وأسى لا يوصف، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ <sup>(٤)</sup>، ويقول عز وجل ﴿يُعِجِّبُ

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حَنَينٍ إِذْ أَعْجَبْتُكُمْ كَثُرُوكُمْ﴾ ،  
حديث رقم (٤٣١٥)، ص ٧٧٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، حديث رقم (٣٦٨٤)، ص ٦٧٠.

(٣) روضة الأنوار لصفي الرحمن المبار كفوري، مكتبة دار السلام، الرياض، ط ٣، ١٤٢٤ هـ، ص ٥٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

**الْرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**<sup>(١)</sup>. ولقد كان لمنزلة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومكانته وما عرف عنه من قوة الشخصية السبب الأكبر لحرص النبي ﷺ عليه، فقد كان يدعو الله سبحانه وتعالى دعوة خاصة لعمر وأبي جهل أن يهدي إلية أحبهما للإسلام، فعن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب، قال وكان أحبهما إليه عمر) <sup>(٢)</sup> وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب) <sup>(٣)</sup>.

بـ- وقوف المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - على رأس رسول الله ﷺ لما قدم عليه رسول قبيلة قريش قبل صلح الحديبية، يقول ابن حجر - رحمه الله - : فيه جواز القيام على رأس الأمير بالسيف بقصد الحراسة ونحوها، من ترهيب العدو ولا يعارض النهي عن القيام على رأس الحالس ونحوها، لأنه محله ما إذا كان على وجه العظمة والكرياء <sup>(٤)</sup>.

قال الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - : فالقيام على الرجل منهى عنه، اللهم إلا إذا دعت الحاجة لذلك، كأن يخاف أن يعتدي عليه أحد فلا بأس أن يقوم عليه القائم، وكذلك إذا قام عليه الرجل إكراماً له في حال يقصد فيه إكرامه وإهانة العدو مثل ما حصل من المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - في صلح الحديبية<sup>(٥)</sup>. ومثل ذلك أيضاً في صلح

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سنن الترمذى، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، رقم الحديث: (٣٦٨١)، مكتبة المعرفة، الرياض، ط١، ص٨٣٥، وقد صححه الألبانى.

(٣) سنن ابن ماجه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٠٥)، مكتبة المعرفة، الرياض: ط٢: ٤٢٩هـ، ص٣٤، وقد صححه الألبانى.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٥، ص٣٤٠.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ج١، ص٢٦١.

الحدبية ما فعله الصحابة . رضوان الله عليهم . حيث كان عليه الصلاة والسلام إذا تنفس  
تلقوا نحامته بأيديهم ثم يمسحون بها وجوههم وصدورهم<sup>(١)</sup> مع أنهم ما كانوا يفعلون ذلك  
في العادة لكنهم رغبوا من ذلك إظهار عزة النبي ﷺ وإغاظة العدو بذلك .

### ج- موقف أم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - مع والدها:

بعد أن نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية قدم أبو سفيان  
إلى المدينة لمحاولة تجديد العهد وتوثيقه، فذهب ليت ابنته أم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله  
عنها - زوج النبي ﷺ ، وعندما هم بالجلوس على فراش الرسول ﷺ سحبته أم حبيبة من  
تحته وطوطه بعيداً عنه، فقال أبو سفيان: أراغبة بهذا الفراش يا بنتي عني؟ أم بي عنه، فأجابته:  
بل به عنك لأنك لأنه فراش الرسول ﷺ؛ وأنت رجل نحس غير مؤمن، فغضب منها وقال أصابك  
بعد شر فقالت: لا والله بل خير، فهذه المرأة المؤمنة أعطت أباها المشرك درساً في الإيمان  
وهي أن عزة الانتساب لهذا الدين فوق كل عز وشرف، وكما أصاب هذا الموقف أبا سفيان  
بالخيبة فقد خاب مسعاه أيضاً عندما قابل الرسول ﷺ وأبي عليه تجديد الصلح فعاد إلى  
مكة، ولم يتحقق ما يريد.

د- التحمل عند مقابلة الوفود، فقد تزايدت الوفود على رسول الله ﷺ، حتى زادت  
على السبعين وفداً، حسب ما ذكره عامدة أهل السير، فمنهم من يريد رد السباب واللأذى،  
ومنهم من جاء يريدأخذ الأمان لنفسه ولقومه، ومنهم من جاء يباهي أو يفاخر أو يناظر  
أو يجادل، ومنهم من جاء ليبني رغبته في الإسلام، ومنهم من جاء مسلماً ويرغب أن  
يعرف تعاليم الإسلام<sup>(٢)</sup> . وقد كان الرسول ﷺ يقابل هذه الوفود بما جبله الله عليه من  
البشاشة والكرم والأخلاق الفاضلة، فيجيزهم بما يرضيهم ويرغبهم في الإسلام، ويعلمهم

(١) انظر: روضة الأنوار لصفي الرحمن المباركفوري، ص ١٤٠ .

(٢) انظر: روضة الأنوار لصفي الرحمن المباركفوري، ص ١٨٩ .

الإيمان والشرع ليعلموا من خلفه<sup>(١)</sup>. فقد ورد في صحيح البخاري - رحمه الله - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ جبة من حرير تباع فأتى بها النبي ﷺ، فقال يا رسول الله، اشتري هذه تتحمل بها للعيد والوفود، فقال: (إنما هذه لباس من لا خلاق له)<sup>(٢)</sup>. والشاهد من الحديث عدم إنكار النبي ﷺ على عمر - رضي الله عنه - قوله تتحمل بها للعيد والوفود، ففيه مشروعية التجمل للعيد وللجمعة وللقاء الوفود والرؤساء والأعيان. كما أن الاهتمام بلبس الشياط الجميلة والنظيفة ليس من الكبر والغرور في شيء، بل هي مما أمر بها الإسلام وحث عليها، فقد قال ﷺ: (إن الله جميل يحب الجمال، والكبير بطر الحق وغمط الناس)<sup>(٣)</sup>.

**٦- الحرص على مخالفة اليهود والنصارى ووجود أحكام خاصة للتعامل مع أهل الذمة:** ومن ذلك ما يرويه ابن عباس - رضي الله عنهم - أن النبي ﷺ لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله فيه بني إسرائيل من عدوهم، فصاموه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم فصاموه وأمر بصيامه، إلا أنه أمر بعد ذلك بمخالفة اليهود بأن يصوم العاشر ويوماً قبله وهو التاسع أو يوماً بعده وهو الحادي عشر، لأن اليهود يفردون اليوم العاشر فتحصل مخالفتهم بصيام يوم قبله أو يوم بعده، قال (إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع)<sup>(٤)</sup>. وما يعلم أيضاً أن أهل الذمة قد رضوا بالعيش والاستقرار في بلاد المسلمين ورضوا بسيادة وحكم

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التجمل للوفود، حديث رقم (٣٠٥٤) ص ٥٦٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العيددين، باب في العيددين والتجمل فيه، حديث رقم (٩٤٨) ص ١٧٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبير وبيانه، حديث رقم (٩١)، دار الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ، ص ٦٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أي يوم يصوم في عاشوراء، حديث رقم (٢٦٣٦) ص ٥٠٩.

الشريعة الإسلامية ودانوا بذلة لحكم الدولة الإسلامية، فدفعوا الجزية ولا يحق لهم التطاول  
يبناء الكنائس والمعابد في بلاد الإسلام وقد جاء في الشروط العmerica: (وألا نضرب ناقوساً  
إلا ضرباً خفيفاً في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليباً) <sup>(١)</sup> وكل تلك الأحكام أتت  
لتبرهن وتدلل على عزة المسلمين وقوتهم وضعف وهوان كل من يعلن عدم رغبته في دخول  
هذا الدين العزيز.

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم، دار الحديث، القاهرة، ج ٢، ص ١١٤.

## المطلب الثاني

### طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة

**الطريقة الأولى: أسلوب النهي الصريح عن المهاهنة والذل:**

فقد أمر الله عز وجل بالإقدام والاحتمال والثبات في مواطن الضعف، قال تعالى:

﴿وَلَا تَهْنُوا فِي أَبْتِغَاءِ الْقُومِ إِن تَكُونُوا تَأْمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢﴾<sup>(٢)</sup>، أي لا تضعفوا

عن ابتغائهم<sup>(٣)</sup>. كما قال عز وجل: ﴿فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾<sup>(٤)</sup>

وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتَرَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٥﴾<sup>(٥)</sup>، يقول ابن كثير -رحمه الله-: [فلا

تُهُنُوا] أي لا تضعفوا عن الأعداء (وتدعوا إلى السلم) أي المهاهنة والمسالة ووضع القتال

بينكم وبين الكفار في حال قوتكم<sup>(٦)</sup>. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزُنُوا﴾<sup>(٧)</sup>

وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾<sup>(٨)</sup>، يقول الطبراني رحمه الله: (ولا تضعفوا

بالذى نالكم عن عدوكم بأحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحربهم)<sup>(٩)</sup>. في هذه

الآيات الكريمة أدب قرآنى عظيم، وتوجيه رباني كبير لكل من آمن وجاهد وصبر، يحثهم

فيه على عدم الموان الذى ينافي العزة ويضادها، وينهىها ويقضى عليها، فهو أمر للمؤمنين

بالثبات على العزة حتى في الأوقات العصيبة، لتبقى العزة ملزمة لهم، لا تنفك عنهم في

(١) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبرى، ج ٧، ص ٤٥٤.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ١٧٢٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبرى، ج ٦، ص ٧٨٧.

الضراء والسراء، في الفرح والحزن، في الحرب والسلم، في النصر والهزيمة، ومن ذلك قوله ﷺ : (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها)<sup>(١)</sup>، فمعالي الأمور هي التي تدل على شرف الإنسان وعزته ورفعته عن السفاسف وهي الأمور الرديئة أو التافهة التي تقلل من قيمة المرء وتحينه وتذله.

### الطريقة الثانية: أسلوب الأمر بالطريق الذي يؤدي للعزّة:

حين ينهي الشارع عن الحرام فهو ينهي عن كل الطرق الموصلة إليه، وحين يأمر بالواجب فهو يأمر بالسبل الموصلة إليه، ومن ذلك حين أراد أن يدل المسلمين عامة والدعاة بصفة خاصة إلى الطريق الذي يصون عزّهم ويحصنهم ضد المهاون، فقد قال: ﴿وَأَعِدُوا لَهُم مَا أُسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ ثُرِّهِبُونَ بِهِ عَدُوٌّ

**اللهِ وَعَدُوكُمْ**<sup>(٢)</sup> أي تخزون به عدو الله وعدوكم. فالقوّة بدنية كانت أو علمية تجعل صاحبها في موطن هيبة أو اقتدار فلا يسهل أن يهان أو يعتدى عليه من قبل غيره.

**الطريقة الثالثة: الأمر بما يستوجب العزة، مثل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا**  
**تُؤْمِنُ﴾<sup>(٣)</sup> يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره : ( يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه يأبلغ ما بعثه به وبيانفاذه والصدع به وهو مواجهة المشركين به) ثم يذكر قول ابن مسعود - رضي الله عنه - فيقول : (ما زال النبي ﷺ متخفياً حتى نزلت**

(١) المعجم الكبير للطبراني، دار الراية، الرياض، رقم الحديث ٨٠٢٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

**﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ﴾** فخرج هو و أصحابه<sup>(١)</sup> ، فالصدع يحمل معنى القوة والوضوح والصلابة، أي بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت لأحد، ذلك الأمر الذي يوجب العزة، فالقرآن الكريم يريد أن يرى في نفس المؤمن الاعتزاز بهذا الدين.

وقد نجد في هذه الأيام بعض الشباب المسلم - هدانا الله وإياهم للحق - قليل الثقة بدينه يستحيي من ذكر الله سبحانه وتعالي في المجالس بل يستحي حتى من الصلاة على النبي ﷺ يجامِل المحامِلات الكثيرة على حساب هذا الدين، ويظهر ذلك كثيراً عندما يكون المسلم أو المسلم في بلد كفر أو بيئة غير مستقيمة، فتجدهم يفقدون العزة ويحرضون على إخفاء هويتهم الإسلامية، فالمقصود بالصدع إذن هو أن يبلغ الدعاة رسالات الله وبخسونه ولا يخشون أحداً سواه ويجهرون بكلمة الحق وبحكمة وعقل دون أن تأخذهم لومة لائم، فتكون غايتهما من وراء ذلك أن يظهروا العزة التي منحهم الله وأن ما شرعه الله هو الحق الذي يجب أن يكون منهجاً يسير على الناس في حياتهم. فعلى ذلك يكون أصل العزة هو الصدع والإعلان والإظهار، لذا كان لزاماً على كل مجتمع مسلم أن يبرز شعائر الدين وعقائده، فيجعل لذلك محلاً واسعة في حياته، واهتمامًا بالغاً لا يقل عن الاهتمام بالجوانب الأخرى، وهو ما من شأنه أن يسهم في النهوض بالأمة وتبوعها مكان الريادة بين الأمم.

**الطريقة الرابعة:** تكفل الله عز وجل برزق عبده وأجله ونصره على أعدائه هو أمر له بالعزة: الله عز وجل هو الركن الشديد الذي يرکن إليه العبد كلما حزبه أمر، يقول تعالي:

**﴿أَللّٰهُ وَلِئِلَّٰهِذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾**<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالي:

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ١٠٥٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧ .

﴿بِلِ اللَّهِ مَوْلَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّصِيرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَفَرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ولذا يقول الطبرى - رحمه الله - في ولاية الله للذين آمنوا نصيرهم و ظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه<sup>(٣)</sup>. ففي مجموع هذه الآيات وغيرها من كتاب الله ما يقوى عزيمة المؤمن ويرفع من معنوئيه ويشعره بأن الله سنده فيقطع حياته مرفوع الرأس عزيزاً بعز الله له كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فلا يذل مخلوقهما علا شأنه وارتفاع مقامه، فليست الذلة للمخلوق من خلق المسلم لأن من تولاه الله وكان في حماه لا يصح أن ينكسر رأسه أو يخضع لأحد. لكن قد يضعف الإنسان ويذل بسبب منصب أو جاه أو مال فيرسل له عز وجل رسالة عاجلة بقوله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ﴾<sup>(٥)</sup>، فلا مبرر للضعف والاستكانة، لأن الرزق من الله ليس لمخلوق فيه دخل فلا يستطيع أن يزيد أو يمنعه أو لينقصه ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وكذلك الأجل والأعمار بيد الله سبحانه وليس لأحد فيها علاقة ﴿وَمَا كَانَ لِتَفْسِيسِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ إِلَيْهِ مُؤْجَلًا﴾<sup>(٧)</sup>، ومثل الرزق والأجل النصر على الأعداء، فمرده إلى الله فهي تجري بقضاء الله وقدره

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٠.

(٢) سورة محمد، الآية: ١١.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبرى، ج ٤، ص ٥٦٣.

(٤) سورة المناافقون، الآية: ٨.

(٥) سورة الرُّمُر، الآية: ٣٦.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، فإذا عرف الداعية أن الله قد تكفل ببرزقه وأجله ونصره على أعدائه واستشعر (لا إله إلا الله) تغلب على ضعفه البشري الناتج على خوفه عن هذه الأمور، فتalu همتـه في الدعوة وتقوى عزيمته على تحمل مشاقها وتكليفها، ثم تعلق بالخالق واستمد عزته من ذلك.

**الطريقة الخامسة: استعراض الأمم السابقة التي استجابت لدعوة الحق**  
 واستشعرت العزة، وقررت على الذل والهوان، فنالت العزة في الدنيا والآخرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَأَيْنَ مِنْ نَّيِّ قَاتَلَ مَعَهُ وَرِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. يقول أبو جعفر الطبرـي . رحمـه الله : (فـما وهـنوا لـما أصـابـهم فـي سـبـيلـ اللهـ) فـما عـجزـوا لـما نـاهـمـ منـ أـلمـ الجـراحـ الـذـي نـاهـمـ فـي سـبـيلـ اللهـ، وـلـا لـقتـلـ منـهـمـ منـ حـربـ أـعـدـاءـ اللهـ، وـلـا نـكـلـوا عـنـ جـهـادـهـمـ، (وـما ضـعـفـوا)، يـقولـ وـما ضـعـفتـ قـواـهـمـ لـقـتـلـ نـبـيـهـ، (وـما اـسـتـكـانـوا) يـعنيـ وـماـزـالـواـ فـيـتـخـشـعـواـ لـعـدـوهـ بـالـدـخـولـ فـيـ دـيـنـهـ وـمـداـهـنـهـمـ فـيـ خـيـفـةـ مـنـهـمـ، وـلـكـنـ مـضـواـ قـدـمـاـ عـلـىـ بـصـائـرـهـمـ وـمـنـهـاجـ نـبـيـهـ، صـبـراـ عـلـىـ أـمـرـ اللـهـ وـأـمـرـ نـبـيـهـ وـطـاعـةـ اللـهـ وـإـتـبـاعـ لـتـنـزـيلـهـ وـوـحـيـهـ، (وـالـلـهـ يـحـبـ الصـابـرـينـ) يـقولـ: وـالـلـهـ يـحـبـ هـؤـلـاءـ وـأـمـاثـلـهـمـ فـيـ الصـابـرـينـ لـأـمـرـهـ وـطـاعـتـهـ وـطـاعـةـ رـسـوـلـهـ فـيـ جـهـادـ عـدـوهـ لـاـ مـنـ فـشـلـ فـرـعـونـ عـدـوهـ، وـلـاـ مـنـ أـنـقـلـبـ عـلـىـ عـقـيـهـ فـذـلـ لـعـدـوهـ لأنـ قـتـلـ نـبـيـهـ أـوـ مـاتـ، وـلـاـ مـنـ دـخـلـهـ وـهـنـ عـنـ عـدـوهـ وـضـعـفـ لـفـقـدـ نـبـيـهـ<sup>(٣)</sup>.

فـفيـ ذـلـكـ الثـنـاءـ فـيـ الآـيـةـ الـكـرـيمـةـ السـابـقـةـ لـمـ يـضـعـفـ وـلـمـ يـسـتـكـنـ تـحـريـضـ للـمـسـلـمـينـ يـقـومـ عـلـىـ بـنـذـ الـضـعـفـ وـالـمـهـانـةـ وـالـحـرـصـ عـلـىـ عـزـةـ رـغـمـ المـشـاقـ وـالـمـصـاعـبـ الـتـيـ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٣) جامـعـ الـبـيـانـ عـنـ تـأـوـيـلـ آـيـ القرآنـ لـالـطـبـرـيـ، جـ٦ـ، صـ١١٧ـ.

قد تعترض طريق المسلم. ومن ذلك أيضاً الثناء على تلك العزة الإيمانية التي بدت حليمة سحرة فرعون، فقد جاءوا لنصرة فرعون، ثم لما عرفوا الحق آمنوا بالله ولم يستحوا من الحق، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِّيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَلِبُونَ﴾<sup>٤٤</sup> فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ<sup>٤٥</sup> فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ<sup>٤٦</sup> قَالُوا إِنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>٤٧</sup> رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ<sup>٤٨</sup> قَالَ إِنَّمَّا تُمُّ لَهُ وَقَبِيلَ أَنْ إِذَا دَأَدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ الَّذِي عَلَمَكُمُ الْسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قَطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا صِلْبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ<sup>٤٩</sup> قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ<sup>٥٠</sup><sup>(١)</sup> ، فتحولت قلوبهم من منتهى الكفر والضلال إلى منتهى اليقين والإيمان، فآمنوا بعد أن كانوا من المخاربين لله ورسوله، وحسن إيمانهم بل إنهم ثبتو أمام تحذيد فرعون، وذلك التهديد الشديد، فكان ردة فعلهم قوية مليئة بالقوة والثبات واليقين في الله عز وجل.

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٤٤-٥٠.

## المبحث الثاني

### أنواع العزّة

#### توطئة:

العزّة صفة عامة شاملة واسعة النطاق، تتمثل في العزّة لله عزّ وجلّ، أو العزّة من الله عزّ وجلّ وهذه تكون لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين، كما قد تكون مدوحة يؤمر بها شرعاً، وقد تكون مذمومة خى عندها الشارع.

لذا ستدرك الباحثة - بإذن الله - أنواع العزّة باعتبارات عدّة، حتى يتجلّى معناها

بصورة أوضح، وذلك على النحو التالي:

- المطلب الأول: أنواع العزّة من حيث المعنى.
- المطلب الثاني: أنواع العزّة من حيث المصدر.
- المطلب الثالث: أنواع العزّة من حيث المدح والذم.

## المطلب الأول

### أنواع العزة من حيث المعنى

العزّة حلق محمود وهي من أعظم أخلاق الإسلام، فالمسلم لا يهان ولا يستضعف ولا يستخف به، وأعظم ما يعتز به المسلم دينه وكتاب ربِّه عز وجل، فهي في الأصل حرص المسلم على ألا يُغلب، ولكنها قد تأتي في معانٍ أخرى في النصوص الشرعية.

**أولاً: العزة بمعنى المشقة:** وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> ، أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، فقد جاء بال الحديث الصحيح (إن الدين يسر) <sup>(٢)</sup> فشرعته ﷺ كلها سهلة وسمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله عليه تعالى.

**ثانياً: العزة بمعنى الأنفة والحمية:** وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ أُتَّقِيَ اللَّهُ أَخَذَتْهُ الْعَزَّةُ بِالْإِلَئِمْ فَحَسِبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلِئِسَ الْمَهَادُ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإذا وعظ المخطئ في قول أو فعل بأن قيل له: اتق الله وارجع إلى طريق الحق والصواب، أبي وامتنع بسبب ما فعله من إثم.

(١) سورة التوبه، الآية: ١٢٨ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم (٣٩)، ص ٢٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦ .

**ثالثاً: العزة بمعنى التشدد والتكبر:** وذلك مثل قول الرسول ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - : (هل تدرين لم كان قومك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لا ،قال: تعززاً لا يدخلها إلا من أرادوا) <sup>(١)</sup>.

رابعاً: العزة بمعنى الغلظة: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وَأَذْلَلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ إِنْ يُجَاهُهُوْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُوْنَ لَوْمَةَ لَا إِيمَانَ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ﴾<sup>(2)</sup>، وقد ذكر هنا العزة على الكافرين بعد الذلة على المؤمنين ، حتى لا يتوبهم السامع أن الذلة إنما كانت لضعفهم وهو أحكم:

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، حديث رقم (٣٢٢٥)، ص ٦١٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

## المطلب الثاني

### أنواع العزة من حيث المصدر

بعد استقراء النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنّة النبوية وجدت الباحثة أن العزة

تنبع من حيث المصدر إلى:

أولاً: عزة الله عز وجل<sup>(١)</sup>:

الله عز وجل هو العزيز، والعزيز اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه الممتنع فلا يغله شيء، وهو القوي الغالب لكل شيء، وليس كمثله شيء، وهو سبحانه العزيز الذي ذل لعزته كل عزيز، وهو سبحانه القوي القاهر، قد عز كل شيء فقهه وهو غير موجود النظير والمثل جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهو المعز الذي يهب العز ممن يشاء من عباده. وعزته سبحانه تشمل المعاني الثلاثة للعزوة وهي:

الأول: عزة القوّة، وهي صفة العظيم الذي لا تنسب إليه قوّة المخلوقات وإن عظمت.

الثاني: عزة الامتناع، لأنّه الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرّونه،

ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطى المانع.

الثالث: عزة القدرة والغلبة لكل الكائنات، فهي مقدّورة لله، خاضعة لعظمته، منقادة

لإرادته<sup>(٢)</sup>، كما قد نفى الذل عن نفسه عز وجل ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الْذُّلُّ وَكَبِيرٌ﴾

<sup>(٣)</sup> .

(١) وقد سبق بيان ارتباط العزة باسم من أسماء الله الحسنى في ص ١٢ .

(٢) شرح أسماء الله الحسنى لحصة الصغير، ص ١٧٢ .

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١١١ .

## ثانياً: العزة بدين الله عز وجل:

كما أن الله عز وجل هو العزيز فهو (المعز) إذ يوصف بالعزّة التامة المطلقة يهب العزّة من يشاء من عباده، ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>. فالله عز وجل هو الميسر لأسباب المنعة، لأنّه يعزّ من شاء من أوليائه فإذاً أن يبسط حالم ويعلي شأنهم، وقد يتحنّهم في الدنيا، ويثيّبهم على الصبر عليه، وقد يبسط الرزق لأعدائهم ويعلي أمرهم في الدنيا ولهم في الآخرة العقاب الأليم، فالمطين لله عزيز وإن كان فقيراً ليس له أعون، والعاصي وإن ظهر به ظاهر العز فقلبه حشوه الذل وإن لم يشعر به لأنّه يغمسه بالشهوات.

ولذا فيجب أن نؤكد أن العبرة ليست بظهور مظاهر العزة، لكن العبرة بسلامة المنهج وموافقته لأصل العقيدة. وعلى المسلم أن يفطن إلى ألا يظن أن هذه العزة منه وله، بل عليه أن يعلم أنها من عند الله، فليحسن التعبد له. فإذا رأى عزته ثم رأى إعجاب الناس بما عنده من عزة فعليه ألا يُعجب بنفسه، بل إن الناس قد أعجبهم الجميل الذي أظهره الله منك ولم يعلموا بقيبح عنده قد ستره الله عنهم، فلنشكّره . تعالى . جميعاً على هذا الستر ولا نفتر ، وكما قال ابن القيم رحمه الله : (لا تحسب أن نفسك هي التي ساقتكم إلى فعل الخيرات ، بل اعلم أنك عبد أحبك الله فلا تفرط في هذه الحبة فينساك)<sup>(٢)</sup> .

إذاً تساءلت عن الجمع بين أن العزة لله جميحاً ثم تكون العزة في نصوص أخرى لرسوله ﷺ والمؤمنين فيقال: قد يعترض معترض فيقول: كيف يجمع بين قول الحق سبحانه: ﴿مَنْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القاسم، دار ابن كثير، دمشق، ص ٣٠٤ .

كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا<sup>(١)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، والجواب أنه لا تنافي بين الآيتين، لأن العز الذي هو للرسول ﷺ والمؤمنين هو في الحقيقة ملك ومخلوق لله وعزه سبحانه هو المصدر لكل عز، ومن ثم يكون عز الرسول ﷺ والمؤمنين مستمد من عز الله عز وجل، وعلى هذا فالعز كله لله، والعزة التي عند الإنسان لا تكون فضيلة محمودة إلا إذا استظللت بظل الله واحتتمت بحماه.

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠ .

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨ .

### المطلب الثالث

#### أنواع العزة بين المدح والذم

جاءت النصوص الشرعية لتمدح إظهار العزة تارة وتذمّها تارة، فهي إن كانت لله ورسوله وللمؤمنين فهي الممدودة، وأما إن كانت للكافرين فهي في الحقيقة ذمٌ وذلٌّ ومهانة، قال تعالى: ﴿وَأَنْجَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَالِهَةً لَيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾<sup>(١)</sup>، فكما تكون العزة خلق حميد إذا قامت على الحق والعدل، واستمدّها صاحبها من حمى ربه لا من سواه، فكذلك تكون أحياناً كاذبة أو خلق ذميم حين تقوم على البغي والفساد، فعزّة الكافرين تعزّز كاذب وكل عز ليس بالله فهو ذل، وعلى هذا الأساس تكون العزة شرعية أو غير شرعية، فإذا اعزّ المرء بدينه ورفع نفسه عن المهانة فهو لا يريق ماء وجهه ولا يبذل عرضه فيما يدنسه، سالماً من ألم الهوان، متحرراً من الأهواء، أما غير الشرعية فهي التي ترتبط بالكفر والفسق والنسب ونحوها كالاعتراض بالجاه والمنصب أو بالكثرة سواء بالمال والعدد، أم بجمال الخلقة أو الثبات وهذه كلها مذمومة، وهنا لابد أن نفرق بين العزة كمطلب شرعي والكبر المنهي عنه، ليحذر المسلم من إيقاع نفسه مواطن الذم والخطأ، فالعزّة تأتي من الاعتزاز بالله سبحانه وتعالى ومن التزامه بالمنهج الصحيح، فهو وإن كان لا يرى له على أحد فضل، ولا يرى له عند أحد حقاً، بل يرى الفضل لله الذي جعله يقوم بهذه الدعوة، أما الكبر والغرور فهو نيل شهوات النفس بالترفع عن خلق الله والتكبر عليهم والافتخار والتطاول على الغير.

(١) سورة مرّم، الآية: ٨١.

## المبحث الثالث

### ضوابط العزة في الدعوة

توطئة:

لا تخفي أهمية العزة بعدها وضحنا مشروعية العزة وأنواعها، لكنها تحتاج إلى أن تقنن بضوابط وشروط حتى تكون نافعة وبناءة بإذن الله، فالداعية ربما يدخل في نفسه العجب، ويرثه قيامه بالدعوة شعوراً بالترفع والعزة عليهم، فإذا التزم بضوابط العزة زال عنه ذلك الشعور، وفيما يلي أبرز تلك الضوابط:

- الضابط الأول: الاعتماد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع عند الدعوة إلى الله.
- الضابط الثاني: ضرورة أن تقوم العزة على العلم والبصيرة عند الدعوة إلى الله.
- الضابط الثالث: ضرورة مراعاة الحكمة في العزة عند الدعوة إلى الله.

## الضابط الأول: الاعتماد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة

### والإجماع

هذا الضابط هو الضابط الأكبر الذي تندرج تحته كل الضوابط إذ لابد للمسلمين من مرجعية يتبعون عليها ويقفون عندها، وهذه الأمور لا تتحقق إلا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة. يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنَّمَاءُ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّلُوكُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، والأصل أن النكارة في سياق الشرط تقييد العموم، أي أنها تقييد كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (دين الإسلام مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة)<sup>(٢)</sup>. وما كان للعزة هذه المنزلة العظيمة وجب أن تكون مبنية على هذه الأصول كتاب الله وسنة نبيه بالإضافة إلى ما أجمعت عليه الأمة، والمتذمرون للقرآن الكريم يجده زاخراً بآيات العزة فمنها آيات بينات ذكرت ذلك بالتصريح والعموم، ومنها ما تحدثت عنها بالإشارة والتلميح، وكذلك السنة النبوية المطهرة اشتملت على كثير من الأحاديث التي تدعو للعزة سواء بقوله ﷺ أو بفعله ﷺ أو ب فعله مما قد تبين فيما سبق<sup>(٣)</sup> . فالاعتراض بدين الله يتحقق بالانقياد لما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة والاستسلام لهما والإذعان لذلك.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج ٢٠ ، ص ١٥٩ .

(٣) انظر المبحث الأول ص ١٤ .

فالواجب هو تدبر كتاب الله ثم العمل بما جاء به وطاعة الأوامر التي جاءت بالسنة النبوية، واجتناب نواهيهما، وتصديق ما فيها، هذا مع الرجوع لكتب السلف الصالح للانتفاع بها ومعرفة الطرق التي تستتبعها الأحكام من أدلةها.

### الضابط الثاني: ضرورة أن تقوم العزة على العلم وال بصيرة

من الأمور التي يجب أن ترتكز عليها العزة العلم، أي العلم بشرع الله عز وجل، فالعلم هو أساس العزة، ولا يمكن أبداً للعزّة أن تتم على الوجه الذي يرضاه الله عز وجل إلا إذا كانت مبنية على العلم، فكل عزة بلا علم لابد أن يكون فيها تكبر وغرور، ولنبين أهمية قيام العزة على علم لابد أن نعرض حال بعض المسلمين اليوم الذين رغبوا أو أرادوا في العزة دون علم وبصيرة فأخطأوا في ذلك، وقلبوا معنى العزة الواضح في المنظور الإسلامي إلى الاستدعاء والتخييف لمن لا يستحق التخييف كالعدوان الذي يمارسه الأفراد بغياً على الإنسان في دينه ودمه وماله وعرضه لأن ذلك عمل إجرامي كبير، وانتهاك لحرمة الأنفس المعصومة والأموال المحترمة، ولعل أبرز أسباب ذلك الاستدعاء والتخييف هو الغلو والتطرف في فهم مصطلح العزة، والجهل بحقيقة ذلك الدين الذي ينظر للمخالف على أنه مريض نعالجه بالحوار والإقناع ليرجع عن مخالفته لا على أنه عدو يجب قتاله، لأن الغلو والتشدد والتطرف في فهم العزة الصحيح يقود إلى العنف، ولقد أرشدت النصوص الشرعية الصحيحة في القرآن الكريم والسنّة المطهرة إلى التقيد في الدعوة بالمنهج الصحيح المعتدل للعزّة والنهي عن كل ما فيه تطرف وغلو وتنطع. كما أن مجرد التخسيس في الدعوة لا يوافق معنى العزة، فلا يصح أن نقول للظالم (يا ظالم، يا من لا يخاف الله) لأن ذلك يحرك فتنه، وفيه تنفير يقلل من أفراد هذه الدعوة ولا يعزّها، ألم يقل تعالى موسى وهارون عليهم السلام

﴿فَقُولَا لَهُو قَوْلًا لَّيْتَا لَعَلَّهُو يَتَذَكَّرُ أَوْ يَنْخَشِي ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة طه، الآية: ٤٤.

على الداعية أن يبين الفرق بين العزة الشرعية والعزة الغير شرعية ويوضح للمدعوين الفرق بين صور العزة الشرعية التي تمثل بالاعتزاز بالله تبارك وتعالى والاعتزاز بالاتساب للإسلام والاعتزاز برسولنا محمد ﷺ ، وإظهار العزة على الكافرين وخفض الجناح للمؤمنين ، وصور العزة الغير شرعية كالاعتزاز بالآباء والأجداد أو القبيلة أو الاعتزاز بالمال والعدد أو الاعتزاز بجمال الهيئة أو الثياب.

### الضابط الثالث: ضرورة مراعاة الحكمة في العزة

الحكمة هي إصابة الحق بالقول والعمل، وقد حث الله عز وجل الدعاة على الحكمة عند الدعوة: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلُهُمْ بِالْقِيَمِ الْأَحْسَنِ﴾<sup>(١)</sup>. والعزة صفة للداعية، ولذا فيجب أن يكون الداعية حكيماً في اتصافه بها، فعليه مثلاً اختيار الأسلوب المناسب في الموقف المناسب والحالة المناسبة، لأن ما يصلح لحالة من الأحوال، أو لمعالجة موقف من المواقف أسلوب لا يصلح لغيره، فما يتخذه من أساليب مع دعوة المسلم مختلف عما يتخذه مع غير المسلم، وما يتخذه في الشدة مختلف عن الرخاء، وفي الترغيب بخلاف الترهيب، ولذا تتتنوع مظاهر الحكمة في العزة على حسب طبيعة الموقف الدعوي ولكن أبرزها:

#### ١- العمل بالعزّة:

أي تطبيق ما يقول على نفسه أولاً، وأن يكون قدوة حسنة فيما ينصح به من فضائل أو ينهى عنه من رذائل ، فالعمل بالبر أولاً قبل الدعوة إليه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَتَأُمْرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسُونَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَلَوَنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، ولقد ورد الذم كثيراً وعظيماً من يخالف قوله فعله، ولمن لا يلحق

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤ .

القول الفعل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، فالقدوة الحسنة لها أثرها في النفوس، وإن وافق الفعل القول كان ذلك أبلغ في الفهم والمعرفة وفي القبول والإقبال على هذه الدعوة، وهذا يعني أن يبدأ الداعية بنفسه فالمخالفة بين القول والفعل من أسباب عدم قبول الأمر، وحصول أثره، ومن هنا قال تعالى على لسان نبي من الأنبياء: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِقَكُمْ إِلَى مَا آنَهَكُمْ عَنْهُ﴾<sup>(٢)</sup> ، فالداعية هو أول من يجب عليه أن يعتذر بدينه، وتظهر عليه علامات تلك العزة.

## ٢- احترام المدعو وتقديره:

ومع إظهار الداعية لعزته يجب أن يقدر المدعو ويحترمه، فينبغي أن نؤكد على إظهار الاحترام المتبادل وإعطاء كل ذي حق حقه والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيخاطبه بعبارات لائقة وألقاب مستحقة وأساليب مهذبة، ومن ذلك أيضاً عدم مواجهة أحد بعينه، فلا يؤدب ولا يزجر إن كان في الدعوة العامة ما يكفي، وقد كان النبي ﷺ يسلك هذا الأسلوب الحكيم، ومن ذلك قوله ﷺ (ما بال أحدكم) فإن ذلك أدعى في قبول الحق والاستجابة له، والعزة ليست للذات والاستعلاء على الناس، وإنما هي للعقيدة، فالعبد إن رزق العزة في دعوته فقد رزق الاستعلاء على هذه الدنيا الزائلة.

## ٣- عدم الإفراط والتغريط في الأخذ بالعزة:

فلا إفراط بتخويف وإرباب وإرهاب لغير المسلمين ولا تغريط بفقدان الاعتراض بهذا الدين وأهله وقد تم توضيح قضية عدم الإفراط بالضابط الثاني، أما التغريط فيكون ذلك

(١) سورة الصاف، آيات: ٣-٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

بالتشبه بالكفار ومحاولة تقليدهم، أو عدم إنكار المنكر أو حتى الواقع في المعاصي مع الأقران، وإننا نلاحظ في هذا العصر مدى تأثير بعض الشباب بالحضارة الغربية، وإن هذا الحب للغرب أو للبلاد الكافرة والإعجاب بنظمها وقوانينها يجعل شبابنا يحب أفكارهم ولغاتهم وحياتهم حتى ولو لم تكن جيدة، وكلنا أصبحنا نتعجب من جيل اليوم الذي ينزل القرآن بلغته ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، ثم يتفاخر بلغته الأجنبية أمام العرب، والأدهى والأمر من ذلك كتابة الكلمات العربية بحروف أجنبية.

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

## المبحث الرابع

### أثر العزة على الدعوة

توطئة:

لا يخفى على عاقل أن كل فعل من الأفعال ، وكل عمل من الأعمال إنما تعرف أهميته وقيمتها من ثمراته المتربعة عليه، ومن آثاره التي يتركها ، وإن من أبرز آثار العزة في الدعوة إلى الله ما يلي :

- المطلب الأول : وجوب تحديد مفهوم العزة
- المطلب الثاني : الوضوح في الدعوة
- المطلب الثالث : العزة بحسب المقدرة
- المطلب الرابع : مشروعية المحرجة عند الحاجة إليها
- المطلب الخامس : كسب الرزق
- المطلب السادس : الحرص على تحبيب الدعوة بالعزّة
- المطلب السابع : الولاء والبراء
- المطلب الثامن : فتح باب الأمل بالتوبة
- المطلب التاسع : الستر عند الخطأ
- المطلب العاشر : الحوار مع المدعو

## المطلب الأول

### وجوب تحديد مفهوم العزة

إن تحديد المفاهيم أمر في غاية الأهمية، إذ لا يستطيع المرء أن يحكم على أمر من الأمور قبل أن يتصوره، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره ومن حكم قبل أن يعلم ماهية الأمر أو يحدد مفهومه فقد أخطأ خطأً فاحشاً.

وإذا أريد فهم لفظ من الألفاظ الشرعية، فلا بد من الرجوع إلى أمرين هما اللغة

العربية التي تكلم بها الشارع ومقصود الشارع من الألفاظ<sup>(١)</sup>.

لهذا كله كان من الواجب على الدعاة إلى الله - تعالى - العلم بحقائق الأشياء وإدراك المفاهيم - ما أمكن - بل والحرص عند إطلاق الألفاظ الشرعية، لأن تلك الألفاظ صارت مصادر للخلاف بين الناس، والعزة أحد تلك المفاهيم الواجب بيانها للاختلاف الناس حولها ما بين مقرط و مقرط حيث يقول ابن القيم - رحمة الله -: ( وكل خلق محمود مكتنف بخلقين ذميين كالجود الذي يكتنفه البخل والتبذير، والتواضع الذي يكتنفه الذل والمهانة والكبير والعلو، فإن النفس متى اخترت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخلقيين الذميين ) .

فيجب على الدعاة تحديد مفهوم العزة الصحيح رغبةً في تصحيح الخطأ وإزالة اللبس وكشف الغموض، وبيان بأنها خلق بين خلقين أحدهما الكبير والآخر هو الذل والهوان، ومحاولة ربطها في الحق وبالحق، والتي يكون فيها صاحبها عزيزاً ولو كان فقيراً أو مظلوماً لأنه يعتز بعزة الله تبارك الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، فهذه هي العزة المقصودة لأنها اعتزاز من يملكونها وإذعان له وانتساب لشرعه وهديه ودعوته .

(١) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر لعبد الرحمن اللويحيق ط ١٤١٩:١، ص ٩٠.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص ٣٠٩.

## المطلب الثاني الوضوح في الدعوة

يعلم الجميع أنه كلما كانت الدعوة واضحة - باختلاف اطلاقات وأنواع الدعوة - كان القائم عليها والداعي لها واثقاً من صحتها معتزاً بها، ولقد كان من أبرز آثار العزة على الدعوة وضوحاها.

فالدعاة لا يخوضون في ظلمات ولا يسيرون متخبطي الخطى ولا يعتمدون على اجتهاداتهم الفردية ولا ينهلون من فراغ، لأنها دعوة تقوم على العلم والبصيرة والمهدى والرشاد، يقول تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۚ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ القاسمي - رحمه الله -: (دل قوله تعالى [عَلَى بَصِيرَةٍ] على مزّية هذا الدين الحنيف ونحجه الذي انفرد به، وهو أنه لم يطلب التسليم به مجرد أنه جاء بحكايته، ولكنه ادعى وبرهن، وحكي مذاهب المخالفين، وكرّ عليها بالحجّة، وخاطب العقل واستنهض الفكر ، وعرض نظام الأكوان وما فيه من الإحکام والاتقان على أنظار العقول ، وطالبها بالإمعان فيها لتصل إلى اليقين بصحّة ما ادعاه ودعا إليه)<sup>(٢)</sup> فإذا أدرك الداعية هذا الوضوح إدراكاً كاملاً انطلق بدعوته بكل ثقة وعزّة حتى يصل للنتيجة المؤملة والمرجوة من دعوته.

والعلاقة بين الوضوح والعزة علاقة سبب ونتيجة، فلأن الدعوة كانت واضحة كان يحق للداعية أن يعتز بها، ولأن الداعية يعتز بدعوته كان يجب أن تكون واضحة.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨ .

(٢) محسن التأویل للقاسمي، دار الفكر، بيروت، ط٢: ١٩٧٨ م، ج ٩، ص ٢٩٥ .

### المطلب الثالث

#### العزة حسب المقدمة

من لطف الله عزوجل بعباده ألا يكلفهم فوق طاقتهم، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾<sup>(١)</sup> ، يقول القرطبي - رحمه الله - : ( نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عباده من أعمال القلب والجوارح إلا وهي في وسع المكلف و في مقتضى إدراكه وبنيته).

ولهذا فقد جعل شرط الاستطاعة في جميع الأحكام الشرعية، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إن مدار الشريعة على قوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أُسْتَطِعْتُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> المفسر بقوله: ﴿ أُتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِلَهُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وعلى قول النبي ﷺ : ( إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم )<sup>(٤)</sup> .

والعزة في الدعوة إلى الله كسائر الأحكام الشرعية التي يشترط لها القدرة والاستطاعة، فلا تجب إلا على من يقدر ويستطيع، ولهذا ورد في الحديث الشريف ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسانه فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان )<sup>(٥)</sup> ، كما

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء سنة رسول الله ﷺ ، حديث رقم (٧٢٨٨)، ص ١٣١٩.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ٣٨٤، ص ٢٨٤.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (٤٩)، ص

. ٥٢

جاء أيضاً (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسننته ويقتدون بأمره ثم إنما تختلف من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدتهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدتهم فهو مؤمن ومن جاهدتهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان إلا حبة خردل) <sup>(١)</sup>.

لذا فالقاعدة العامة التي لابد لكل داعية من معرفتها ، حتى يعرف القدر الواجب عليه من إظهار العزة هو التفريق محبة المعروف وكراهية المنكر وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفعلي ، لأن الحببة القلبية للمعروف والكرهية القلبية للمنكر لا مندوحة لمسلم بأي حال من الأحوال وليس وراء ذلك من الإيمان شيء ، أما الإنكار أو الأمر الفعلي فهو بحسب الطاقة والاستطاعة ، إما باليد أو اللسان وهي الحدود العليا للاستطاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذي بحثنا بهما يستطيع الداعية أن يظهر عزته أو أن يعبر عنها بكل ما أوتي من قوة وعلم ، أو الاختصار على الأدنى من الاستطاعة كما في الحببة والكره القلبية الذي يجب ألا يتركه الداعية بأي حال من الأحوال .

ومن المعلوم للجميع أن ما يتيسر للداعية من أفعال أو أقوال يظهر بها عزته بدعوه في ظل الحكومات الإسلامية قد لا يتيسر مثله في حكومات الكفر .

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (٥٠)، ص

## المطلب الرابع

### مشروعية الهجرة عند الحاجة إليها

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنَبُوَّثَنَّهُمْ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرْحٌ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، من المعلوم أن الهجرة لإعلاء كلمة الله هي دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام ، بل إنها برهان لصلاح العبد واستقامته ، إلا أن الهجرة تعد أيضا تعد آثار العزة على الدعوة ، إذ أنها سبب لتغريب كربة الداعية ، ونيل العزة والكرامة ، وحصول الخيرات ، حيث يتيسر لها بمحجرته أن يُظهر تلك الدعوة ويُجاهر بها ، فالداعية سيستطيع أن يجد حينها ، - بتوفيق الله - أرض خصبة لنبأته الطيب ، بخلاف تلك الأرض الجرداء التي تركها بمحجرته ، وسيُظهر العزة بدينه حين يقيمه شعائر دينه بيسرا وسهولة ، كما ستفتح الهجرة للدعوة مجالات رحمة لم يجد لها الداعية بوظنه الأول ، كأن يتمكن من أن يتوجه لصلاة الجمعة والجماعة في المساجد بيسرا وسهولة ، بينما ربما كان من الصعب عليه القيام بذلك في بلده الأول ، ولا أدل على ذلك من أن رسول الله ﷺ لم يحصل لدعوته العزة والمنعة لها ولأتباعها إلا بعد أن هاجر للمدينة المنورة ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾<sup>(٢)</sup> أي مكان تكون له فيه المنعة من تعذيب الكفار و أذاهم وسعة في الرزق وعزّة وخير للدعوة .

(١) سورة النحل ، الآية : ٤١ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٠٠ .

## المطلب الخامس

### كسب الرزق

إذا كان الشارع قد رخص للمحتاج أو الفقير أن يعرض حاجته للناس ، أو أجاز له أن يطرق أبواب المسألة، فإن ذلك مما لا ينبغي للدعاة أن يسلكوه بحال من الأحوال، بل يجب عليهم أن يتغففوا ، ولا يظهروا للناس فقرهم وقلة حالمهم ،وعليهم أن يستروا ذلك ويكتموه إتصافاً بقوله تعالى: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْنَيَاءٌ مِّنَ التَّعْفُفِ﴾<sup>(١)</sup> حتى يرزقهم الله عز وجل بما وعدهم به رسوله الكريم ﷺ: (ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغف<sup>(٢)</sup> يغنه الله) ولذا فعلى الداعية أن يجتهد ليعتمد على نفسه بطلب أسباب الرزق ، امثالاً للأمر بأخذ بالأسباب مع عدم الركون إليها ، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِوْا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُّوْا مِنْ رِزْقِهِ﴾<sup>(٣)</sup> ، فيطرق أسباب الرزق الحلال ، ثم يوطن نفسه على الرضا باليسير حتى يصل إلى درجة الاستغناء عن الخلق ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)<sup>(٤)</sup> ولا أدل على ذلك من قوله ﷺ لأصحابه: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم)، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: (نعم كنت أرعاها على قراريط

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الركوة، باب الاستغفار عن المسألة، حديث رقم (١٤٦٩)، ص ٢٧٣، و صحيح مسلم، كتاب الركوة ، باب فضل التعفف والصبر، حديث رقم (١٠٥٣)، ص ٤٦٧.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٤) سنن الترمذى، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، حديث رقم (٢٣٠٥)، ص ٥٢١، قال الألبانى: حديث حسن.

لأهل مكة<sup>(١)</sup> فرعى الرسول ﷺ الغنم حعله يستغنى عما في أيدي الناس ويعتمد عليهم في ذلك فتبقى قيمته وترتفع منزلته ، ويبتعد عن الشبه والتشكيك فيه، ولذا نجد أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانوا يؤكدون ذلك لأقوامهم بقولهم : ﴿وَيَقُولُ لَا إِسْلَامُ عَلَيْهِ مَا لَّا﴾<sup>(٢)</sup> ، ولا شك أن اعتماد الداعية على الكسب الحلال يكسبه الحرية التامة ، والقدرة على الدعوة والتصدع بها ، ولذا قال رسول الله ﷺ : ( ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده )<sup>(٣)</sup> فصاحب الدعوة لن تكون لدعوته أي قيمة في الناس ، ولن يحق له أن يعتز بتلك الدعوة إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته ، أو على أساس من عطايا الناس ، ولذا كان الداعية أخرى الناس بأن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي حتى لا يكون لأحد من الناس عليه منه أو فضل ، فيعوقه ذلك من أن يصدع بالدعوة .

(١) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، حديث رقم (٢٢٦٢)، ص

.٤٠٣

(٢) سورة هود، الآية: ٢٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم (٢٠٧٢)، ص

.٣٧٣

## المطلب السادس

### الحرص على تحبيب الدعوة بالعزّة

كان للعزّة في الدعوة أثر عظيم في فتح قلوب العباد وترغيبهم في الاستجابة لدين الله، فجذب قلوب كانوا من ألد أعداء هذا الدين فاستظلوا بظله الظليل لأن الناس تميل للعزّة والترفع وتأنف من الذل والهوان.

ولا يخفى على من يقرأ في السيرة المطهرة حديث : (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن)<sup>(١)</sup> وقد كان ذلك في فتح مكة ، وذلك لعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه رجل يحب الفخر والاعتزاز بالنفس ، ولم تكن هذه الجملة إلا استمالة منه لأبي سفيان رضي الله عنه - لأنه لم يكن هناك حاجة لدخول بيته مادام بإمكانه أن يدخل داره هو ليكون آمناً.

إذا علم المدعو أن هذا الدين هو دين العزة والقوّة، واستمد بتمسكه بهذه الدعوة قوته من قوتها وعزّته من عزّتها ناسب ذلك ما جُبِلت عليه نفوسهم البشرية من نيل لذلك ورغبةً فيه. فالدعوة موجهة لتلك النفس البشرية، و يجب النظر لها بواقعية تراعي طبيعتها وما جُبِلت عليه ، لأنها كانت تعترى بأيام الجاهلية بقبيلتها أو نسبها أو عرقها فجاء النبي ﷺ ورباهم على أن يغيروا مسار تلك العزة إلى العزة بالله ومنهجه وشرعه فهو حين سمعهم ينادي بعضهم بالأنصار باللمهاريين أجاهم: (دعوها فإنها خبيثة)<sup>(٢)</sup> وقال (ماهذا، دعوى

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في خير مكة، حديث رقم (٣٠٢١)، ص ٥٤٢، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما يُنهى من دعوى الجاهلية، حديث رقم (٣٥١٩)، ص

أهل الجاهلية ؟ )<sup>(١)</sup> ، فلا اعتزاز إلا بالإسلام ولا انتماء إلا إلى الإسلام. ولأن هذا الدين هو دين العزة والرفعة كان متسقاً مع الفطرة البشرية فإن من مهمة رجال الدعوة أن يحسنوا عرض هذا الدين للبشر من جهة صفاتكم وأساليبهم في عرض الدعوة، فليس أحد من الناس يعلم بهذه الدعوة وعزتها إلا وأحب أن يستجيب لها ويطيع أوامرها ما لم تعرض له عوارض الحسد والكثير ونحوها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم (٢٥٨٤)، ص

## المطلب السابع

### الولاء والبراء

نَحْنُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمُؤْمِنُونَ عَنْ مَوْلَةِ الْكَافِرِينَ بِالْحَبَّةِ وَالنَّصْرَةِ وَالاسْتِعْانَةِ بِهِمْ عَلَى أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وَمَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْخَاطِئَ وَأَخْرَفَ عَنِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ وَذَلِكَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ الَّذِي وَرَدَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: [وَمَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ]<sup>(٢)</sup> أَيْ أَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ وَلَيْسَ لَهُ فِي دِينِ اللَّهِ نَصِيبٌ، لَأَنَّ مَوْلَةَ الْكَافِرِينَ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ الإِيمَانِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْعَقِيْدَةُ، أَعْنَى عَقِيْدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءَ مِنْ أَبْرَزِ آثَارِ الْعَزَّةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِصَفَّةِ عَامَّةٍ وَالدُّعَاهُ بِصَفَّةِ خَاصَّةٍ، إِذَا يَجْبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَظْهِرُوا عَزَّةَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالذَّلَّةَ وَخَفْضَ الْجَنَاحِ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَعَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يُرِيكَ الْكَافِرُ مِنْ نَفْسِهِ عَزَّ وَقُوَّةً وَاسْتِعْلَاءً، لَا كَبَّراً وَلَا بَطْرَأً، بَلْ إِظْهَاراً لِقُوَّةِ هَذَا الدِّينِ وَعِزَّتِهِ، وَذَلِكَ امْتِنَالاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، فَهُمْ رَحْمَاءُ فِي مَا بَيْنَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَشَدَاءُ عَلَى الْكَافَّارِ وَأَقْوَيَاءُ فِي مَوَاجِهَتِهِمْ، وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ يَكُونُ مَنْ أَعْتَرَ بِالْكَافَّارِ مِنْ يَهُودُ أَوْ نَصَارَى أَوْ تَقْرَبُ مِنْهُمْ أَوْ فَضْلُهُمْ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ صَفَّةٌ مِنْ صَفَاتِ النُّفَاقِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

يَتَّخِذُونَ الْكُفَّارِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبَيَّتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ

لِلَّهِ جَمِيعًا .<sup>(١)</sup> ﴿١٣٩﴾

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٩ .

## المطلب الثامن

### فتح باب الأمل أمام المدعو بالتوبة

لقد أثني الله على التائب من الذنب في قوله - تعالى - : ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ  
ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول - عزوجل - : ﴿فَإِنْ تَابُوا  
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاهَوْا الزَّكُوَةَ فَإِخْرَجْنَكُمْ فِي الْدِينِ﴾<sup>(٢)</sup> ، كم قد حث على التوبة  
وشجع عليها بقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَيَعْفُوُ عَنِ السَّيِّئَاتِ  
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ، ولقد كانت التوبة والرجوع إلى الحق من أجل الأخلاق  
التي دعا إليها الإسلام ، بل وحث على الالتزام بها ، فالمسلم دائم الخطأ ، ولهذا فهو بحاجة  
مستمرة إلى تحديد تلك التوبة ، والرجوع إلى الحق . ولقد كان فتح باب الأمل أمام المدعو  
بتوبة من آثار العزة في الدعوة ، فالتبوية من آثار العزة على المدعو ، لأن الإنسان ضعيف  
معرض للخطأ في كل زمان ومكان ، حيث يقول الرسول ﷺ : (كل بني آدم خطاء ، وخير  
الخطائين التوابون)<sup>(٤)</sup> ، والتوبة هي الطريق الوحيد للرجوع والاستقامة والتقوى ، ومن ثم  
إظهار المدعو لعزته بدينه ، لأنه لو لم يفتح الله أمام خلقه هذا الباب لأدى ذلك لعدم  
نجاة أحد منهم ، كما يؤدي أيضاً إلى الطغيان والتجبر حين يأس العصاة من التوبة والمغفرة  
، فعلى الدعاة ألا ييأسوا مدعويهم من الصلاح والمهدى ، و لا أن يقنطوهم باستحالة

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

(٢) سورة التوبه، الآية: ١١.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٤) سنن الترمذى، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ٤٩ ، حدیث رقم

(٢٤٩٩)، ص ٥٦٣، قال الألبانى: حدیث حسن.

رجوعهم للاستقامة التي هي الطريق لعزّهم بدينهم، كما ينبغي أن يكونوا شديدي الحرص على هداية مدعويهم مهما بدر منهم من تحد وعناد ومناصبة بالعداء القولي أو الفعلي تجاه <sup>(١)</sup> الدعوة والدعاة.

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية لعبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة، الرياض، ط:

٥٧١، هـ، ص ٤٢٩

## المطلب التاسع

### الستر على المدعو عند الخطأ

كان منهج السلف في الدعوة اللطف في النصيحة لا القبح في الفضيحة، فينبغي للداعية أن يستر على المدعو، لأن في الستر نوع من تأليف قلبه والحفاظ على عزته وهيبته عند الآخرين، كما أن المدعو أولى الناس بالستر حتى يقبل على استجابة الدعوة ويقلع عن تلك المعصية.

فإن وقعت المعصية ورأى الداعية وجوب بيانها والنهي عنها، فيكون ذلك بلطيف النصيحة ، دون تحجم أو تجريح أو قدح أو ذم أو استنقاص أو هتك سترا، لأن المقصود هو إخراج ذلك المنكر والهول دون انتشاره في المجتمع وليس العداون على المدعو أو ذمه أو التقليل من شأنه ، وفي مثل هذا كان رسول الله ﷺ يعلمنا أن نقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا أو يقولون كذا وكذا ومنه ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: النبي ﷺ : (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في صلامتهم) فاشتد قوله في ذلك حتى قال: (ليتهين عن ذلك قوم أو لتخطفن أبصارهم)<sup>(١)</sup> ، ويقول ﷺ (لا يستر عبد عباد في الدنيا إلا ستره)<sup>(٢)</sup>.

فالداعية إلى الله أخ للمدعوين، يحفظ عليهم حياضهم وأسرارهم، ويصلح من شأنهم، ولا يهتك أسرارهم، فيهتدي بحدى رسول الله - ﷺ- وذلك بأن يحافظ على عزة مدعويه وكبرياتهم فيغضن الطرف عن زلات مدعويه ويحفظ أعراضهم ، لأن البوج بأسرارهم أمام

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، حديث رقم (٧٥٠)، ص ١٤٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب بشارة من ستر الله - تعالى - عيه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة، حديث رقم (٢٥٩٠)، ص ١٢٤٨.

الناس ، واطلاع الآخرين على عوراتهم من التشهير والفضيحة الذي تأباه النفوس وتنفر منه الطباع<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر: الأسس العلمية للمغذوي، ص ٥٧٢.

## المطلب العاشر

### الحوار مع المدعو

إن من يعمل نظره في نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة سيجد أن الأساس الذي تُبنى عليه الدعوة هو الحوار وليس الإجبار، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ﴾<sup>(١)</sup>، ولا أدل على أن الحوار من أبرز أساليب دعوة المدعو من قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾<sup>(٢)</sup> فهذه الآية تصرح بأن الحوار أو المجادلة بالتي هي أحسن قد تكون في مواطن كثيرة هي الأسلوب الأمثل والسبيل الأنجح لاستحابة المدعو، وهذا ما أكدته الرسول ﷺ في حواراته مع مشركي مكة أو اليهود والمنافقين الموجودين في المدينة، بل لقد كان الحوار سنة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم. والحوار مع المدعو أحد آثار العزة على الدعوة، إذ به احترام للمدعو واعتراف بقدره، كما أن فيه تقدير لعزّة المدعو واعتراف بكيانه واحترام لوجهة نظره ومناقشتها وتفنيدها بالأدلة الشرعية فيصحح الخطأ وتقوم المسيرة.

فالاختلاف بين البشر أمر فطري وظاهرة صحية، ثم أن المدعو بحوار الدعاء معه يعرف تقديرهم واحترامهم له، فيزول ما به من تعصب وحمية، فيُقبل على الحق الذي لديهم، ويقبل أن يمد يده فيمسك بأيدي هؤلاء الدعاة ليوصلوه إلى الطريق القويم وعندما يدرك النقص الذي لديه ويتدارك الخطأ.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

كما أن في الحوار عزة للدعوة في حد ذاتها إذ ان في ذلك الحوار بيان لمسائلها الدقيقة وتوضيح مقصودها الصحيحة التي ليس فيها مجال للخطأ أو الاجتهادات البشرية الخاطئة.

### الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام والسلام على النبي الأمي إمام المرسلين وسلم تسليماً كثيراً، فلله الحمد والمنة أولاً وآخراً على إتمام هذا البحث. فبدأت الدراسة بمقدمة والتي لا غنى للباحث عنها، وتضمنت العناصر الرئيسية الواجب توافرها في البحث العلمي، ثم تناولت أربعة مباحث كالتالي:

فالمبحث الأول تناول مشروعية العزة، وقد تبين ذلك من خلال منزلة العزة في الإسلام ثم طرق الشارع في تقرير حقيقة العزة ، والمبحث الثاني في أنواع العزة وقد تم تقسيمها لأنواع العزة من حيث المصدر، والمعنى، وأخيراً المدح، والذم ، وكان المبحث الثالث في ضوابط العزة في الدعوة، أما المبحث الرابع فقد كان في آثار العزة على الدعوة.

وإذا بلغ هذا البحث نهايته فإنه من المناسب أن أذكر أهم النتائج:

- مما يدلل على منزلة العزة في الإسلام ارتباطها باسم من أسماء الله الحسنى وكانت صفة للقرآن وكثرة ورودها في القرآن والسنة.

- جاءت طرق كثيرة في الشعع لتقرير حقيقة العزة كأسلوب النهي الصريح عن المهانة والذلة وأسلوب الأمر بالطريق الذي يؤدي للعزّة وما يستوجبها .

- يجب أن نعتمد في العزة على ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع عند الدعوة .

- للعزّة عدة آثار على الدعوة منها كالوضوح ومشروعية المحرّة عند الحاجة إليها والمحوار مع المدعو والستر عليه.

وأما أهم التوصيات هي:

- أوصي نفسي وجميع أهل الدعوة بتقوى الله في السر والعلن فهي وصية الأولين والآخرين.

- توصي الباحثة المتخصصين في علم الدعوة وطلاب العلم في كليات وأقسام الدعوة الذين يدرسون في مرحلة الماجستير والدكتوراه بأن يقوموا بالبحث والتوسيع في الكتابة بالجوانب النفسية للدعوة ، وأن يهتموا كثيرا بالكتابة في علم النفس الدعوي
- توصي الباحثة كليات وأقسام الدعوة بمزيد عناية بتحرير الألفاظ الشرعية وإيضاح معانيها.

**المصادر والمراجع:**

بعد كتاب الله - تعالى - (القرآن الكريم) يكون ترتيبها في المجائحة على النحو التالي:

- أحكام أهل الذمة لابن القيم، دار الحديث ، القاهرة .
- أساليب ومنهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية لأحمد الصباب، دار البلاد، جدة، ط ٣ : ١٤١٩ هـ.
- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية لعبدالرحيم المغدوبي ، دار الحضارة، الرياض، ط ١٤٢٩ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- الإيجابية في حياة الداعية محمد أحمد الراشد ، دار البشير، جدة.
- البداية والنهاية، ابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت.
- تأليف القلوب في الدعوة لعبدالعزيز الروضان : ١٤١٩ هـ ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام.
- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، لعبد رب النبي أبو السعود، دار التوفيق ، القاهرة، ط ١٤١٢ هـ.
- الترغيب والترهيب للمنذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار ابن حزم ، بيروت، ط ١٤٢٠ هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبرى، دار هجر، مصر ، ط ١٤٢٢ هـ.
- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوى، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٣ : ١٤١١ هـ.
- روضة الأنوار لصفى الرحمن المباركفورى، مكتبة دار السلام، الرياض، ط ٣، ١٤٢٤ هـ.
- زاد المعاد لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٣ : ١٤٠٦ هـ.
- سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف ، الرياض، ط ٢: ١٤٢٩ هـ.

- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، دار السلام، الرياض، ط ١٤٢٠ هـ.
- سنن الترمذى ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ .
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، الرسالة، ط ١١٧ ، ١٤١٧ هـ .
- السيرة النبوية لابن هشام ، مؤسسة علوم القرآن ، ج ١
- شرح أسماء الله تعالى الحسنى لحصة عبدالعزيز الصغير، دار القاسم، الرياض، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ .
- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ، دار الوطن ، الرياض: ١٤٢٦ هـ.
- صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٥ ، ١٤٢٨ هـ .
- صحيح مسلم، دار الأرقم، بيروت، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- طبقات المفسرين لأبي فضل السيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١ .
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ، دار ابن كثير ، دمشق .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ .
- الفتوح في حياة الداعية لعثمان محمد دفع الله ، مجلة معالم الدعوة الإسلامية في جامعة أم درمان.
- فقه السيرة لزيد الزيد، دار التدميرية، الرياض، ط ٣ ، ١٤٢٨ هـ.
- فوات الوفيات والنيل عليها، محمد شاكر الكتبى، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣ م .
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ط ١ ، بيروت.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة: ١٤١٦ هـ .
- محاسن التأویل للقاسی ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ : ١٩٧٨ م
- مدارج السالكين لابن القيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت

- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية للدكتور صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض ، ط ١، هـ ١٤١٦ ،
- مشكلة الغلو في الدين لعبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١٤١٩ هـ
- المعجم الكبير للطبراني، دار الرایة ، الرياض.
- معجم المؤلفين لعمر كحاله، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق، القاهرة،.
- موسوعة نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لصالح بن حميد وآخرين ، دار الوسيلة ، جدة ، ط ١، هـ ١٤١٨ ،
- نزهة الأعين النواذير لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ ، هـ ١٤٠٥.



البحث رقم (٢)

مسؤولية الدعاة في المملكة العربية السعودية تجاه  
جائحة كورونا

إعداد

د. عبدالعزيز بن محمد بن عبد الرحمن الحمدان  
الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية  
المعاصرة في كلية العلوم والدراسات الإنسانية  
جامعة المجمعة



## المقدمة

إن الحمد لله نحمدك ونستعينك ونستغفر لك، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدك الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، قال الله تعالى:

**﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ حَقٌّ تُفَانِهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**

(١)، وقال الله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُولُ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُولُوا اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلَ عَنْ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾** (٢)، وقال الله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾** (٣)، أما بعد (٤):

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بكل ما يتواافق مع حياة الناس في كل زمان ومكان، كما أكدت الشريعة الإسلامية على المحافظة على حياة الناس بشتى الطرق من خلال المحافظة على الضرورات الخمس التي فيها سعادة للبشرية،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٧١-٧٠.

(٤) انظر: سنن ابن ماجة: ٦٠٩/١، رقم (١٨٩٢)، وتنصي هذه الخطبة عند العلماء: خطبة الحاجة، وصححه الألباني.

فحفظ الدين يعد من أسس بناء المجتمعات، وحفظ النفس التي تتقلب بنعم الله ربّك المستمرة من حيث المحافظة عليها وعلى كل ما يؤثر فيها من الأمراض وغيرها، وحفظ النسل من كل ما يعتدي عليها من الأمور المحرمة ويؤثر فيها، وحفظ المال الذي يسعد به الإنسان في حياته، ويُسخره للعون في الحلال وترك ما يشوبه من المحرمات، وحفظ العقل الذي هو مناط التكليف من كل شيء يؤثر عليه ويضيءه، وهذه الضرورات لا شك أنها تُبني عليها كثير من الأحكام الشرعية التي تعد الصلة بين العبد وربه، ولذا فقد أولى الشارع الحكيم الاهتمام بكل افراد المجتمع بما يكفل لحياة الناس حياتهم، وحفظ حقوقهم الدينية والدنيوية، ويضبط معيشتهم وصحتهم وواجباتهم المنوطة بهم، وهذا ما لا نجد له في الشرائع الأخرى، وهو الذي سعى إليه الدعاة إلى الله ربّك في توعية الناس عامة والمسلمين خاصة لتحذيرهم، وتوعيتهم ، وإنقاذهم من هذه الجائحة الخطيرة التي غزت المسلمين دون سابق علم بها وأصبحت تفتئ ببعض أفراد المجتمعات دون وجود أي دواء طبي؛ إلا دواء الشريعة الذي يزرع الطمأنينة الإيمانية في نفوس البشر، ولذا كان من اهتمام الدعاة إلى الله ربّك تبصير الناس، وتوجيههم وإرشادهم إلى الخير بكل أنواعه، وتحذيرهم وإنقاذهم من الشر بكل أنواعه والسعى في دلالة الناس على كل ما يحفظ حياتهم ويسعد معيشتهم ويلين قلوبهم بكل قول حسن، ولذا كان الدعاة إلى الله ربّك هم أحسن الناس قولًا في دعوتهم في الرخاء والشدة وفي الصحة

والقسم يقول تعالى مادحًا لهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الأمور الواجبة التي يقوم بها الدعاة إلى الله تبشير الناس وتوعيتهم حين حلول الوباء والأمراض المتفشية في المجتمع، وتعليقهم بالله تبشير، والدعوة إلى استخدام جميع الوسائل الوقائية الشرعية، والتقييد بالأنظمة والتعليمات، وبما ينشر من الوسائل الوقائية الطبية، ومشاركة الجهات المعنية في بث الطمأنينة في نفوس المجتمع، ومساندة وزارة الصحة مثلثة في الأطباء والطاقم الصحي الذين يذلون أنفوسهم وأوقاتهم ويعملون على قدم وساق من أجل حماية الناس من تلكم الأمراض.

### أولاً: مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث في أن هذه الجائحة (كورونا) لها أحکامها الشرعية الخاصة المستجدة التي يجب بيانها من خلال كيفية أن هذه المخنة فيها من الملح الشيء الكثير، والتي يظهر الاستفادة منها أثناء هذه الجائحة، وذلك من خلال الرخص الشرعية في أبواب الفقه ومن حيث بيان مفهوم هذه الجائحة الشرعي، ووظيفة الدعاة إلى الله تبشير في تبيين الضوابط الشرعية، والأعذار المبيحة للرخصة والأحكام المتعلقة بأركان الإسلام وشؤون حياة المجتمع.

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

## ثانياً أهمية البحث:

١. تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال بيان وظيفة الدعاء إلى الله تعالى في إظهار الأحكام الشرعية المترتبة على هذه الجائحة.
٢. وتأتي الأهمية في بيان صلاحية الشريعة في كل زمان ومكان من خلال القواعد الشرعية الثابتة.
٣. تظهر الأهمية من خلال قيام الدعاء في إبراز الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه الجائحة المستجدة ومواكتتها للواقع.
٤. وتكون الأهمية في قيام الدعاء إلى الله تعالى في وضع العلاج، والوقاية المناسبة من خلال الأحكام الشرعية في المسائل المستجدة التي لم يسبق بحثها بشكل خاص.
٥. وتحل أهمية هذه الدراسة في بيان مسؤولية الدعاء إلى الله تعالى إلى إظهار استيعاب الشريعة الإسلامية لكل النوازل والمستجدات على مر العصور.
٦. وتبين أهمية هذه الدراسة من خلال بيان الدعاء إلى الله تعالى إلى الأحكام الشرعية المهمة المتعلقة بأركان الإسلام، وشؤون حياة المسلمين.

## ثالثاً: أسباب اختيار البحث:

١. عدم وجود دراسة علمية تختص بمسؤولية الدعاء إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا.

٢. الوقوف على وظيفة الدعاة إلى الله ﷺ ومسؤوليتهم في توعية المجتمع فيما يخص جائحة كورونا.
٣. بيان أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان في ظل وجود الأزمات، وفي زمن وجود جائحة كورونا.
٤. بيان وظيفة الدعاة إلى الله تعالى في توضيح الأحكام الشرعية في الوقاية من جائحة كورونا.
٥. بيان وظيفة الدعاة إلى الله تعالى في التأصيل الشرعي لجائحة كورونا وفق الضوابط الشرعية.

**رابعاً: أهداف البحث:**

١. التعرف على وظيفة الدعاة إلى الله تعالى ومسؤوليتهم بحاجة جائحة كورونا.
٢. التعرف على وظيفة الدعاة إلى الله تعالى في بيان الأحكام الشرعية الخاصة بجائحة كورونا المستجدة وفق الكتاب والسنة.
٣. التعرف على مجالات الدعاة في بيان طرق معالجة الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات وشأن الحياة في ظروف جائحة كورونا.
٤. التعرف على التأصيل الشرعي لبيان مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى بحاجة كورونا المستجدة.
٥. التعرف على استيعاب الشريعة لكل النوازل والمستجدات على مر العصور.

## ٦. التعرف على أساليب ووسائل الدعاة إلى الله تعالى المستخدمة وفق

القرآن الكريم، منذ فجر التاريخ على يد النبي ﷺ إلى يومنا هذا،  
وستظل هي الأداة في توعية وتوجيه المجتمع وتلبيغ الدعوة إلى تعالى  
إلى أن يرث الله عجل الأرض ومن عليها<sup>(١)</sup>.

### خامسًا: الدراسات السابقة:

هناك أبحاث تناولت المسؤولية الدعوية تجاه جائحة كورونا، ومن أبرزها:  
المسوؤلية الدعوية تجاه الأمراض المعدية كوروناً أنموذجاً، للمؤلف: رائد بن فؤاد  
باجوري، المملكة العربية السعودية، ٢٠٢١م، لكنه لم يفصل في تناول أبعادها  
الإرشادية والوقائية، والفردية والمجتمعية والحكومية. ولم أقف على أي دراسة  
تأصيلية تفصيلية متخصصة تبين مسوؤلية الدعاة إلى الله تعالى تجاه جائحة كورونا  
بشكل أعم وأدق، وبعد البحث والتقصي وجدت بعض الأبحاث الطبية المنشورة  
عن منظمة الصحة العالمية في موقعها الإلكتروني، وحضرت المؤتمر المتعلق ببعض  
الجوانب الفقهية وأصول الفقه في كلية الشريعة في دولة الكويت في يومي ٢٩-٣٠  
٢٠٢٠م، حيث وقفت على أوراق هذا المؤتمر تحديداً، ويتفق البحث مع  
أوراق المؤتمر فيما يتعلق بتعريف جائحة كورونا حيث سوف يستفيد الباحث من  
ذلك في التعريف بمصطلحات البحث.

(١) وبذلك نفهم معنى كون المعجزة الخاتمة لنبينا محمد ﷺ (القرآن الكريم) المعجزة البينية والتي يسعى  
الدعاة إلى الله ﷺ إلى الاستدلال بها في هذه الجائحة وطمأنة الناس بها.

### سادساً: منهج البحث:

سلكَت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والذي يعرف بأنه: " تتبع الجزئيات كلها، أو بعضها؛ للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً" (١)، وذلك من خلال جمع المعلومات حول موضوع الدراسة وخلال استقراء مفهوم مصطلحات البحث، وأهميته، ومسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تجاهجائحة كورونا، فطبيعة هذه الدراسة تقتضي استخدام المنهج العلمي هو الطريق المأمون للوصول إلى معرفة كل ما يتعلق بموضوع هذه الدراسة.

### سابعاً: خطة البحث:

#### المقدمة، وتتضمن الآتي:

أولاً: مشكلة البحث.

ثانياً: أهمية الموضوع.

ثالثاً: أسباب اختياره.

رابعاً: أهداف البحث.

خامساً: الدراسات السابقة.

سادساً: منهج البحث.

---

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن الميداني، ص ١٨٨ .

سابعاً: خطة البحث.

### المبحث الأول: مفهوم مصطلحات البحث:

المطلب الأول: مفهوم المسؤولية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مفهوم الدعاة والدعوة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: مفهوم جائحة كورونا في اللغة والاصطلاح.

### المبحث الثاني: مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا:

المطلب الأول: نشأة وبيان أهمية حقيقة وباء كورونا.

المطلب الثاني: مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا.

المطلب الثالث: وظيفة الدعاة في بيان طرق الوقاية الشرعية من الأمراض.

### المبحث الثالث: مسؤولية الدعاة الوقائية تجاه جائحة كورونا:

#### المطلب الأول: مسؤولية الدعاة الوقائية في المسائل الشرعية.

أولاً: الأذان للصلوة المفروضة.

ثانياً: أداء الصلاة المفروضة جماعة.

ثالثاً: إخراج الزكاة المفروضة.

رابعاً: الصيام.

خامساً: ما يتعلق بالحج.

#### المطلب الثاني: المسؤولية الدعوية المجتمعية في التوعية الوقائية تجاه جائحة كورونا.

أولاً: توعية الناس على الأخذ بتوجيهات وزارة الصحة.

ثانياً: توعية الناس على التداوي بالمشروع.

ثالثاً: توعية الناس على النظافة.

رابعاً: توعية الناس على العناية بالجسم.

**المبحث الرابع المسؤولية الوقائية الحكومية تجاه جائحة كورونا:**

المطلب الأول: مسؤولية السمع والطاعة لولي الأمر.

المطلب الثاني: المسؤولية الأمنية.

المطلب الثالث: مسؤولية وزارة التجارة.

المطلب الرابع: مسؤولية وزارة التعليم.

المطلب الخامس: مسؤولية هيئة كبار العلماء.

المطلب السادس: مسؤولية وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

المطلب السابع: وزارة العدل

المطلب الثامن: وزارة الصحة.

**الخاتمة:** وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول

### مفهوم مصطلحات البحث

#### المطلب الأول

##### مفهوم المسؤولية في اللغة والاصطلاح

**أولاً: مفهوم المسؤولية في اللغة:** مشتقة من الفعل الثلاثي: (سأل) يسأل فهو مسؤول، والمسؤولية هي الاسم وتعني التبعة أي المطالبة، أو المؤاخذة<sup>(١)</sup>.

**ثانياً: مفهوم المسؤولية في الاصطلاح:** هناك من عرفها بالمؤاخذة على فعل أو قول، ومنهم من قال بأنها: تحمل الشخص نتائج تصريحه، ومنهم من عرفها بأنها: التزام الشخص بالعمل المنوط به، ومنهم من عرفها بأنها: حالة يكون فيها الإنسان صالحًا للمؤاخذة على أعماله وملزماً بنتائجها المختلفة<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من هذا المفهوم هو الالتزام والتحمل بأي عمل ينطوي عليه المرء في هذه الحياة وخصوصاً في الأمور التي تتعلق بحياة الناس ويكون الشخص مناطاً بها وعالقاً بذاته أداءها على أحسن وأكمل وجه، وخصوصاً في هذا الوقت الذي ظهر فيه هذا الوباء فإن المسؤولية تكون عظيمة، وبيان الحقيقة وتوعية الناس تكون أعظم لمن تولى هذه المسؤولية.

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ١/١٣٣.

(٢) انظر المسؤولية الخلقية، د. أحمد الخليبي، ص ٦.

## المطلب الثاني

### مفهوم الدعاة والدعوة في اللغة والاصطلاح

**أولاً: مفهوم الدعاة اللغوي:** لفظ (دعاة) مأخوذ من الفعل دعا، يدعوه، ادع، ومصدر دعاء، دعوة، ومدعاه، دعوى فهو داع، والمفعول مدعو، ودعى. ودعا إلى الأمر: حرث على اعتقاده، ونادى به، إذا سمح لكم بالدخول البيت. ودعت الحاجة إلى ذلك: اقتضت، تطلبت. وقيل دعاة: اسم، ودعاة جمع داعي، وقيل جمع داع، وقيل جمع داعية، وجمع مدعاه، والمدعاه هي الدعوة<sup>(١)</sup>.

**ثانياً: مفهوم الدعاة في الاصطلاح:** قيل هم القائمون بالدعوة، وقيل: المبلغ للإسلام والمعلم له، والساubi إلى تطبيقه<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا يتبيّن أن مسؤولية الدعاة عظيمة في ظل وجود هذه الجائحة وفي تبليغ الناس ما ينفعهم والتحذير مما يضرهم.

**ثالثاً: مفهوم الدعاة اللغوي:** لها معانٌ متعددة كلها تدور حول (الطلب، والسؤال، والنداء، والتجمّع، والدعاء، والاستمالة). فالدعاة: مصدر للفعل الثلاثي: دعا يدعوه، دعوة.

والدعاة بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء، وبكسر الدال: الدعوة في النسب. والداعي: من تبنيته، ودعاه: صاح به، ومنه الدعاء والأدعية<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر المرجع السابق، لسان العرب، ابن منظور ١/٤٠٢.

(٢) انظر المدخل إلى علم الدعاة، د. محمد أبو الفتح البيانوي، ص ٤١، بتصرف.

(٣) انظر: الصاحح "تاج اللغة وصحاح العربية"، الم Johari، ٦/٢٣٣٨-٢٣٣٦، وختار الصحاح،

**رابعاً: مفهوم الدعوة الاصطلاحي:** فكلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تتضمن: الإسلام أو الرسالة، أو على عملية نشره وتبلیغه وبيانه للناس، والسياق هو الذي يحدد المعنى المراد<sup>(١)</sup>.

**وقيل الدعوة بمعنى النشر والبلاغ:** وهي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله عَزَّوجَلَّ، ولملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد المسلم ربه عَزَّوجَلَّ كأنه يراه<sup>(٢)</sup>.

**وقيل: إن الدعوة إلى الله:** تبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة<sup>(٣)</sup>. وقيل: إن الدعوة إلى الله: إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأسمى والأمثل التي تتناسب مع أحوال المدعوين<sup>(٤)</sup>.

---

الرازي، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٠-٢١.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٥٧/١٥-١٥٨.

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص ١٧.

(٤) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص ٢١.

وَقِيلَ الدُّعْوَةُ بِمَعْنَى الدِّينِ أَوِ الرِّسَالَةِ: أَيْ أَنَّهَا الدِّينُ الَّذِي بَعَثَ بِهِ اللَّهُ  
رَبُّ الْرَّسُلِ جَمِيعاً، وَتَحْدُدُ عَلَى يَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ الرَّسُلِ، كَامِلاً وَافِياً لِِإِصْلَاحِ  
الدِّينِ وَالْأَنْوَارِ وَالآخِرَةِ (١).

وَقِيلَ بِأَنَّ مَعْنَى الدُّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: نَدَاءُ الْحَقِّ لِلْخَلْقِ، لِيُوحِدُوا الْمُعْبُودَ،  
وَيُعَبِّدُوا الْوَاحِدَ، حَنَفَاءُ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ، مُتَبَعِّينَ غَيْرَ مُبَدِّعِينَ (٢).  
وَعَلَى هَذَا تَجْتَمِعُ الْمَسْؤُلِيَّةُ وَالدُّعَاهُ وَالدُّعْوَةُ لِبِيَانِ الْحَاجَةِ الْمَاسَّةِ لِتَوْعِيَّةِ  
وَتَوْجِيهِ النَّصِيحَةِ لِعَلَاجِ النُّفُوسِ، وَبِيَانِ الْعَلَاجِ الْوَقَائِيِّ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ  
ضَارٌ لِلنَّاسِ، وَفِقْهُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

---

(١) انظر: الدُّعْوَةُ إِلَيْهِ "دُعْوَةُ عَالَمَيَّةِ"، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الرَّاوِي، ص ٣٩، بِتَصْرِيفِ.

(٢) انظر: التَّخْطِيطُ لِلْدُّعْوَةِ إِلَيْهِ وَأَهْمِيَّتِهِ، د. مُحَمَّدُ الْأَحْمَدِيُّ أَبُو النُّورِ، ص ١٠.

## المطلب الثالث

### مفهوم جائحة كورونا في اللغة والاصطلاح

#### أولاً: المفهوم العام للفظ جائحة:

اسم فاعل من حاج، والجمع منها جائحات وجوائح يقال اصابته جائحة: أو بليه أو تحلكة أو داهية، ويقال داهية: مصيبة تحل بالرجل في ماله فتحتاجه كله. ويقال سنة جائحة: أي جدبة أو غباء أو قاحلة. والمصدر اجتياح: يقال اجتاح البلاد: بمعنى دخولها غصباً وقهرًا، وأكتساحاً، ويقال المراد بالجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تحتاج المال من سنة أو فتنة<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً: مفهوم كورونا في اللغة:

هو مرض معد من سلالة فيروسات كورونا (كوفيد - ١٩)<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا فإن معنى الجائحة يوضح الشدة والنازلة التي تحل على كل شيء يخص المرء في نفسه وحياته.

ثالثاً: مفهوم جائحة عند أهل الفقه: بأنه ما أذهب الثمر أو بعضه بأفة سماوية<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٣١/٢.

(٢) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية <https://www.who.int/ar>

(٣) انظر: المعجم الوسيط، ص ١٤٥.

أمر بوضع الجوائح حديث جابر، «أن النبي ﷺ أمر بوضع الجوائح»، والمعنى انه ﷺ نهى عن أخذ صدقة مما تبقى من المحصول المصاب بأفة سماوية<sup>(١)</sup>.

رابعاً: مفهوم كورونا في الاصطلاح: بعد البحث والتحري لم أعثر على مفهوم خاص، لأن اللفظ في أصله غير عربي، ولكن عرّفته منظمة الصحة العالمية بأن: علم فيروسات كورونا هو سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس)، والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس) فيروس كورونا هو اختصاراً كوفيد-١٩، ويُعرف أيضاً باسم المرض التنفسي الحاد المرتبط بفيروس كورونا المستجد ٢٠١٩، وقيل: هو مرضٌ تنفسي إنتاني حيواني المنشأ، يُسببه فيروس كورونا المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة<sup>(٢)</sup>.

وقيل هي: الأمراض التي تنتج من الإصابة بعدها بعامل مسبب، يمكن انتقاله من إنسان لإنسان، أو من إنسان لحيوان، أو من حيوان لحيوان، أو من البيئة للإنسان والحيوان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: ١١٩١/٣، رقم (١٥٥٤).

(٢) انظر موقع منظمة الصحة العالمية. <https://www.who.int/ar>

(٣) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية <https://www.who.int/ar>

وعرفها بعض الباحثين بأنها: "كل مرض ينتقل من كائن إلى آخر بطريق ميكروبي"<sup>(١)</sup>، ويدخل الميكروب نفسه إلى جسم إنسان آخر فيحمل المرض دون أن تظهر عليه أعراضه، ويدخل إلى جسم ثالث فتحصل له بسبب دخوله مناعة تقاوم الميكروب وتقضيه عليه، وهذا كله بيد الله تعالى وحده، فهو النافع والضار، وهو الذي إن أذن للميكروب أعدى، وإن لم يأذن لم يُعدِّ، بل يكون مفيداً للجسم<sup>(٢)</sup>.

وعليه فإن مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تتمثل في أمرين:  
أولاً: تحمل الدعاة هذه الأمانة في توعية وتوجيه الناس، وتبلغهم خطر هذا المرض وطرق الوقاية الشرعية منه.

ثانياً: إن في تقصير الدعاة، وعدم القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى للحفاظ على الأنفس والأموال تجاه جائحة مرض كورونا التي تنزل بالأمة وتفتك بها ينالهم نصيب من الإثم، كما يجب عليهم أن يوضّحون للمدعّوين الدليل الشرعي من الكتاب والسنة، في مثل هذه الأحوال من الأخذ بالاحتياطات والاحترازات الشرعية والطبية، وماذا يجب أن يكونوا عليه من الوقاية وطرق الحفاظ على الأنفس والأموال التي تعد من ضروريات الحياة التي جاءت الشريعة الإسلامية بالمحافظة عليها.

(١) جنائية نقل الأمراض المعدية، أحمد آل طالب، ص ٣. بتصرف.

(٢) العدوى بين الطب وحديث المصطفى، د. محمد البار، ص ٢٦ بتصرف.

### التعريف الإجرائي لهذه الدراسة:

هو تحمل الدعاة إلى الله تعالى المسؤولية في توعية وتوجيه المدعوين وبث الطمأنينة لهم، وإنقاذهم، وتحذيرهم من خطر هذا الوباء المستجد بكلفة الطرق الشرعية، واتخاذ الإجراءات الوقائية التي تحفظ عليهم حياتهم.

## المبحث الثاني

### مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا

#### المطلب الأول

##### نشأة وبيان أهمية حقيقة وباء كورونا

نشأة مرض كورونا الذي لم يكن يعرف في جميع دول العالم، بل لم يكن هناك أي علم بوجوده، وأثاره حيث بدأ بالظهور والانتشار في مدينة يوهان الصينية في كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٩م<sup>(١)</sup>.

وقد انتشر هذا الداء وزاد انتشاره على غالبية دول العالم ، وأصبح يفتكر بحياة البشرية رغم قيام بعض الدول بوضع الاحتياطات والاحترازات للحد من انتشار هذا المرض إلا أن بعض الدول لم تبالي ولم تضع له أهمية إلا بعد أن تفشي هذا الداء، وأصبح الأموات لديهم بالآلاف، فقدت السيطرة عليه وأصبح يفتكر فيهم كما أظهرت وسائل الاعلام، وأما البعض الآخر فقد أخذت بالاحتياطات الالزمة ووضعت الاحترازات مما قلل من انتشاره رغم وجوده، ولكن أصبح يلحظ أن الوفيات في ارتفاع في جميع دول العالم بسبب تفشي هذا المرض، ويصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض ودون أن يشعروا بالمرض<sup>(٢)</sup>.

---

(١) مرض كورونا الذي صنف من قبل منظمة الصحة العالمية في أيام كتابة البحث عام ٢٠٢٠م.

(٢) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية <https://www.who.int/ar>

وتبرز أهمية وحقيقة هذا المرض بشكل ملفت من المعاناة التي تظهر لبعض الناس من خلال الأعراض التي تصيبهم في الحمى والإرهاق والسعال الجفاف، وما يعاني به بعض المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، أو الرشح، أو ألم الحلق، أو الإسهال، وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة وتبدأ تدريجياً حتى تشتد حدة المرض لدى بعض الأشخاص وخصوصاً الذين يعانون من بعض الأمراض في صعوبة التنفس، وتزداد احتمالات الإصابة بهذا الفيروس في كبار السن، والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكري وغيرها من الأمراض التي أصبحت تظهر لنا بين الفترة والأخرى من جراء هذا الفيروس.

إن وظيفة الدعاة تتلخص في توعية الناس وتوجيههم التوجيه الصحيح، خصوصاً عندما يداهم الناس هذا الوباء، وما فيه من الخوف، والوساوس والهلع، فهم بحاجة ماسة إلى جرعات إيمانية تثبتهم وتقلل من هلعهم، وتزرع في نفوسهم الطمأنينة، وتبين لهم الأحكام الشرعية في مثل هذه الحالات وما ينبغي أن يكون عليه المسلم من التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب الشرعية والنظمية، والاحترازات الوقائية والعلاجية في الحد من انتشار هذا المرض.

## المطلب الثاني

### مسؤولية الدعاة الشرعية تجاه جائحة كورونا

إن مسؤولية الدعاة عظيمة وتعظم في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الداء من خلال تبيين الحق للناس من خطر هذه الجائحة في هذا الوقتخصوصاً وقد أصبح هذا الداء يفتک بالصغير والكبير والذكر والأئم والمسلم وغير المسلم، ولذا يسعى الدعاة إلى الله عَزَّلَهُ في وضع بعض الاحترازات الشرعية الوقائية لهذا المرض من خلال ما يلي:

١. تنبیه المدعوین على عدم الدخول والخروج من المدينة الذي فيها

المرض، والابتعاد عن الشخص المريض واستخدام جميع وسائل

العلاج المناسب لهذا الداء.

٢. تنبیه المدعوین على تنظیف اليدين بالماء والصابون وفرکهما لقتل

الفیروسات.

٣. تنبیه المدعوین بوضع ما يمنع من انتشار الرشح لآخرين كالمناديل

وغيرها.

٤. تنبیه المدعوین على الطهارة الكاملة والتبعاد أثناء التواجد في

الأماكن في جميع الأحوال.

٥. تنبیه المدعوین بعدم الخروج والاحتلاط بالناس وخصوصاً في

الأماكن المزدحمة العامة كالأسواق وغيرها.

٦. تنبیه المدعوین إلى عدم الاستماع إلى الوسائل الإعلامية التي تنشر

الخوف والإرهاق والهلع.

٧. تنبية المدعوين على من لديه شيء من أعراض مرض الكورونا عليه أن يحجر على نفسه حتى يشفى من هذا المرض.
٨. تنبية المدعوين على من لديه أعراض مرض كورونا الاتصال بالجهة المعنية وهي وزارة الصحة لكي يضعوا الدواء على الداء ويخمي نفسه والأخرين.
٩. تنبية المدعوين على الاستماع إلى التحذيرات النظامية التي تصدرها بعض الجهات المعنية ذات الاختصاص.
١٠. تنبية المدعوين علىأخذ الحيطة والحذر من نقل هذا الفيروس لآخرين.
١١. تنبية المدعوين على الأخذ بالتدابير الوقاية التي تصدر من جهات الاختصاص.
١٢. تنبية المدعوين الأخذ بالتدابير الوقاية من مصدرها الأساسي الذي هو الأعلم بتفاصيل هذا الداء.
١٣. تنبية المدعوين إلى التباعد الجسدي، ومنع التجمعات العائلية وغيرها.
١٤. تنبية المدعوين على السمع والطاعة لولاة أمر هذه البلاد المباركة فيما يخص هذه الجائحة وغيرها<sup>(١)</sup>.

---

(١) وجميع هذه التوجيهات والنباءات تلخصت في الإجراءات التي أقرتها ونفذتها الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية، وكان للعلماء الدور البارز على المنابر وفي مختلف وسائل الإعلام في

### المطلب الثالث

#### وظيفة الدعاة في بيان طرق الوقاية الشرعية من الأمراض

إن مسؤولية الدعاة تعني تحمل الأمانة في بيان الطرق الشرعية من قبل الدعاة إلى الله تعالى في تقليم ما فيه سعادة ونجاة للبشرية، والقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى تجاه هذا الجائحة من مرض كورونا التي نزلت بالأمة، وتنشت في جميع المجتمعات، وسمع بها الداني والقاصي وتضرر منها جميع المسلمين وغيرهم، لذا وجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يظهروا وظيفتهم الشرعية في توعية وتوجيه المدعوين، والمجتمع بشتى الوسائل الوقائية الشرعية وبث الطمأنينة في نفوس المدعوين من خلال الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة الذي تطمئن إليها النفوس، وتسليم بكل ما جاء فيها، وذلك من خلال ما يلي:

**أولاً: حث الناس على التوكل الله تعالى:**

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول النبي ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خاماً وتروح بطاناً»<sup>(٢)</sup>.

=التوعية بكل ذلك.

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ١/٣٣٢، رقم (٢٠٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: "حديث حسن صحيح".

ثانياً: حث الناس على التعلق بالله تعالى والالتجاء إليه تعالى:  
يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدِ الْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ ﴾ (١).

يقول النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل ذكر الله حاليا، ففاضت عيناه» (٢).

ثالثاً: حث الناس إلى أن الابتلاء سنة إلهية:  
يقول الله تعالى: ﴿ وَنَبِلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣).  
ويقول النبي ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكلها» (٤).

رابعاً: حث الناس على حسن الظن بالله تعالى:  
يقول الله تعالى: ﴿ يَظْنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَ الْجَهِيلَةِ ﴾ (٥).  
وقال النبي ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني» (٦).

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم، ٧١٥/٢، رقم (١٠٣١).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٤) أخرجه البخاري، ١١٤/١١٤، رقم (٥٦٤٠).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٦) أخرجه البخاري، ١٢١/٩، رقم (٧٤٠٥)، وأخرجه مسلم، ٢٠٦١/٤، رقم (٢٦٧٥).

## خامسًا: حث الناس على زرع الطمأنينة في الناس:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمِّنُ قُلُوبُهُمْ يَذْكُرُ اللَّهُ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطَمِّنُ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨).

ويقول النبي ﷺ: (البر ما سكتت إليه النفس وأطمأن إليه القلب) (٢).

## سادسًا: حث الناس على التوبة إلى الله ﷺ:

يقول الله ﷺ: ﴿قُلْ يَعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا يَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الظُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

يقول النبي ﷺ في الحديث القدسي قال الله تعالى: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم» (٤).

## سابعاً: حث الناس على عبادة الله وشكوه:

يقول الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٥).

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ٢٧٩/٢٩، رقم (١٧٧٤٣). وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) أخرجه مسلم، ٤/١٤٩٤، رقم (٢٥٧٧).

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٦.

ثامنًا: حث الناس على الإيمان بالقضاء والقدر:

يقول الله ﷺ: {قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (١).

وقال النبي ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن يصيبه» (٢).

تاسعاً: حث الناس على الاستغفار:

يقول الله ﷺ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} (٣).

ويقول النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلي، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» (٤).

عاشرًا: حث الناس على الاستشفاء بالقرآن الكريم:

يقول الله ﷺ: {وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُوْمِنِينَ وَلَا

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) أخرجه الترمذى، كتاب: القدر، باب: ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، وقال الألبانى: حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى ص ٤٨٤، رقم (٢١٤٤).

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٠٧٥/٤، رقم (٢٧٠٢).

يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿١﴾.

ويقول النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك» <sup>(٢)</sup>.

الحادي عشر: حث الناس على الصبر:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

قوله ﷺ: «لا يصيب المؤمن من مصيبة، حتى الشوكة، إلا قص بها من خطاياه، أو كفر بها من خطاياه» <sup>(٤)</sup>.

الثاني عشر: حث الناس على السمع والطاعة لولي الأمر:

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَلَّا يَرَى مِنْكُمْ فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ <sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٤/١٧٢٧، رقم (٢٢٠٠).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٥

(٤) أخرجه مسلم، ٤/١٩٩٢، رقم (٢٥٧٢).

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩

وقوله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»<sup>(١)</sup>.

### الثالث عشر: الأخذ بالأمور الاحترازية من الأذكار والأدعية:

**دعاة الخروج من المنزل:** قال ﷺ: «من قال -يعني- إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

**دعاة تحصين النفس:** قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم ثلاث مرات، فيضره شيء»<sup>(٣)</sup>.  
 وقال رسول الله ﷺ: «من نزل منزلًا ثم قال: أَعُوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم، ١٤٦٩/٣، رقم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه الترمذى، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، وقال الألبانى: حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى ص ٧٧٩، رقم (٣٤٢٦).

(٣) أخرجه الترمذى، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، وقال الألبانى: =Hadith Hasan صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى ص ٧٦٩، رقم (٣٣٨٨).

(٤) أخرجه الترمذى، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا نزل منزلًا، وقال الألبانى: حديث صحيح، انظر صحيح سنن الترمذى ص ٧٨١، رقم (٣٤٣٧).

ومن جوامع دعاء الأنبياء – عليهم السلام – ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد عليه السلام»<sup>(١)</sup> حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الْنَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَلَا خُشُوهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَنًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَغَمَّ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقال رسول الله عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون، والحدام، ومن سيء الأسباب»<sup>(٣)</sup>.

الرابع عشر: تصحيح الفهم الخاطئ للنصوص الشرعية في الاستدلال:  
فلذا نجد بعض الناس يتסהرون في الأخذ بالاحترازات والاحتياطات  
فيضعون هذه الآية في الاستدلال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَسْتَوْ كُلُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>،  
وهذا الاستدلال خاطئ وفي غير محله خصوصاً في هذه الجائحة؛ لأنّ الأصل هو  
الأخذ بالأسباب وهذا لا يمنع بأن كل شيء مكتوب علينا في هذه الحياة ويلزم

(١) أخرجه البخاري، ٣٩/٦، رقم (٤٥٦٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذه، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود ص ٢٣٨، رقم (١٥٥٤).

(٤) سورة التوبه، الآية: ٥١.

الأخذ بسبيل الوقاية مهما كانت، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْنَّهْلَكَةِ وَأَحَسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

## المبحث الثالث

### مسؤولية الدعاة الوقائية تجاه جائحة كورونا

#### المطلب الأول: مسؤولية الدعاة الوقائية في المسائل الشرعية.

##### أولاً: الأذان للصلوة المفروضة:

إن مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تظهر في هذا الوقت لبيان تلك المسائل المتعلقة بالأذان، وطريقته تعليم المدعوين من المؤذنين عامة وأفراد المجتمع خاصة وتوجيههم وفق ما ذكره أهل العلم حتى يكونوا على علم بواقع شؤون حياتهم في هذه الجائحة من خلال بعض المسائل الفقهية، ومنها:

- (صلوا في رحالكم أو بيوتكم أو في الرحال: متى يقال وأين موضعها في الأذان وكم يقولها وماذا يرد السامع؟):

فقد ثبت في الصحيحين من طريق عبيد الله رضي الله عنه قال حدثني نافع بن عمر رضي الله عنهما: «أذن ابن عمر في ليلة باردة، ثم قال: صلوا في رحالكم، فأخبرنا أن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأمر مؤذنا يؤذن، ثم يقول على إثره: «ألا صلوا في الرحال» في الليلة الباردة، أو المطيرة في السفر»<sup>(١)</sup>، فقلت هذا هو الموطن الأول يكون بعد الانتهاء من الأذان، والموطن الثاني: ما ثبت عند عبد الرزاق في مصنفه عن ابن حريج قال أخبرني عمرو بن دينار أن عمرو بن أوس روى أن رجلاً من ثقيف أخبره أنه سمع مؤذن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة مطيرة يقول: «حي على الصلاة حي على

(١) أخرجه البخاري، ١٢٩/١، رقم (٦٣٢)، وأخرجه مسلم، ٤٨٤/١، رقم (٦٩٧).

الفالح صلوا في رحالكم»<sup>(١)</sup>، فيكون هذ الموطن بعد قول حي على الصلاة حي على الفلاح، وقد نص الإمام الشافعي -رحمه الله- في كتابه "الأم" على جواز كلا الأمرين، ولكن كونه بعد الأذان أحسن ليظل الأذان على موضعه ونظمته<sup>(٢)</sup>، وأيضا هو رأي العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-.

• (هل يقولها مرة أو مرتين؟):

ورد هذا (مرة) وورد (مرتين) وكلاهما في الصحيح.

• (ماذا يقول السامع إذا قال المؤذن: صلوا في رحالكم أو

صلوا في بيتكم أو في الرحال):

أن يقول السامع قياساً عند حي على الصلاة حي على الفلاح: (لا حول ولا قوة الا بالله)، وهذا ما أكدده الشيخ زكريا الأنصاري -رحمه الله-<sup>(٣)</sup>.  
ثانياً: أداء الصلاة المفروضة جماعة:

إن المسؤولية على الدعاة إلى الله تعالى في بيان هذا الركن العظيم أمر واجب وخصوصاً فيما صدر من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية حال انتشار هذا الوباء من منع إقامة الجماعة وال الجمعة للصلوات في المساجد، والاكتفاء بصلاتها في البيوت بعد استقراء نصوص الشريعة الإسلامية ومقادتها وقواعدها

(١) مصنف عبد الرزاق الصناعي، ١/٥٠١، رقم (١٩٢٥) وصححه الألباني، الإرواء، ٢/٣٤١ . ٣٤٢

(٢) انظر: مستند الإمام الشافعي، ١/١٠٩ .

(٣) انظر: أنسى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري، ١/١٣٠ .

وكلام أهل العلم في هذه المسالة وعموجب قرارها رقم (٢٤٦) في ٢٢ / ٧ / ١٤٤١هـ في دورتها الاستثنائية الخامسة والعشرين المعقودة في مدينة الرياض، فإن هيئة كبار العلماء تبين ما يلي:

• حرم صلاة الجماعة وال الجمعة في ظل هذه الجائحة:

١. يحرم على المصاب شهود الجمعة والجماعة لقوله ﷺ: «لا يورد مرض على مصح»<sup>(١)</sup> ولقوله ﷺ «اذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منه»<sup>(٢)</sup>.
٢. من قررت عليه جهة الاختصاص إجراءات العزل فإن الواجب عليه الالتزام بذلك، وترك شهود صلاة الجماعة وال الجمعة، ويصلّي الصلوات في بيته أو موطن عزله، لما رواه الشريذ بن سويد الثقفي رضي الله عنه قال: «كان في وفد ثقيف رجل مجنوم فأرسل إليه النبي ﷺ إنما قد بايعناك فارجع»<sup>(٣)</sup>.
٣. من خشي أن يتضرر أو يضر غيره فيرخص له في عدم شهود الجمعة وال الجمعة لقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»<sup>(٤)</sup>، وفي كل ما ذكر إذا لم يشهد الجمعة فإنه يصلّيها ظهراً أربع ركعات.

(١) أخرجه مسلم، ٤/١٧٤٣، رقم (٢٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري، ٧/١٣٠، رقم (٥٧٢٩).

(٣) أخرجه مسلم، ٤/١٧٥٢، رقم (٢٢٣١).

(٤) سنن ابن ماجة، ٣/٤٣٠، رقم (٢٣٤٠)، وانظر: القواعد الفقهية الكبرى، أ. د. صالح بن غانم

## • الصلاة على الميت في ظل هذه الجائحة:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ شرع صلاة الميت تكريمًا للمسلم، وقد أثبت الشارع الحكيم أن هذا من حق المسلم على المسلم كما ثبت عن النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست ..... وذكر منها: وإذا مات فأتبه» (١).

ولذا فإن الصلاة على الميت حكمها فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وبسبب هذه الجائحة فقد وجهت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بمنع إقامة الصلاة في المساجد والاكتفاء بالصلاحة على الأموات في المقابر فقط، وهذا من الاحتياطات والاحترازات الواجبة للحفاظ على الأنفس ومن انتشار هذا الوباء وتفشيه بين أفراد المجتمع.

## • صلاة العيددين في ظل هذه الجائحة:

إن صلاة العيددين من شعائر هذا الدين وهي فرض كفاية على القول الراجح وهو قول علماء هذه البلاد وفقيهم الله، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين إلا أنه في ضل هذه الجائحة وبسبب قفل المساجد والمصليات فإنه يجوز الصلاة في البيوت بدون خطبة بعدها وهذا قياس على من فاتته صلاة العيد وأحب قضاءها (٢).

---

= السدلان، ص ٤٩٣

(١) أخرجه مسلم، ١٧٠٥ / ٤، رقم (٢١٦٢).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ٣٠٥ / ٣.

### ثالثاً: إخراج الزكاة المفروضة: أي تقديم الزكاة وتأخيرها في ظل هذه الجائحة، وصرفها للجهات الرسمية:

إن مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تظهر من خلال بيان الأحكام الشرعية لهذا الركن العظيم وما يجب أن يبين للمدعويين فيما يخص الزكاة، ومسائل جواز تعجيلها لعام أو عامين مع اكتمال الشروط الموجبة للزكاة أو جواز تأخيرها بشروط ضيقه ذكرها أهل العلم منها تuder الوصول إلى المال حقيقة أو حكمًا، أو القدرة على تحويله للمستحق ويقدر بقدره وبأقل مدة ممكنه بسبب جائحة كورونا، أو جواز الصرف من الزكاة في تكاليف علاج من أصيب بمرض كورونا إذا كان فقيراً فيعطي بقدر الحاجة إذا لم تستطع الدولة دفع تكاليف علاج ، ومثله ابن السبيل المصاب بكورونا، ويجوز صرف الزكاة مباشرة للجهات الرسمية، وهي تقوم بدورها في صرفها على أهل الزكاة الذين ذكرهم الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ فُلُوْهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرِمِينَ وَفِي سَكِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

### رابعاً: الصيام أثناء الجائحة:

إن المسؤولية على الدعاة إلى الله تعالى تظهر في واجب توعية المسلمين فيما يخص من يجب عليه الصيام؟ وهم عموم المسلمين من توفرت فيهم الشروط التي

(١) سورة التوبه، الآية: ٦٠.

ذكرها أهل العلم من الإسلام والبلوغ والعقل والقدرة والصحة والإقامة، وجواز فطر المريض المصاب بكورونا أو غيره بحسب العذر الذي يبيح له الفطر باستشارة طبيب مسلم كفاء ثقة، كما لا يجوز شرعاً أن يفطر الطبيب المعالج لمرض فيروس كورونا في نهار رمضان إلا إذا وجد مقتضى شرعي يبيح له الفطر لورود الأدلة الشرعية في ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّهُ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٌ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

#### خامساً: الحج والعمرة أثناء الجائحة:

إن مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى في تبيين حقيقة هذا الركن العظيم تظهر واضحة من خلال وجوب الحج لمن توافرت فيه الشروط الشرعية، من القدرة المالية والبدنية والاستطاعة من وجود الزاد والراحلة، ويسمح له من قبل الجهات الرسمية بمنح التصريح لأداء مناسك الحج والعمرة، ولكن بسبب ظهور هذه الجائحة ولمنع انتشار هذا المرض، ولما يترب على المخالطة وعدم القدرة على التباعد عند أداء مناسك الحج والعمرة من أضرار تتلخص في انتشار الوباء، فقد صدر بيان من وزارة الداخلية بين فيه حرص المملكة العربية السعودية على دعم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

الجهود العالمية والمنظمات الدولية لوقف انتشار فيروس كورونا فقد تم تعليق الدخول للعمره لزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعلى هذا فإن استمر الوضع فإن مناسك الحج يكون تبعا للأمر السابق في المنع فيسقط وجوب الحج إذا خشي من انتشار العدوى بهذا المرض لعدم توفر حينئذ شرط الاستطاعة، ويجوز إيقاف التصريح بالحج أو العمرة لمدة وجود هذا المرض أو دعت الحالة الصحية لذلك، مع أن الحج باقي في ذمة من لم يحج وباقى أيضا بأقل عدد تتحقق فيه فرضية هذه الشعيره بما لا يؤدي إلى تفشي هذا المرض، ولذا فإن على الدعاة إلى الله تعالى أن يبينوا حقيقة ذلك وفق الأدلة الشرعية في ضوء الكتاب والسنة، كما دل على ذلك في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١)، قوله تعالى حينما سُئل عن أركان الإسلام في حديث جبريل، فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلا» (٢).

وعلى هذا فإن مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى يجب عليهم أن يبينوا للناس هذه المسائل الشرعية التي تخص أمور دينهم وخصوصاً في هذه الجائحة حتى يكونوا على علم في كيفية أداء عبادتهم والتقرب إلى الله تعالى على الوجه الشرعي.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) أخرجه مسلم، ٣٦/١، رقم (٨).

## المطلب الثاني: المسؤولية المجتمعية في التوعية الوقائية

تجاه جائحة كورونا:

### أولاً: توعية الناس على الاخذ بتوجيهات وزارة الصحة

إن مما لا شك فيه أن الدعاة مسؤولون أمام الله تعالى في بيان الحق للناس والدعوة إليه وخصوصا فيما يتعلق بحياتهم الدينية والدنيوية، وتبرز مسؤوليتهم في هذا الوقت، وهم على ثغر عظيم في مجتمعاتهم؛ لأن لهم منابر ووسائل يصلون بها إلى المدعوين عامة، وإلى المرضى خاصة، ويتوجب الأمر عليهم لكي يتعاونوا مع إخوانهم العاملين في وزارة الصحة في إنقاذ من أصيب بهذا الداء الفتاك والمرض العossal من خلال التوعية والتوجيه وبيان كل ما فيه مصلحة لهذا المجتمع، فلذا نجح هذا الجهد وأثرت هذا التعاون وخرج بنتائج طيبة -بإذن الله تعالى-، من حيث ربطهم بالوصايا النبوية في عدم نشر العدوى والوباء الذي ينتشر بين الناس، وطلب الالتزام بالتوجيهات والتعليمات التي تبث في الروح الصحة والحفاظ على الأنفس من هذه الجائحة<sup>(١)</sup>

ومن ذلك ما يلي:

### ١/ العزل الصحي:

أوضح الإسلام الطريقة الصحيحة في العزل الصحي وعدم السماح بالاختلاط مع المرضى للحفاظ على صحة الناس وسلامتهم وهذا الذي أشار

(١) إجابة اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء بالمملكة العربية السعودية المجلد الرابع عشر (العقيدة).

إليه النبي ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُم بِهِ بَأْرَضٍ فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بَأْرَضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فَرَارًا مِنْهُ»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «لَا يُورِدُ مَرْضٌ عَلَى مَصْحَّ»<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ في الطاعون: «مَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا يَقْدِمُ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

كما لهم أن ينبهوا الناس على الالتزام بعدم الخروج من المنازل والمكوث فيها خوفاً عليهم من العدو، وأن يتزموا بالاحتياطات الطبية للحفاظ على الأنفس من هذا الداء من لبس الكمامات والقفازات، وتناول بعض المضادات من الفواكه والخضروات وما جاء في الشرع من الطيبات المباحة التي تكون بعد الله تعالى سبباً من أسباب الشفاء والذي نسأل المولى تعالى أن يكشف هذا البلاء ويرفعه عن البلاد والعباد.

## ٢/ الحجر الصحي:

لقد عرف الحجر الصحي من عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فقد قال ﷺ في الطاعون: «مَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا يَقْدِمُ عَلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>، وقال أيضاً ﷺ: «فَرِمَنَ الْجَنَوْمَ فَرَارَكَ مِنَ الْأَسْدِ»<sup>(٥)</sup>، وعلى هذا فإن مسؤولية الدعاة في الحجر

(١) أخرجه البخاري، ١٣٠/٧، رقم (٥٧٢٩).

(٢) أخرجه مسلم، ١٧٤٣/٤، رقم (٢٢٢١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد، ٢١٢/٣، رقم (١٦٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيفين".

(٤) أخرجه الإمام أحمد، ٢١٢/٣، رقم (١٦٧٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيفين".

(٥) أخرجه البخاري، ١٢٦/٧، رقم (٥٧٠٧).

الصحي تكون وفق الإرشادات التي أوصت بها وزارة الصحة بالتنبيه على المدعوبين بالالتزام بالإرشادات الصحية والاحتياطات الوقائية من لبس القفازات والكمامات وغسل اليدين بصفة دائمة ولبس الواقي، والتخلص من الأوساخ والنظافة الدائمة والمتابعة الصحية حتى زوال العارض، وغير ذلك من الأمور التي تساعده على الحفاظ على الصحة.

### ثانياً: توعية الناس بالتداوي المشروع:

ولعل هذه المسؤولية أصدق بالتي قبلها، وهي أن التداوي لا ينافي كذلك التوكل على الله تعالى والنبي ﷺ يقول: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»<sup>(٢)</sup>، وإثبات القضاء والقدر، والتوكيل على الله عز وجل، والإيمان بأن ذلك من الأمور المفطور عليها البشر؛ لأن الإنسان يعلم أن كل شيء بقضاء الله عز وجل وقدرته، وأن الله عز وجل يتilli من يشاء من عباده، كما قال النبي ﷺ: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»<sup>(٣)</sup>، وهذا من باب قضاء الله وقدره، والله تعالى يتilli من يشاء من عباده، وقد تقدم أن هذا الأصل العظيم ثابت بالكتاب والسنّة، و يؤيده العقل والفطرة؛ فالمนาفع الدينية والدنيوية جاءت

(١) أخرجه مسلم، ١٧٢٩/٤، رقم (٢٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري، ١٢٢/٧، رقم (٥٦٧٨).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: السنّة، باب: في القدر، وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود ص ٧٠٥، رقم (٤٧٠٠).

بالحث على التداوي المشروع، ولقد نهى الشارع الحكيم بالtedaoui الممنوع المحرّم فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدُّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دُوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»<sup>(١)</sup>. فالدعاة إلى الله تعالى منهمهم حث المدعىون وجميع أفراد المجتمع على استخدام الأدوية المباحة التي يوصي بها الزملاء في وزارة الصحة والتي فيها النفع الكبير في الحفاظ على الصحة والأنفس البشرية.

### ثالثًا: توعية الناس بالنظافة:

إن مما يعرفه كل عاقل وتطيب به النفوس هو النظافة التي حث عليها ديننا الحنيف سواء النظافة الحسية أو النظافة المعنوية، وتتأكد النظافة في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الوباء، وتظهر مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى في توعية المدعىون وحثهم على النظافة لأهميتها؛ ولأنها هي الأصل الأصيل في الحفاظ على سلامة الإنسان وصحته، وهذا الذي يوصي به إخواننا في وزارة الصحة، ويسعى إليه الدعاة إلى الله تعالى في توعية الناس والثrust على الالتزام بالنظافة العامة، والنظافة الخاصة المتعلقة ببعض العبادات التي لا تصح بغieraها، ولذا جاء الحث عليها في أعظم ركن وهي الصلاة في قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهِرُوا﴾<sup>(٢)</sup>،

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الأدوية المكرورة، وقال الألباني: حديث ضعيف، انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود ص ٥٨٢، رقم (٣٨٧٤).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

ويقول ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء -، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء -، فإذا غسل رجليه خرحت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقياً من الذنوب»<sup>(١)</sup>.

ومن الأحاديث الواردة في النظافة والتطهير والتي تدل على أهمية العناية بنظافة الجسد، قول النبي ﷺ: «الظهور شطر الإيمان»<sup>(٢)</sup> وقوله ﷺ: «طهروا أنفتيكم»<sup>(٣)</sup>، وغيرها من الأحاديث الدالة على أهمية النظافة التي تعد من الأمور التي حث عليها الإسلام الذي هو دين النظافة والصفاء والنقاء، وهو الذي يحتم على جميع أفراد المجتمع أن يتزموا به في جميع شؤون حياتهم اليومية.

#### رابعاً: توعية الناس على العناية بالجسم:

تبرز مسؤولية الدعاة إلى الله ﷺ في توجيه المدعوين وأفراد المجتمع عموماً بما جاءت به الشريعة في إيضاح العناية بالجسم، ولذا قيل: "العقل السليم في الجسم السليم"، ونجد أن الأحاديث الدالة على العناية بالجسم وتطهير الجسد من الأوساخ كثيرة لا تُحصى ، وعلى هذا فقد كان منهجه النبي ﷺ يعني بتربية أصحابه

(١) أخرجه مسلم، ٢١٥/١، رقم (٢٤٤).

(٢) أخرجه مسلم، ٢٠٣/١، رقم (٢٢٣).

(٣) المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، ٢٣١/٤، رقم (٤٠٥٧)، وحسنه الألباني في الصحيفة رقم (٢٣٦).

من جميع النواحي الجسدية والنفسية والاجتماعية، وكان يحثهم على العناية بصحة أجسامهم وبقوتها حتى يمتلكون القدرة على تحمل مسؤوليات الجهاد في سبيل الله تعالى لنشر الدعوة الإسلامية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فإن مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى تتضاعف في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الوباء وزادت فيه حالات الوفاة جراء الإهمال من بعض المدعوين في عدم العناية بأجسادهم ونظافتهم رغم سهولة الحصول على جميع وسائل النظافة من أدوات العناية بالجسم والتي أمر الشارع الحكيم باستخدامها والحرص على العناية بها، ولذا يقوم الدعاة إلى الله تعالى إلى بيان حقيقة تلك العناية وطلب الالتزام بها من قبل المدعوين حتى يحصل لهم النجاة من الأمراض، والسلامة من الأوجاع في كل زمان ومكان حبًا منهم لإخوانهم المسلمين، ومن باب حب لنفسك ما تحبه للآخرين ، وهذا هو منبع حسن تعاون الدعاة إلى الله تعالى مع الجهات المعنية في وزارة الصحة وغيرها.

(١) أخرجه مسلم، ٤/٢٠٥٢، رقم (٢٦٦٤).

## المبحث الرابع

### المسؤولية الوقائية الحكومية تجاه جائحة كورونا

#### المطلب الأول

##### مسؤولية السمع والطاعة لولي الأمر.

إن من المعروف والثابت شرعاً السمع والطاعة في المنشط والمكره لولي الأمر،

ولقد جاء الحث على ذلك في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

أَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وفي سنة النبي ﷺ قال:

«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد

أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»<sup>(٢)</sup>، ولذا ينبغي السمع والطاعة فيما

يصدره ولي الأمر وخصوصاً في هذه الجائحة؛ لأنّه هو أعلم بمصلحة العباد والبلاد

وعلى جميع المواطنين والمقيمين الاستجابة لما يصدر من ولي الأمر وعدم المخالفـة.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) أخرجه البخاري، ٤/٥٠، رقم (٢٩٥٧)، وأخرجه مسلم، ٣/١٤٦٦، رقم (١٨٣٥).

## المطلب الثاني

### المسؤولية الأمنية

لقد أوضحت وزارة الداخلية عدداً من التعليمات التي تحفظ في حقيقتها حياة البشر من خلال عدة أوامر كان القصد منها عدم انتشار الأمراض، ومنها هذه الجائحة، وفق الإجراءات الآتية:

١. حظر التجوال في جميع مناطق المملكة بحسب كل مدينة، وجعلت لها وقتاً محدداً للخروج من أجل شراء الأغراض الازمة من المواد الغذائية والدوائية وغيرها، وذلك للحفاظ على عدم انتشار هذا الوباء.
٢. حظر التجمعات العائلية والتجمعات العمالية سواء داخل المنازل أو الاستراحات أو المباني، وفرضت غرامات لمن خالف ذلك تتراوحت بحسب كل مخالفة، وذلك من أجل عدم انتشار هذا الوباء.
٣. حظر التجمعات داخل الأسواق وال محلات التجارية، وحددت عدداً في بعض المواطن لا يجوز أن يتجاوزها العاملون فيها مع اتخاذ الإجراءات الازمة من التباعد والكشف عند الدخول ولبس الكمامات والقفازات الوقية، وفي حال مخالفة ذلك يحاسب بعقوبة رادعه قد يكون عقوبة مالية للمواطنين أو عقوبة مالية وترحيل للمقيمين، وهذا من باب منع انتشار هذا الوباء.
٤. حضرت وزارة الداخلية من نشر المقاطع المسيئة التي تسبب الخوف والهلع للناس والشائعات الكاذبة فيما يخص هذا الوباء.

٥. حثت وزارة الداخلية المواطنين والمقيمين على التبليغ عن كل من خالف تلك التعليمات بالاتصال على الرقم الموحد.
٦. حذرت وزارة الداخلية من نشر الوثائق أو المعلومات السرية التي تزعزع الأمن وتنشر الفوضى.
٧. حضرت وزارة الداخلية من يعتمد نشر هذا الوباء بين أفراد المجتمع بعقوبة صارمة بالسجن، والغرامة إن كان من المواطنين أو المقيمين يضاف إلى ذلك للمقيمين الترحيل ومجاورة البلاد وعدم دخولها مرة ثانية.
٨. وجهت وزارة الداخلية إلى أهميةأخذ المعلومات والإجراءات من المصادر الرسمية، أي من الجهات الرسمية عبر مواقعها الالكترونية في موقع الاتصال المعروفة للكل جهة رسمية<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع وزارة الداخلية الالكتروني على شبكة الانترنت، في تاريخ ١٤٤١/٩/١٤ هـ.

## المطلب الثالث

### مسؤولية وزارة التجارة

لقد قامت وزارة التجارة بواجبها تجاه هذه الجائحة وذلك للحفاظ على الأرواح، فأغلقت المحلات التجارية والأسواق والجمعيات التجارية التي قد تكون سبباً في انتشار هذا الوباء من خلال التجمعات، وقد سمحت بعض محلات السوبر ماركت والصيدليات بعدأخذ الاحترازات والاحتياطات الوقائية للمحافظة على صحة وسلامة المتسوقين، كما حرصت الوزارة على متابعة تلك الأسواق بدقة، وحضرت من استغلال هذه الجائحة بالغش أو التدليس على المستهلكين أو استغلالهم برفع الأسعار أو احتكار السلع، ولذا كان هناك متابعة ميدانية، ووضعت الوزارة رقم موحد للتبلغ عن أي استغلال أو غش أو تدليس أو انتهاء صلاحية مواد، وحثت الوزارة جميع العاملين لديها بمتابعة الأسواق وإصدار الغرامات على كل مخالف، وذلك للحفاظ على حياة المجتمع كافة<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع وزارة التجارة عبر شبكة <http://www.spa.gov.sa>

## المطلب الرابع

### مسؤولية وزارة التعليم

سعت وزارة التعليم للحفاظ على سلامة المتعلم والمعلم في جميع المراحل التعليمية من الطلاب والطالبات سوء من المواطنين أو المقيمين في التعليم الحكومي أو الأهلي في المدارس والجامعات والمعاهد ومراكز التدريب، وذلك من خلال تعليق الدراسة والاكتفاء بالتعليم عن بعد، كل ذلك من باب الاحترازات الوقائية لعدم انتشار المرض وتفشييه بين الطلاب والطالبات والمعلمين وهيئة التدريس، ومن باب درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ومن باب الوقاية خير من العلا، كما سعت الوزارة بكل طاقاتها في متابعة تنفيذ الإجراءات الوقائية من هذا الوباء وعدم انتشاره في المجتمع التعليمي مساهمة منها في حفظ الأنفس البشرية<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع وزارة التعليم عبر شبكة الانترنت، <http://www.moe.gov.sa>، بتصرف.

## المطلب الخامس

### مسؤولية رئاسة هيئة كبار العلماء

سعت هيئة كبار العلماء ممثلة برئيسها وأعضائها في بيان الحق، لأنهم أهل الحل والعقد، وقد أخذ الله عَزَّلَ على أيديهم الميثاق والعهد لتبينه للناس ولا تكتمونه، فعزمت مسؤوليتهم في هذه الجائحة في إصدار الفتوى، وتعليم الأمة ما ينفعها في العبادات والسياسة الشرعية وفي كل ما يخص حياة الأفراد والمجتمع ويحفظ عليهم حياتهم، وفي كل ما يرتبط بهذه الجائحة من المسائل المستجدة التي يجهلها كثير من الناس، فصدرت منهم الفتوى في اتخاذ الاحترازات الوقائية من منع أداء الصلوات في المساجد، وأداءها في المنازل، والتبعاد في أداء الصلاة، كل ذلك سعيا في الحفاظ على الأنفس البشرية<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع رئاسة دار البحوث العلمية والافتاء، <http://www.alifta.gov.sa>، بتصرف.

## المطلب السادس

### وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والارشاد

سعت وزارة الشؤون الإسلامية منذ أن أصدرت الفتوى بمنع أداء الصلوات والجُمُع والجماعات، فحرصت علىأخذ جميع الاحترازات والاحتياطات ووضعت الخطط في الحفاظ على تلك الأماكن من انتشار هذه الجائحة، فدشنَت حملات تعقيم المساجد بصفة مستمرة وإغلاقها وعدم تمكين أحد من الدخول فيها الا المؤذنين للنداء بالأذان فقط، وبعد الأذن بالصلاحة فيها أخذت بالاحترازات الوقائية من تعقيم المساجد وفتح النوافذ وتعقيم السجاد وتغيير التالف منها كل ذلك حفاظاً على سلامة من حضر إلى المساجد لأداء الصلاة فيها، وحتى لا ينتشر هذا الوباء<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية عبر شبكة الانترنت، <http://www.mola.gov.sa> . بتصرف.

## المطلب السابع

### مسؤولية وزارة العدل

سعت وزارة العدل بكل إمكاناتها فيما يخص التقاضي والإصلاح بين الناس وتسهيل القضايا، والرفع عن الموقوفة خدماتكم، ومنع الحضور الكلي للوزارة والمحاكم والإدارة التابعة لها، وأخذت بتسهيل الأمور عن طريق (أونلاين)؛ بل فتحت باب التقاضي عن بعد لكي تسهل على الناس وتبسيط إنتهاء القضايا وفض الخصومة بين المتقاضين، وجعلت بوابة (ناجز) للرد على جميع الاستفسارات، وعدم تعطيل المعاملات كل ذلك سعيًا منها في الحفاظ على سلامة الأنسنة البشرية وعدم تفشي الأمراض<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع وزارة العدل عبر الشبكة الانترنت <http://www.moj.gov.sa>

## المطلب الثامن

### وزارة الصحة

سعت الوزارة بكل ما لديها من طاقات في جميع المجالات الطبية في حمل لواء الحماية النفسية والجسدية والروحية من الحفاظ على الأنفس البشرية بكل ما لديها من قدرات وإمكانيات، وتشغيل الكوادر الطبية ليلاً ونهاراً، والتضحيه بأنفسهم من أجل علاج المرضى والمحافظة على سلامتهم، ونشر الاحترازات والتوعية من خلال وسائل الاعلام وبيان الحالات المصابة والمتعافية والموفاة بصفة يومية، وتوجيه الإرشادات وتحث المجتمع على الأخذ بالاحتياطات الوقائية وعدم الخروج إلا لحاجة ماسة للحفاظ على صحة الإنسان وسلامته من هذا الوباء، ولقد بذلت الوزارة جهوداً عظيمة علمها القاصي والداني في اتخاذ جميع سبل الوقاية وعدم تفشي هذا الوباء، فلهم منا الدعاء على ما قاموا به في حفظ الأنفس البشرية ورعايتها الرعاية الصحية الدائمة<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: موقع الوزارة عبر شبكة الانترنت <http://www.moh.gov.sa>

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على تيسير وتدوين هذا البحث الذي أبرزت من خلاله مسؤولية الدعاة إلى الله تعالى في انتهاز الفرصة واستغلالها في الدعوة إلى الله تعالى، ومعالجة عقول المدعوين وأفراد المجتمع وقلوبهم بالتوعية والتوجيه الشرعي في بيان دواء الأبدان والعقول من الأدلة الشرعية وفق ما جاء في كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبعض أقوال السلف الصالح رضي الله عنه، ومن خلال إبراز وتعاون الدعاة إلى الله تعالى، والمشاركة مع وزارة الصحة وبعض الجهات المعنية في بيانحقيقة هذا المرض ووضع الدواء الروحي وطمأنة المجتمع ونزع الرهبة منهم، وبيان بعض المسائل الشرعية التي فيها صلاح المدعوين وأفراد المجتمع، واتخاذ الأسباب الوقائية من لزوم الناس مساكنهم، وإيقاف كثير من شؤون حياتهم من الجماعة والجامعة في المساجد، والرحلات الداخلية والخارجية، والتجمعات، والحضور الكلي والجزئي على المدن والمحافظات، وإغلاق المدارس والجامعات والدوائر الحكومية والأسوق التجارية والمطاعم والكافيات وغيرها في ظل تفشي جائحة كورونا الداء الذي بذلت الدولة وفقها الله تعالى كل ما فيه مصلحة للمجتمع.

ويسرني أنأشكر مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده محمد بن سلمان -حفظهما الله- على ما قاموا به من جهود سمع بها الداني والقاصي في المحافظة على أرواح الناس، واتخاذ الاحترازات الشرعية والنظامية، ووقف جميع أجهزة الدولة ضد هذا الوباء والبلاء الذي أسأل الله تعالى عنه أن يرفعه عن البلاد والعباد، وأن يتمتع الجميع بالصحة والعافية ويحسن بي في نهاية هذا البحث بيان بعض النتائج والتوصيات، وهي على النحو التالي:

## أهم النتائج:

١. إن الشريعة الإسلامية أتت لتحقيق مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة، وفي مقدمة هذه المصالح الحفاظ على الكليات الخمس (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل (العرض)، وحفظ المال)، والعلاج من كورونا أو الوقاية منه يندرج تحت هذه الكليات.
٢. أمر الإسلام بالعلاج والتداوي من المرض، كما أمر بالوقاية من جميع العلل والأسباب الروحية والجسدية، والعلاج من كورونا أو الوقاية منه يندرج تحت هذا الأمر الذي يُثاب فاعله ويعاقب تاركه.
٣. كورونا من التوازن والمستجدات الذي يحتاج إلى استبطاط أحكام شرعية جديدة تحد من انتشاره، وهنا تأتي مسؤولية العلماء والدعاة في استنباط هذه الأحكام من النصوص الشرعية، ومن ذلك الحكم الشرعي في التداوي منه أو الوقاية منه، ويندرج في ذلك التباعد الجسدي حتى عند أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد، أو التباعد في أداء مناسك الحج والعمرة، أو التباعد في مختلف المرافق والأماكن العامة.
٤. أثبتت أهل الاختصاص أن كورونا وباءً معدياً، وسرع في الانتشار، وفتاك، وبناءً على ما توصل إليه أهل الاختصاص تأتي مسؤولية الجهات الرسمية والمجتمعية والدعاة في وضع كافة الإجراءات لعلاج هذا الوباء والحد من انتشاره، والتوعية بالتقيد بهذه الإجراءات وتنفيذها، باعتبارها عبادة يؤجر عليها العبد إن أخلص النية في ذلك لله تعالى.

٥. قدمت الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية أنموذجًا فريداً في التعامل مع جائحة كورونا، والحد من انتشاره، وتحفيض منابعه ب مختلف الوسائل الممكنة، وفي مختلف مناطق المملكة.
٦. كان للعلماء والدعاة في المملكة الدور البارز في توعية الناس بخطر هذا الوباء، وإرشادهم إلى اتخاذ كافة التدابير والاحترازات، والالتزام بالإجراءات الوقائية التي حددتها الجهات الرسمية، في مختلف وسائل الإعلام وشبكة التواصل الاجتماعي.

### الوصيات:

١. يوصي الباحث الدعاة باغتنام
٢. المناسبات في الدعوة إلى الله تعالى وخصوصاً في هذه الجائحة؛ لأن الناس متعطشة إلى الذي يؤلف القلوب، ويعث فيها الطمأنينة.
٣. يوصي الباحث الدعاة إلى الله تعالى إلى تحمل المسؤولية، واستغلال الفرص ونشر الدعوة بكل وسائل وطرق الشرعية.
٤. يوصي الباحث الدعاة إلى الله تعالى بالاستمرار في التعاون مع وزارة الصحة ومد الجسور فيما بينهما، وخصوصاً في المعالجة الشرعية التي تخص أفراد المجتمع.
٥. أوصي الباحثين بإجراء بحوث في جميع التخصصات الشرعية حتى يشارك المجتمع في معالجة هذه الجائحة وفق الاختصاصات الشرعية التي يحتاجها جميع أفراد المجتمع.

٦. يوصي الباحث جميع أفراد المجتمع من السعوديين والمقيمين بالأخذ بالتوجيهات النظامية والاحترازات الوقائية للحفاظ على الأنفس البشرية التي تعلنها وزارة الصحة.
٧. يوصي الباحث الجهات التعليمية ووزارة الشؤون الإسلامية بوضع مؤتمر يدرس جميع ما يخص هذا الوباء للخروج من هذه الحنة بمن يستفيد منها المسلمين.
٨. يوصي الباحث بالأخذ بالوسائل الشرعية الوقائية والتمسك بها للحصول على الفلاح في الدارين.
٩. يوصي الباحث بتكاتف أجهزة الدولة ومساهمتها كل في اختصاصه لرفع هذا البلاء والوباء عن البلاد والعباد.  
وصلى الله على نبينا محمد وآلـه وسلم

## فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٤١٣، ٣/١٤١٣ هـ .
٢. أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، دار الوفاء للنشر والطباعة والتوزيع، م ١٩٨٦.
٣. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبدالرحيم بن محمد الملغذوي، دار الحضارة ١٤٢٩/م ٢٠٠٨ هـ ، للنشر والتوزيع، الرياض، ط/ ٥ .
٤. أصول الدعوة ، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط / ٧ م ١٩٩٣،
٥. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، حققه ودقق أصوله، وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٩٨٨ م.
٦. جامع البيان: محمد بن جرير الطبرى، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ه ١٤١٢
٧. الجواب الكافى لمن سأله عن الدواء الشافى، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط ١.
٨. حاشية معالم الدعوة والحسبة، د. أحمد بن علي الخليفى، الرياض، بدون اسم الدار، ورقم الطباعة وتاريخ النشر.

٩. الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، الشيخ محمد الروي، دار الوسيلة، السعودية، الرياض، ط١.
١٠. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، العلامة عبدالعزيز بن باز، طبع الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ١٤٢٩هـ.
١١. ديوان الشافعي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١.
١٢. زاد الداعية إلى الله، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبع الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ١٤٢٩هـ
١٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، بيروت.
١٤. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، تحقيق صدقى محمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٥. سنن الترمذى: محمد بن عيسى الترمذى، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
١٦. صحيح البخارى: محمد بن إسماعيل البخارى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
١٧. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٨. ضوابط المعرفة، وأصول الاستدلال بالمناظرة، عبد الرحمن الميداني، (دار القلم: دمشق، ط ٣، ١٤٢٥هـ).
١٩. العدوى بين الطب وحديث المصطفى، د. محمد علي البار، دار الفتح، الأردن، عما، ط ١.
٢٠. فتح الباري: أحمد بن حجر العسقلاني، دار المنار، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، موافقة للطبعة التي حققها الشيخ عبد العزيز بن باز.
٢١. لسان العرب: جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٢. بجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر.
٢٣. مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط ٧.
٢٤. المدخل لعلم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوي، مؤسسة الرسالة، ط / ١، ٢٠٠٢م.
٢٥. مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠١هـ.
٢٦. مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، مكتبة لينة، الطبعة الأولى، تم النشر ١٩٨٩م.
٢٧. مع الله "دراسات في الدعوة والدعوة"، محمد الغزالى، دار النهضة، مصر، ط / ٣.

٢٨. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر وآخرين،  
دار طيبة، السعودية، الرياض، ط١.

٢٩. معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إخراج إبراهيم مصطفى وآخرين،  
ط٢، المكتبة الإسلامية للطباعة النشر، إستانبول.

٣٠. نصرة النعيم في مكارم الأخلاق الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام)  
د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح، الناشر  
دار الوسيلة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية جدة، الطبعة الأولى  
١٤٠٨هـ.

٣١. هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، أ. د. عبدالله بن  
إبراهيم اللحيدان، دار الحضارة، الرياض ط ١ ، ١٤٢٤هـ.

### الموقع الإلكتروني:

٣٢. <https://www.whoint/ar>

٣٣. [binbaz.org.sa](http://binbaz.org.sa)

٣٤. [www.alefta.gov.sa](http://www.alefta.gov.sa)

٣٥. موقع وزارة الداخلية الالكتروني على شبكة الانترنت.  
<http://www.moi.gov.sa>

٣٦. موقع هيئة كبار العلماء الالكتروني على شبكة الانترنت.  
<http://www.alwatanvoice.com>

٣٧. موقع وزارة التعليم على شبكة الانترنت.  
<http://www.moe.gov.sa>

٣٨. موقع وزارة الصحة الالكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.moh.gov.sa>

٣٩. موقع وزارة الشؤون الإسلامية الالكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.mola.gov.sa>

٤٠. موقع وزارة العدل الالكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.moj.gov.sa>

٤١. موقع وزارة التجارة الالكتروني على شبكة الانترنت.

<http://www.spa.gov.sa>

البحث رقم (٣)

المسائل والدروس الدعوية المستفادة من حديث

حنظلة رضي الله عنه

إعداد

د. مسعود بن بشير بن ربيع المحمدي

الأستاذ المشارك في قسم الرسات الإسلامية بجامعة طيبة



## الملخص

هذا بحث بعنوان: الدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة رضي الله عنه، تحدث فيه عن حنظلة رضي الله عنه وذكرت حديثه في ذلك وشرحه، ثم ذكرت الدروس المستفادة للداعية من خلال الحديث، ثم الدروس المستفادة للمدعو من خلال الحديث أيضاً، وكذلك أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه، ودروس أخلاقية مستنبطة من الحديث. وتم التفصيل لبعض الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه على امتداد أربعة مباحث هي موضوع البحث.

وكانت أبرز نتائج البحث:

- ١) اتضح أن حديث حنظلة من الأحاديث التي بينت وفصلت الحوار الدعوي بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين حنظلة رضي الله عنه من جهة، وبين حنظلة والصديق رضي الله عنه من جهة أخرى.
- ٢) توصلت إلى شرح بعض الدروس المستفادة -أيضاً- خاصة بالمدعو من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه حيث إنه ركن أساس من أركان الدعوة، وهو الذي من أجله أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب.
- ٣) قد تم بيان أساليب الدعوة ووسائلها المناسبة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٤) كما تم -بعون الله تعالى- تخلية الدروس الأخلاقية التي يستفيد بها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

## Abstract

This is a research entitled: The advocacy lessons learned from Hanzala's speech, in which she talked about Hanzala and mentioned his talk and explanation, and then mentioned the lessons learned for the preacher through the talk of Hanzala Then the lessons learned for the invitee through the talk of Hanzala , then the methods and means of advocacy through the talk of Hanzala , and moral lessons through the talk of Hanzala. The appropriate methods and means of advocacy have been demonstrated by the talk of Hanzala.

The most prominent results of the research were:

١) It became clear that Hanzala's hadith was one of the hadiths that clarified and separated the da'wa dialogue between the Prophet and Hanzala on the one hand, and Between Hanzala and the friend on the other.

٢) Some of the lessons learned for the advocate were detailed through the talk of Hanzala over the course of four investigations that are the subject of the research.

٣) I have come to explain some of the lessons learned, too, especially for the invitee through the hadith of Hanzala, as it is a cornerstone of the call, for which God sent the apostles and downloaded the books.

٤) With the help of Allah, the moral lessons that preachers benefit from through the hadith of Hanzala have also been learned.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإن فقه الدعوة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه من الأمور التي ينبغي للدعاة أن يوجهوا أنظارهم إليها، حيث إن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للدعوة إلى الله تعالى.

وحيث أن حنظلة رضي الله عنه الذي اخترته للدراسة هنا تضمن مسائل دعوية كثيرة، حيث إن هذا الحديث قد بين الحوار من أجل فهم الدعوة ومحاولة الاستقامة على مبادئها كما سمعها وفهمها حنظلة رضي الله عنه من نبينا صلى الله عليه وسلم هذا من ناحية، ثم إن حنظلة رضي الله عنه استشكل فهم حالة جرت له وهي أنه يجد عند مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليمه وتفقيه له يشعر أن هذه اللحظات هي أعلى درجات السمو الروحي، والمقامات الإيمانية، أما إذا عاد للأهل والأولاد والضيغات وشُغل بذلك تغير حاله فبحكم حنظلة رضي الله عنه هذا للصديق رضي الله عنه فصدق على ما قاله حنظلة رضي الله عنه فذهبا إلى إمام الدعوة صلى الله عليه وسلم وحدثاه عن الحالتين من خلال حوار دعوي يوحى بالحرص على التطبيق والتنفيذ بكل ما يؤدي إلى ثبات على الحالة التي يكونون فيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين لهما ما يطمئن القلوب بقوله: "لو تكونون على الحالة التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة"، وهذه هي مرونة الدعوة وعظمتها، ولتوسيع هذا كله بصورة أوسع والاستفادة منه دعوياً أردت الكتابة في هذا الموضوع، وسوف أبين فيه التعريف بحنظلة رضي الله عنه وبالحديث المروي عنه، كما سأبين -بعون الله تعالى- الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه، والدروس المستفادة منه للمدعو، وكذلك الدروس الأخلاقية التي يستفيد بها الدعاة من حديث حنظلة رضي الله عنه، والله أعلم أن يوفقني في بحثي إنه ولـي ذلك وال قادر عليه.

## أهمية موضوع البحث:

- ١) ترجع أهمية موضوع البحث إلى وجود بعض الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٢) كما ترجع أهمية موضوع البحث –أيضاً– إلى وجود بعض الدروس المستفادة للمدعو من حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٣) في حديث حنظلة وحواراته مع النبي –صلى الله عليه وسلم– أهمية كبيرة للتعرف على أساليب الدعوة ووسائلها المناسبة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٤) كما ترجع أهمية موضوع البحث إلى وجود دروس أخلاقية يستفيد بها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

## أهداف موضوع البحث:

- ١) التعريف بحنظلة رضي الله عنه وبالحديث المروي عنه لاستيفيد الدعاة من ذلك.
- ٢) تفصيل بعض الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٣) شرح بعض الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة.
- ٤) بيان أساليب الدعوة ووسائلها المناسبة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.
- ٥) تحلية الدراسات الأدبية التي يستفيد بها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

## حدود البحث:

سيقتصر الباحث في هذا الموضوع على الحديث عن (الدروس الدعوية المستفادة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه دراسة تحليلية)

## الدراسات السابقة:

هذا الحديث قد شرحه جميع من شرح صحيح الإمام مسلم من الشرح كالنwoي والقرطبي والقاضي عياض والأبي، كما شرحه جمع من شرح سنن الترمذى كالمباركفورى وابن

العربي، ولم أجد دراسة متخصصة مستقلة في علم الحديث تناولت حديث حنظلة دراسة علمية في بحث علمي، غير أن هناك مقالات ومحاضرات في شرح هذا الحديث شرحاً عاماً موجزاً يتضمن ذكر فوائد مستتبطة من الحديث، ثم إنه بالبحث في المكتبات لم أتعثر على بحث مؤلف بهذا العنوان يتحدث عن حديث حنظلة والدروس الدعوية المستفادة منه.

### تساؤلات البحث:

من هو حنظلة رضي الله عنه? وما الحديث المروي عنه؟

ما الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه؟

ما الدروس المستفادة للمدعو من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه؟

ما أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه؟

ما الدروس الأخلاقية التي يستفيد بها الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه؟

### منهج البحث:

سيستخدم الباحث في بحثه المنهج الآتي:

#### ١) المنهج الاستقرائي:

ويكون بتتبع الموضوع واستقرائه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به للوصول إلى كلام عام يستفيد به الدعاة من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

#### ٢) المنهج الاستدلالي:

ويكون بالتدليل على كل ما أطّرّه من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه أو الأفكار أو الآراء أو النصوص الشرعية المنقولة من الكتاب والسنة أو من أقوال أهل العلم الثقات.

## خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات والفالهارس.

### ١) المقدمة : وتشمل:

أهمية موضوع البحث – أهداف البحث – حدود البحث – الدراسات السابقة – تساؤلات البحث – منهج البحث – خطة البحث.

٢) التمهيد : التعريف بحنظلة رضي الله عنه وبالحديث المروي عنه.

٣) المبحث الأول: الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

المطلب الأول: حرص الداعية على العلم والذكر من خلال حديث حنظلة.

المطلب الثاني: الاهتمام بسؤال أهل الذكر.

المطلب الثالث: مقارنة الداعية بين حالة القلب أثناء درس العلم وبين مطالب الأهل.

المطلب الرابع: الحرص على الموازنة بين دروس العلم وحقوق الأهل.

المطلب الخامس: الترويج عن النفس لقوله عليه السلام ساعة وساعة.

٤) المبحث الثاني: الدروس المستفادة للمدعاو من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

المطلب الأول: الرفق في إجابة المدعاو

المطلب الثاني: العناية بتبشير المدعاو وعمارة قلبه بالطمأنينة.

المطلب الثالث: تنبيه المدعاو إلى معالي الأمور.

المطلب الرابع: الثناء على المدعاو.

المطلب الخامس: تشبيث المدعاو على الخير

المطلب السادس: مراعاة حال المدعاو بتوجيهه إلى ما يروح به عن نفسه.

٥) المبحث الثالث : أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه:

المطلب الأول: أساليب الدعوة خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

المطلب الثاني: الوسائل الدعوية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

٦) المبحث الرابع: دروس أخلاقية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه:

المطلب الأول: غرس الإيمان وقيمه في نفوس المدعوين.

المطلب الثاني: تزكية القلوب وصفاء النفوس بذكر الدار الآخرة.

المطلب الثالث: الدعوة للوسطية.

المطلب الرابع: سماحة الإسلام.

٧) الخاتمة : وتشتمل على .

نتائج البحث.

توصيات البحث.

٨) الفهارس:

فهرس المراجع .

فهرس الموضوعات.

**التمهيد: التعريف بحنظلة وشرح موجز للحديث المروي عنه**

## أولاً : التعريف بالصحابي حنظلة رضي الله عنه :

هو: حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ الْمُرَقْعِ بْنِ صَيْفِيٍّ الْأَسِيدِيُّ التَّمِيمِيُّ الْكُوفِيُّ، يُكَحَّ أَبَا رَبِيعِي،  
من بني أسد بن عمرو بن تميم، من بطن يقال لهم بني شريف، ويقال له: حنظلة بن  
ربيعة، - والأول هو الأكثـر، بل قال ابن منده عن الثاني: "ليس بصحيح"، وهو ابن أخي  
أَكْشَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ (١).

قال النووي: "الأسيدي) ضبطوه بوجهين، أصحهما وأشهرهما: ضم المهمزة، وفتح السين، وكسر الياء المشددة، والثاني كذلك إلا أنه بإسكان الياء، ولم يذكر القاضي إلا هذا الثاني" (٢).

قال الحافظ ابن حجر: "روى عن النبي ﷺ، وكتب له، وأرسله إلى أهل الطائف - فيما ذكر ابن إسحاق -، وشهد القادسيّة، ونزل الكوفة، وتخلّف عن علي يوم الجمل، ونزل قرقيسياً حتّى مات في خلافة معاوية" (٣).

**ثانياً**: شرح موجز للحديث المروي عن حنظلة رضي الله عنه.

نص الحديث :

روى مسلم في صحيحه بسنده عن حنظة الأسيدي، وكان من كتّاب رسول الله -  
قال: "لقيني أبو بكر رضي الله عنه، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: "نافق حنظلة".  
قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله -صلوات الله عليه وآله وسلامه - يذكّرنا بالنار والجنة

(١) معرفة الصحابة لابن منده (١/٣٧٤)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/٨٥٤)، الاستيعاب ١٢٨٠/١ (٣٧٩) برقم ٥٤٨، أسد الغابة (٢/٨٤) برقم ١٢٨٠/١

(٢) المنهاج (٦٥/١٧)

(٣) الإصابة (١١٧/٢) برقم ١٨٦٤

حتى كأنا رأى عين؟ فإذا خرجنَا من عند رسول الله - ﷺ - عافسنا الأزواج، والأولاد، والضيغات، فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله - ﷺ - قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله - ﷺ - وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنَا من عندك عافسنا الأزواج، والأولاد، والضيغات، نسينا كثيراً. فقال رسول الله - ﷺ - «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الدُّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمُ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرْشَكُمْ وَفِي طُرُقَكُمْ، وَلَكُنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثلاَث مرات<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ آخر لمسلم، عن حنظلة قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَعَظَنَا، فَذَكَرَ النَّارَ، قَالَ: ثُمَّ جَهَنَّمُ إِلَى الْبَيْتِ فَصَاحَكُتُ الصَّيْبَانَ وَلَا عَبَّتُ الْمَرْأَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَقِيَتِي أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذَكَّرُ، فَلَقِيَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاقَقَ حَنْظَلَةَ فَقَالَ: «مَهْ» فَحَدَّثَنِي بِالْحَدِيثِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ، فَقَالَ: «يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الدُّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمُ الْمَلَائِكَةَ، حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ»<sup>(٢)</sup>.

وأنحرجه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا الفضل بن دكين، عن سفيان الثوري، عن سعيد بن إياس الجعريي، عن أبي عثمان النهدي، عن حنظلة به، وفيه: «فَعَمِّتُ إِلَى أَهْلِي، وَوَلَدِي فَصَاحَكُتُ، وَلَعَبْتُ، قَالَ: فَذَكَرْتُ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، فَخَرَجْتُ،

(١) صحيح مسلم: كتاب التوبية، باب: فضل دوام الذكر والتفكير في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا (٤/٢١٠٦) ح (٢٧٥٠).

(٢) صحيح مسلم: كتاب التوبية، باب: فضل دوام الذكر والتفكير في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا (٤/٢١٠٧) ح (٢٧٥٠).

فَلَقِيَتْ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: نَافَقْتُ، نَافَقْتُ، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ: إِنَّا لَنَفْعَلُهُ، فَذَهَبَ حَنْظَلَةُ، فَذَكَرَهُ اللَّهُ<sup>يَعْلَمُ</sup> الْحَدِيثُ<sup>(١)</sup>.

وأخرجه الإمام أحمد عن أبي أحمد الزبيري، قال حدثنا سفيان الثوري، عن الجريري، عن أبي عثمان، عن حنظلة، بنحوه<sup>(٢)</sup>، وإسناده صحيح لغيره<sup>(٣)</sup>. وعن الترمذى بإسناد حسن<sup>(٤)</sup>: أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَنْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ - وساق نحوه<sup>(٥)</sup>.

وأخرجه البزار، وأبو يعلى، وابن حبان من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنسٍ قال: قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ: إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> رَأَيْنَا مِنْ أَنفُسِنَا مَا نُحِبُّ فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى أَهَالِيْنَا فَخَالَطْنَاهُمْ أَنْكَرْنَا أَنفُسَنَا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> لَوْ تَدْعُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي فِي الْحَالِ لَصَافَحْتُكُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُظْلَكُمْ

(١) سنن ابن ماجة: أبواب الرهد، باب المداومة على العمل (٢/١٤١٦) ح ٤٢٣٩، وصححه الألباني (٩/٢٣٩).

(٢) مستند أحمد (٣٩٠/٣١) ح: ١٩٠٤٥، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) فيه: محمد بن عبد الله الأسدي أبو أحمد الزبيري الكوفي (ت ٢٠٣ هـ)، ثقة ثبت، إلا أنه قد يخطئ في حديث الثوري من التاسعة، روى له: (ع) "تقريب التهذيب" (ص ٤٨٧) برقم ٦٠١٧، وقد توبع متابعة تامة من الفضل بن دكين، فإسناده صحيح لغيره.

(٤) فيه: جعفر بن سليمان الضبعي أبو سليمان البصري (ت ١٧٨ هـ)، قال الحافظ: "صدق زاهد، لكنه كان يتشيع، من الثامنة، روى له: (بح م ٤)" "تقريب التهذيب" (ص ١٤٠) برقم ٩٤٢.

(٥) سنن الترمذى (٤/٢٤٧)، ح: ٢٥١٤، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذى (٦/١٤).

يأْجِنْجِحَتْهَا وَلَكِنْ سَاعَةً وساعة"(١). وللفظ لابن حبان، وعند غيره: لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي فِي الْخَلَاءِ، وإسناده صحيح(٢).

### غريب الحديث:

(كَانَ رَأَيُ عَيْنٍ) قال القاضي عياض: "كذا ضبطناه بالضم، أي كائناً بحال من يراها بعينه، ويصح النصب على المصدر، أي يراها رأي عين"(٣).

(عافسنا الْأَوْلَادَ، وَالزَّوْجَاتَ، وَالضَّيْعَاتَ) قال ابن الأثير: "أَيِّ الْمَعَايِشَ، وَالْمَعَافَسَةَ: الْمَعَالَةُ، وَالْمَمَارِسَةُ، وَالْمَلَاعِبَةُ"(٤). قال الحميدي: "أَيِّ خَالْطَنَا، وَانْتَهَزَنَا الفرصةُ فِي ذَلِكَ." ويكون بالصاد والسین، ويقال: عافست الرجل أخذته على غرة"(٥). وقال الزمخشري: الضيّعة: "الصناعة، والحرفة؛ يُقال للرجال: ما ضيّعتك؟ وَتَجْمَعُ ضيّاعاً، وضيّعاً"(٦).

(١) مسند البزار (١٣/٤٦٧) برقم ٧٢٥٣، مسند أبي يعلى (٥/٣٧٨) برقم ٣٠٣٥، صحيح ابن حبان (٢/٥٥) برقم ٣٤٤.

(٢) ليس فيه إلا عنونة قتادة، وهو وإن كان مشهوراً بالتذليل إلا أن سماعة من أنس لا خلاف في ثبوته، سواء صرّح به أو لم يصرّح. تعريف أهل التقديس (ص ٣٤) برقم ٩٢.

(٣) إكمال المعلم (٨/٢٥٠).

(٤) النهاية (٣/١٠٨)، و(٣/٢٦٣).

(٥) تفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٤٩٣).

(٦) الفائق في غريب الحديث (٣/٥).

(مه) قال الحميدي: هـا هـى بـيـعـنـى: (ما) وـالـخـبـرـ وـالـهـاءـ لـلـوـقـفـ (١) وقال القاضي عياض:  
وقد يحتمل هنا للزجر، والتعظيم للأمر (٢).  
(ولكن يا حـنظـلـةـ سـاعـةـ وـسـاعـةـ) قال السيوطي: "قال أبو البقاء: "يجوز النصب على  
معنى تذكـرـ ساعـةـ، وتلـهـوـ ساعـةـ، والرفع على تقدير: لنا ساعـةـ، والله ساعـةـ". وقال الحكيم  
في نوادره: "أـيـ: ساعـةـ لـلـذـكـرـ، وسـاعـةـ لـلـنـفـسـ" (٣).

### شرح الحديث:

قال القرطبي: "يعني أنهم إذا خرجوا من عند رسول الله - ﷺ - اشتعلوا بهذه الأمور،  
وترکوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا يجدونها عند سماع موعظة رسول الله - ﷺ -  
ومشاهدته" (٤).

قال النووي: "قال المروي وغيره: معناه: حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به، أي عاجلنا  
معايشنا وحظوظنا....

قوله (نافق حنظلة) معناه أنه خاف أنه منافق؛ حيث كان يحصل له الخوف في مجلس  
النبي - ﷺ - ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والتفكير والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل  
بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق: إظهار ما يكتم خلافه من الشر، فخاف  
أن يكون ذلك نفاقا، فأعلمهم النبي - ﷺ - أنه ليس بنفاق وأنهم لا يُكلفون الدوام" (٥).

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٤٩٣).

(٢) إكمال المعلم (٢٥٠/٨).

(٣) قوت المغتدي على جامع الترمذى (٦٠٣/٢).

(٤) المفهم (٥٤ / ٧).

(٥) المنهاج (٦٧/١٧).

قال ابن رجب: "لما تقرَّر عند الصحابة -رضي الله عنهم- أنَّ النفاق هو اختلافُ السرِّ والعلانية، خشي بعضهم على نفسه أنْ يكونَ إذا تغير عليه حضورُ قلبه ورقتُه وخشووعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أنْ يكونَ ذلك منه نفاقاً" (١).

وقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: «وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ، لَصَافَّحْتُمُ الْمَلَائِكَةَ، حَتَّىٰ تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ».

قال القرطبي: "وقول أبي بكر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: "والله إنا لنلقى مثل هذا" ردٌّ على غلاة الصوفية الذين يزعمون دوام مثل تلك الحال، ولا يُعرّجون بسيبها على أهل ولا مال، ووجه الرد أنَّ أبا بكر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أفضل الناس كلهم بعد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ إلى يوم القيامة، ومع ذلك فلم يدع خروجاً عن جبالة البشرية، ولا تعاطى من دوام الذِّكْر وعدم الفترة ما هو خاصة الملائكة" (٢). ثم قال: "وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة ينادي فيها ربه، وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة يُفكِّر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها حاجته من المطعم والمشرب". كذا الكمال، وما عداه ثُرَّهاتٌ وخيال" (٣).

قال الطيبي: "أي: قال ثلاث مرات ساعة يكون في الذكر والحضور، وساعة في معافسة الأزواج وغيرها، وفي ذلك تقرير على الحالة التي كان حنظلة عليها وأنكرها، ومن ثمة ناداه باسمه تنبئها على أنه كان ثابتاً على الصراط المستقيم، وما نافق قط أي: النفاق العربي وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وإنما أراد بقوله: نافق حنظلة، إما المعنى اللغوي،

(١) جامع العلوم والحكم (١٢٦٢/٣).

(٢) المفهم (٥٤/٧).

(٣) المصدر السابق (٧/٥٤).

وهو أن يكون عنده صلوة على حالة وعند غيره على حالة أخرى، وإنما التشبيه الحالى؛

لأن حاله يشبه حال المنافق لعدم استمراره على مقام المواقف<sup>(١)</sup>.

وقال على ملا القارئ: "يعنى لا يكون الرجل منافقاً لأن يكون في وقت على الحضور وفي وقت على الفتور، فمن ساعة الحضور تؤدون حقوق ربك، وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم، وبختمل أن يكون قوله: ساعة وساعة للترخيص، أو للتحفظ، لثلا تسامم النفس عن العبادة.

وحاصله أن يا حنظلة هذه المداومة على ما ذكر مشقة لا يطيقها كل أحد، فلم يكلف بها، وإنما الذكر يطيقه الأكثرون، أن يكون الإنسان على هذه الحالة ساعة، ولا عليه بأن يصرف نفسه للمعافسة المذكورة وغيرها ساعة أخرى، وأنت كذلك فأنت على الصراط المستقيم، ولم يحصل منك نفاق قط كما توهمته، فانته عن اعتقاد ذلك، فإنه مما يدخله الشيطان على السالكين، حتى يغيرهم عما هم فيه، ثم لا يزال يغيرهم كذلك إلى أن يتركوا العمل رأساً"<sup>(٢)</sup>.

وقال السندي: "تبهيم على أنّ الحضور لا يدوم عادّةً، وعدهم لا يضرّ في وجود الإيمان في القلب والغفلة، إنّما تناهى الحضور فلا يلزم منها عدم الإيمان، (ساعةً) يكون الحضور ليتنظم به أمر الدين وساعةً تكون الغفلة ليتنظم بها أمر الدين والمعاش، وفي كلٌّ منهما رحمةٌ على العباد"<sup>(٣)</sup>. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مرقة المفاتيح (٤/١٥٥٠).

(٢) مرقة المفاتيح (٤/١٥٥٠).

## المبحث الأول

### الدروس المستفادة للداعية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

هذا المبحث سأتحدث فيه من خلال عدة مطالب :

## المطلب الأول

### حرص الداعية على العلم والذكر من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

ينبغي على الداعية الحرص على طلب العلم، وهذا لن يكون إلا بمحالسة العلماء من خلال مجالس العلم، كما كان يجلس حنظلة مع سيدنا رسول الله ﷺ، لسماع العلم منه، فكان يرشدهم إلى ما ينفعهم في الدين والدنيا، فيعظهم ويرشدهم ويفتيهم، وكان حنظلة حريصاً على مجلس العلم هذا، لأنَّه كان يجد فيه السعادة والتزود الروحي، الذي يحتاجه حنظله رضي الله عنه، لأنَّ الملائكة تحف مجالس العلم، قال ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسوه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطاً به عمله لم يسرع به نسبة»<sup>(١)</sup>.

معنى يتدارسوه: يشمل هذا ما ينطاط بالقرآن من تعليم وتعلم، ومدارسة بعضهم البعض في العلم والتفسير.

نزلت عليهم السكينة: أي: ما يسكن إليه القلب من الطمأنينة والوقار والثبات وصفاء القلب.

غشيتهم الرحمة: أي: غطتهم. وحفتهم الملائكة: أحاطت بهم. ومن بطاً به عمله: أي: من أخره عمله السيء وتفرطيه في العمل الصالح لم ينفعه في الآخرة شرف النسب

(١) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر

. ٤/٢٠٧٤ ح: ٢٦٩٩

وفضيلة الآباء ولا يسرع به إلى الجنة، بل يقدم العامل بالطاعة ولو كان عبداً حبشاً على غير العامل ولو كان شريفاً قريشاً<sup>(١)</sup>.

ونعني بمحالس الذكر كل مجلس يذكر فيه الله سبحانه وتعالى، بتعلّم دينه من تعلم مسائل التوحيد ومسائل الأحكام الشرعية، ومن مجالس الذكر مجالس الوعظ والإرشاد، ومن مجالس الذكر تلاوة القرآن وذكره سبحانه وتعالى وفق هدي النبي ﷺ. فمحالس العلم ومحالس الوعظ والإرشاد، ومحالس تلاوة القرآن وتعلمه، كل هذه من مجالس الذكر، فليس المقصود بمحالس الذكر أن يجتمع قوم فيذكرون ذكراً معيناً فهذا ليس هو المقصود، بل المقصود كل مجلس فيه ذكر الله تعالى، بموعظة أو علم أو تلاوة قرآن أو ذكر الله جل وعلا وفق هدي النبي ﷺ.

ثم إنك إذا نظرت في حديث حنظلة رضي الله عنه وجدت أنه يذكر أن مجالس النبي ﷺ كانت مجالس ذكر الله تبارك وتعالى، ويعني بذلك مجالس التعليم والوعظ والإرشاد والإفتاء وذكر الله تعالى، فهذه المجالس ينبغي على الداعية أن يحرص على إقامتها فثبوغ في عمله الدعوي، فمرة يكون مجلسه مجلس وعظ، ومرة يكون مجلسه مجلس تعليم للأحكام العقدية والأحكام الفقهية، ومرة يكون مجلسه مجلس تلاوة للقرآن وتدارسه وتعليمه، ومرة يكون مجلسه مجلس موعظة، وهكذا، اقتداءً بالنبي ﷺ، وهذا ما دل عليه حديث حنظلة رضي الله عنه الذي بين أيدينا.

ومن خلال مجالسة حنظلة والصديق رضي الله عنهم لسيدنا رسول الله ﷺ نجد أن النبي ﷺ يرشد حنظلة وأبا بكر رضي الله عنهم في الحديث المذكور أهلهما لو بقوا على حالمم التي كانوا عليها حين مجالستهم للنبي ﷺ لصافحتهم الملائكة وهم في الطرقات وعلى فرشهم، وكان الصحابة يعيشون تلك الساعات المباركة في رحاب سيد الخلق في مجالسه

(١) أصول الإيمان محمد بن عبد الوهاب (١٠٧/١).

فيزداد بذلك إيمانهم وتحتشع نفوسهم، وترتاح قلوبهم، حتى أعلناوا ذلك لرسول الله ﷺ، وبين لحظة والصحابة بأنهم لو استمرروا على هذه الحالة كما كانوا عنده لصافحتهم الملائكة.

ومن الأعمال الصالحة التي يزداد بها إيمان الداعية: كثرة ذكره لله عز وجل، وذكر الله سبحانه وتعالى ينبغي ألا يفارقه الداعية، فهو زاده في سفره وحضره، وفي ليله ونهاره، وهو الزاد الذي لا يُكلّف مؤنة حمله ولا اصطحابه، بل هو النور الذي يجعل قلب الداعية نيراً وطريقه نيراً، ولذلك قال النبي ﷺ في هذا الحديث "لو كنتم على الحال الذي كنتم معنّونا في الذكر..."<sup>(١)</sup> لاحظ هنا جملة الذكر، يرشدهم النبي ﷺ لهم الصحابة خير الدعاة، إلى أهمية التزوّد بالذكر لله تبارك وتعالى.

وما يزيد الداعية إيماناً أن يحرص على طلب العلم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَثْنَيْنِ وَالْدَّوَائِبِ وَالْأَنْعَمْ مُخْتَلِفُ الْوَنْدُهُ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمُؤُمًا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، قال السعدي رحمه الله: "فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكماض عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته"<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلِكُهُ وَأَوْلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]، وذكر سبحانه وتعالى على منزلة أهل العلم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلِيلٌ مَّا نَأَءَ الْيَلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾

(١) سبق تحريره.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٨٨).

وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [سورة الزمر: ٩]، فلا يستوي من يعلم ومن لا يعلم في أمور كثيرة وأعظمها الإيمان بالله تبارك وتعالى <sup>(١)</sup>، فمتي زاد الداعية علمًا بالله وأسمائه وصفاته وحقه، وزاد علمًا بالنبي ﷺ في سيرته وشريعته، وزاد علمًا بأحكام هذا الشرع، كان هذا الداعية عظيم الإيمان. والوسائل كثيرة في زيادة الإيمان من الصلاة، والصيام، والصدقة وغير ذلك، ومن وسائل زيادة الإيمان: مجالسة الصالحين، ف المجالسة الصالحة يزداد بها الإيمان، ولذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: "وجبت محبتى للمتجالسين فى" (٢)، والمتجالسون في الله وعدهم الله بمحبته، ولا يحصل على محبة الله إلا من كان عظيم الإيمان. والأعمال الصالحة كثيرة، وكل عمل صالح يزيد الإيمان.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/٨٩).

(٢) مسنند أحمد (٣٥٩/٣٦) ح: ٣٠٣٠ . ٢٢٠

## المطلب الثاني

### الاعتناء بسؤال أهل الذكر.

رجوع الداعية إلى العلماء فيما أشكل عليه هذا أمر واجب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِنَ إِلَيْهِمْ فَسُئلُوا أَهُلَ الْذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة التحل: ٤٣]، وهذا ما فعله حنظلة والصديق رضي الله عنهم حينما سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالتهم معه أثناء الدرس والذكر وحالتهما حينما يكونوا مع الأهل . ونلاحظ هنا أن حنظلة رضي الله عنه عزم على أن يرجع إلى النبي صلوات الله عليه، ويسأله عن ما جد لديه من تغير الحال وما لقي أبا بكر وافقه أبو بكر رضي الله عنه على أهمية الرجوع إلى النبي صلوات الله عليه، وسؤاله عما جد لهم من الحال، وتغير حال القلوب، وفي هذا: الرجوع إلى العلماء، فإن الداعية ولو كان ذا علم فإن هناك من هو أعلم منه يُفِيدُ الداعيُّ من علمه، والمدعو لا بد أن يكون له عناية بهذا الأمر، فيرجع في مسائل الدين كلها إلى العلماء أصحاب بصيرة بشرع الله، يرشدونه ويوجهونه، ولو أن الداعية اعتمد على فهمه ومعرفته ولم يرجع للعلماء؛ لحصل منه التخبط في كثير من مسائل الدين، وما أكثر الأخطاء الواردة والصادرة عن أفهمٍ لم ترجع إلى العلماء.

فالرجوع إلى العلماء يحفظ المسلم به دينه، فيعبد الله على بصيرة، ويكون اعتقاده مبنياً في كل مسألة دقت أو جلت على ما أنزل الله، وعلى ما جاء عن رسول الله صلوات الله عليه، فيرجع الداعي هو والمدعو إلى العلماء الربانيين، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، هم الذين يكشفون الشبهات، ويميزون بين الحق والباطل، ولا يلبس عليهم بإذن الله الأمر، وإنما ينهلون من معين القرآن ومعين السنة على فهم السلف، فتصدر عنهم التوجيهات النافعة التي تزيل الشبهات وتكشف الأمور الملتبسات.

وفي هذا الحديث وجد حنظلة وكذلك أبو بكر رضي الله تعالى عنهمَا أَنْهُمَا كَانَا يَجْدَا عظيم زِيادة الإيمان في مجالستهما للنبي ﷺ وكيف أَنْهُمَا كَانَا عظيمَا التأثير بتذكيره صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة والنار، ثم إنهم إذا رجعوا إلى أهليهم وعاافسو النساء والصبيان والضياعات شعروا بنقصان الإيمان، هذه مسألة أشكلت على الصديق خير الناس بعد رسول الله ﷺ، كما أشكلت من بعده على حنظله، فماذا فعل الصديق وحنظله؟ ذهبا إلى الرسول ﷺ وأخبراه بما يُشكّل عليهما، فالنبي ﷺ أرشدهما إلى أنه لا بد من ساعة وساعة. فعودة أبي بكر وحنظله رضي الله عنهما إلى النبي وسؤاله يستفيد منها الدعاء إلى أنه لا بد أن يرجعوا إلى العلماء في المسائل العظام التي تشكل على أحد الدعاء، فيسألون أهل العلم ويصدرون عن رأيهما.

(قال أبو بكر بن العربي: إن القلب لا يثبت على حال، وإن العبد ليؤمن ويتواتر عنده الآيات حتى يتمكن من قلبه ويواظب العمل الصالح حتى تتمرن عليه حوارمه، ويواصل الذكرى حتى تطمئن نفسه ثم تعروه حالة أو تطرأ عليه غفلة، فإذا به زل عن هذه المرتبة، فلا يزال يعود إلى ذكره وعمله الصالح حتى يرجع إلى ما كان عليه) (١).

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٢١٢/١).

### المطلب الثالث

#### مقارنة الداعية بين حالة القلب أثناء درس العلم وبين مطالب الأهل.

من هنا ينبغي على الداعية أن يتفقد أحوال قلبه فلا يغتر بأنه يعمل أعمالاً صالحة، بل لابد أن يطالع ما في قلبه، ويفتش في جنبات قلبه، فينظر كيف صلاح قلبه، وعليه المقارنة بين حالة القلب أثناء درس العلم والطاعة والذكر وبين حالته حينما يؤدى مطالب الأهل، كما فعل حنظلة رضي الله عنه، فحينما قارن ووجد اختلافاً ذهب إلى الرسول ﷺ ليوضح له ذلك، ومن هنا فعلى الداعية أن يكون له حظ من الذكر وهو يؤدى مطالب الحياة، فلا ينسى ذكر الدار الآخرة وما فيها من الحشر والنشر والصراط والميزان، ولتعلم أنه لا ينجو يوم القيمة إلا من أتى الله بقلب سليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾<sup>٨٨</sup> إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ<sup>٨٩</sup> [سورة الشعرا: ٨٨-٨٩]، وليتذكر أنه لا ينجو يوم القيمة إلا من أتى الله بقلب منيب كما قال في سورة ق: ﴿مَنْ حَشِّنَ الرَّحْمَنَ بِالْعَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾<sup>٩٠</sup> [سورة ق: ٣٣]، وأن الخشية لله مقرها القلب، وأن التوكل على الله وحسنظن به ورجاءه ومحبته وتعظيمه وإجلاله والحياة منه كل ذلك محله القلب، فمتى صلح القلب وعمر بهذه الأعمال الصالحة وسلم من الآفات، من الحقد والحسد والغل والأهواء كلها، فإنه بذلك يصلح ويكون قلباً صالحاً فتصلح حواري الداعية كما قال النبي ﷺ: "إِلَّا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مَضْبُغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ..."<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١/٢٠) ح: ٥٢، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشهابات (٣/١٢١٩) ح: ١٥٩٩.

## المطلب الرابع

### الحرص على الموازنة بين دروس العلم وحقوق الأهل.

إن الإسلام دين العلم فلا يعبد الله تعالى إلا على بصيرة ولذلك نجد قوله تعالى في أوائل ما أنزل على النبي ﷺ: ﴿أَقْرَأْتِ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْتِ وَرَبَّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنِ ﴿٤﴾ عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [سورة العلق: ١-٥].

والإسلام دين يعني بتأبیعه، بأن يعلمهم الأحكام فيكونون عابدين الله تعالى، متوجهين إليه بقلوبهم، قاصدين له بأعمالهم بعلم، وهذا ما نجده في تربية النبي ﷺ لأصحابه، فإنه ﷺ يحيث مرة على طلب العلم «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» (١)، ومرة يئني على طالب العلم ويدرك فضله وأجره «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم» (٢)، ومرة يئني على معلم الناس الخير «معلم الناس الخير يستغفر له من في السماوات والأرض» (٣)، ويدرك ﷺ فضل العلماء ليكون من الأمة علماء كما قال: «العلماء ورثة الأنبياء» (٤) كل هذا تربية للأمة على أن تكون أمة علم.

(١) البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٢٥/١) ح: ٧١، ومسلم: كتاب الركaka، باب النهي عن المسألة (٧١٩/٢) ح: ١٠٣٧.

(٢) أبو داود: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٤٨٥/٥) ح: ٣٦٤١، الترمذى: باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤٨/٥) ح: ٢٦٨٢، وابن ماجه: باب فضل العلماء والبحث على طلب العلم (٨١/١) ح: ٢٢٣، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذى (١٨٢/٦).

(٣) الحاشية السابقة.

(٤) الحاشية السابقة.

فالعلم بالله ودينه الذي ارتضاه لأمة الإسلام هو الذي يميز أهل الإسلام، فلا طلاسم ولا خزعبلات ولا خرافات في دين الإسلام، ولذلك فإننا نجد في حديث حنظلة رضي الله عنه هذا أن أبي بكر وحنظلة رضي الله عنهمما لما أشكل عليهم ما خطر لهم من مسألة، رجعوا إلى النبي صلوات الله عليه وفي هذا طلب العلم وأخذه عن أهله، وكذلك النبي صلوات الله عليه تلقى سؤالهم بالرفق والحلم، وأحابهم وفي هذا حُسن تعليم العلم والعناية بالتعليم.

وما يستفيد كل داعية في الوقت الحاضر من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه: الحرص على الموازنة بين دروس العلم وحقوق الأهل، ونتأمل هنا أن حنظلة رضي الله عنه ذكر لأبي بكر رضي الله عنه أنه إذا عاد إلى أهله بعد أن كان في إيمان عظيم يعمّر قلبه إذا عاد إلى أهله وعالج أمور حياته ولاعب زوجه وذريته أحس أن إيمانه نقص، فقال له أبو بكر إنه يجد مثل ذلك، فرجعوا إلى النبي صلوات الله عليه وسائله، فالنبي صلوات الله عليه لم يرشدهما إلى أنه يجب عليهما البقاء على الحالة التي كانوا عليها عنده، بل إنه أرشدهما صلوات الله عليه إلى أنه لا بد من ساعة وساعة، فساعة يقومون بحق أهليهم ويروحون عنهم ويصلحون شؤون حياة معيشتهم، وساعة يكونوا في مجالس الذكر يزداد فيها الإيمان، وتقبل فيها النفوس على ذكر الآخرة، فهذا الاعتدال وهذه الوسطية لابد أن تكون في حياة الداعية ظاهراً يلمسها من حاله، ويلمسها من حوله من حاله، فالداعية الموفق هو الذي يعطي كل ذي حق حقه مع استزادته في كل خير من كل باب. في هذا الحديث أنه ينبغي للداعية أن يُحسن إلى زوجه وذريته، فلا ينبغي للداعية أن يعرض عما لنزوجه وولده من الحق، وأن يعرض عن الإحسان إلى من هم تحت ولايته، فلا تعارض بين عنایته بالدعوة إلى الله وتفریغه جل وقته في خدمتها، وبين إحسانه إلى أهله، فالداعية قد ورثه رسول الله صلوات الله عليه، فهو خير الدعاة، وأصدق الدعاة، وأخلص الدعاة إلى الله كان يُحسن إلى أهله صلوات الله عليه، ويتطهّف معهم، ويشعرهم بمحبته لهم، ويحرص على إكرامهم،

والسيرة ملأى بذلك، ويقول: «خیرکم خیرکم لآلہ»<sup>(۱)</sup>، والداعية الذي يريد أن يتحقق الاقتداء برسول الله صلی اللہ علیہ وسلم عليه أن يأخذ بكل ما جاء عنه صلی اللہ علیہ وسلم في سيرته، خاصة في معاملة الناس من أهلين وأصحاب وجيران وذوي رحم وعموم الناس، ونجد أن النبي صلی اللہ علیہ وسلم كان يسابق عائشة كما في الحديث<sup>(۲)</sup>، وكان يمازح زوجاته كما في الحديث<sup>(۳)</sup>، وكان يحمل أمامة حفيده<sup>(۴)</sup>، ويعازح الصغار حينما قال لأنس "يا ذا الأذنين"<sup>(۵)</sup>، وكان يحسن صلی الله عليه وسلم إلى قرابته ويتلطف معهم.

(۱) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء (۶۳۶/۱) ح: ۱۹۷۷، وصححه الألباني (۴۷۷/۴).

(۲) أبو داود: كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل (۲۲۴/۴) ح: ۲۵۷۸، النسائي: كتاب عشرة النساء، باب مسابقة الرجل زوجته (۱۷۷/۸) ح: ۸۸۹۳، ابن ماجه: كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء (۳۹۷/۳) ح: ۱۹۷۹، وغيرهم، وصححه الألباني (۴۷۹/۴).

(۳) من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (زارتنا سودة يوم فجلس رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم بيني وبينها إحدى رحليه في حجري، والأخرى في حجرها، فعملت لها حريرة، أو قال: خزيرة فقلت: كلي، فأبأرت فقلت: لتأكلني، أو لألطخن وجهك، فأبأرت، فأخذت من القصعة شيئاً فلطخت به وجهها، فرفع رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم رجله من حجرها تستقيد مني، فأخذت من القصعة شيئاً فلطخت به وجهي، ورسول الله صلی اللہ علیہ وسلم يضحك). النسائي (۸/۱۶۲) ح: ۸۸۶۸.

(۴) البخاري: كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة (۱۰۹/۱) ح: ۵۱۶، ومسلم: كتاب المساجد وموضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة (۳۸۵/۱) ح: ۵۴۳.

(۵) أبو داود: كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح (۳۵۱/۷) ح: ۵۰۰۲، الترمذى: باب ما جاء في المزاح (۳۵۸/۴) ح: ۱۹۹۲، وغيرهما، وصححه الألباني (۴/۴۹۲).

فالمؤمن يحيا حياته في وسطية يطلب الآخرة ولا ينسى نصيبيه من الدنيا، قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَيْتَكَ اللَّهُ الْدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧].

قال السعدي: "استمتع بدنياك استمتعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك"(١).

ومن هنا فينبغي على الداعية أن يحرص على ما يصلح معاشه، فلا يجعل الدعوة شاغلة له عن طلب الرزق الحلال، فطلب الرزق الحلال في غفة يجعل الداعية عزيزاً ليس بحاجة لأحد، فمتي قام الداعية بدعوته إلى الله تعالى وقد أمن لنفسه ما يكون معاشاً صالحاً له، هذا يكون أشح صدراً للدعوة، وأحسن بالاً في قيامه بمهام الدعوة والتعليم، لكن الداعية الذي يحتاج بالدعوة وربما ينظر إلى ما في أيدي الناس، أو يتحرى أو يرجو أن يحسن الناس إليه بشيء، فهو مشغل برأيه في دعوكم، هذا أضر بنفسه وبدعوته، فينبغي على الداعية أن يقتدي بأصحاب النبي ﷺ، ففي هذا الحديث قال الصحابي "إذا عدنا إلى منازلنا عافسنا الزوجات والأولاد والضياعات"(٢)، والضياعات هي الحرف والصناعات وما يصلح الإنسان به معاشه، وهذا يدل على أنهم كانوا ينتهجون الاعتدال في حياهم، هم مع رسول الله ﷺ ينصرونه ويفيدون من علمه، وينشرون علمه ودعوته ﷺ، وهم كذلك يكتسبون المعاش الحلال يستعينون بما على القيام بواجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. ومن هنا إن اتباع المسلم لنهج الكتاب والسنّة يجعله وسطياً فلا غلو ولا تفريط، وهذا التوازن علمه الرسول ﷺ لحظة بقوله له : "ساعة وساعة".

(١) تفسير السعدي (ص ٦٢٣).

(٢) سبق تخربيجه.

## المطلب الخامس

### الترويح عن النفس لقوله صلوات الله عليه ساعة وساعة

حينما كان الصحابيان الجليلان أبو بكر خير الصحابة، وحنظله كاتب وحي رسول الله صلوات الله عليه، يذهبان إلى بيتهما فكانتا يروحان عن أنفسهما بملاءعة الصبيان وملاءعة الزوجات، وحينما أخبرا النبي صلوات الله عليه لم ينكر عليهما ذلك بل أرشدهما إلى مشروعيته وأنه عون على الثبات على مزيد من فعل الخيرات، ولذلك قال النبي صلوات الله عليه لهما: "...ولكن ساعة وساعة"<sup>(١)</sup>، فلابد أن يكون للداعية حظ من الترويح، يروح عن نفسه، فالنفس لها إقبال ولها إدبار، فمتي رأى الداعية من نفسه الإقبال على طاعة الله تبارك وتعالي، فإنه يغتنم ذلك ويفيد من إقبال نفسه فيجتهد في الطاعة، وإذا رأى من نفسه الكسل والملل والإدبار فإنه ينبغي أن يفسح لها ويختفف عنها فإن يفيد ما أباح الله تعالى له من الترويج المباح، فهذا ينشط النفس إلى عطاء متجدد لفعل الخيرات، والاجتهاد في طاعة الله تبارك وتعالي.

(وقوله: "ساعة وساعة" معناه: ساعة لقوة اليقظة وساعة للطبع وإن أوجبت بعض الغفلة. وهذا لأن الإنسان لو حق مع نفسه ما بقي فلا بد للمتيقظ من التعرض لأسباب الغفلة ليعدل ما عنده، ومن أين يقدر على الأكل والشرب والجماع من يرى الأمر كأنه معاين، وإن من الغفلة لنعمة عظيمة، إلا أنها إذا زادت أفسدت، إنما ينبغي أن تكون بمقدار ما يعدل).<sup>(٢)</sup> (ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ساعة وساعة. ساعة وساعة) يعني ساعة للرب عز وجل، وساعة مع الأهل والأولاد، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها، ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم. (وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكماها، أن الله عز وجل له حق فيعطي حقه عز وجل، وكذلك للنفس حق فتعطى حقها، ولأهل حق

(١) سبق ترجيحه.

(٢) كشف المشكّل من حديث الصحيحين (٤/٢٩٠-٢٣٠).

فيعطون حقوقهم، وللنوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم، حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة، ويتعبد لله عز وجل براحة، لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها مل وتعب، وأضع حقوقاً كثيرة. وهذا كما يكون في العبادة وفي حقوق النفس والأهل والضيوف<sup>(١)</sup>.

---

(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين (٢٣٦/٢).

## المبحث الثاني

### الدروس المستفادة للمدعى من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه.

سألناه الحديث في هذا المبحث عن الدروس المستفادة للمدعى من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه. وذلك من خلال عدة مطالب تمثل فيما يلي:

#### المطلب الأول

##### الرفق في إجابة المدعى

نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه حنظلة وأبو بكر رضي الله عنهمما يستفسران عما وجداه من فقدان ونقصان الحالة الإيمانية التي كانوا يحدانها في مجلس رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وبمحاسنته، كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه رفيقاً في استيضاحه منهما ورفيقاً في جوابه رحيمًا فيه، فأرشدهما إلى أن القلوب لا تكون على حال واحدة، وأنه لابد للنفوس من راحة وترويح، ولذلك قال لهم: «ولكن ساعة وساعة»<sup>(١)</sup> وهذا النهج النبوي لا بد أن يأخذ به الداعية؛ فيعامل بالرفق من يسألها، سواء كان المدعى ذا علم غزير مثل أبي بكر الصديق وحنظلة رضي الله عنهمما أو كان السائل جاهلاً ليس له علم يذكر، فالرفق يؤلف قلب المدعى و يجعله أكثر انتفاعاً بالنصيحة وبالتوجيه، وأعظم حبة للداعية، وإقبالاً على ما يدعو إليه.

وينبغي على الداعية أن يكون رفيقاً في تفهم ما لدى المدعى من إشكالات، وتفهم اختلاف آراء المدعويين، فيعالج بحلم وأنة كل ما يلقيه إليه مدعى من المدعويين، ولا يتأنى للداعية أن يكون موفقاً في معالجته إلا إذا اتصف بالحلم والأنة، وهاتان الصفتان هما لب

(١) سبق تخرجه.

الرفق وأساسه، قال تعالى في نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنْ أَللَّاهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا عَلَيْهِ أَلْقَلِبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] (١).

ولا شك أن المدعو مختلف أسئلته عما يحتاج إليه في أمر دينه، فهو يسأل عن مسائل الاعتقاد، كما يسأل عن مسائل إصلاح الأخلاق والسلوك، كما يسأل عن مسائل متعلقة بالفقه في العبادات والمعاملات، كما يحرص على أن يسمع من الداعية توجيهها يعينه على تجاوز معضلة، أو تفريح همٍ أو غمٍ نزل به، كل هذا يوجب على الداعية أن يكون رؤوفاً رحيمًا بهذا المدعو، مقتدياً برسول الله ﷺ الذي وصفه رب سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبه: ١٢٨]، كما أن المدعويين مختلفون بأفهامهم، فمنهم من هو حاذق الفهم، ومنهم من هو أقل من ذلك، فكان لزاماً على الداعية أن يراعي الفروقات الفردية بين المدعويين في استيعابهم وفهمهم، كما أن المدعويين يختلفون في استجابتهم لما يوجه به الداعية، ولا يمكن للداعية أن يتعامل بتوفيق ونجاح في دعوته مع كل المدعويين، ولا يمكن له أن تثمر دعوته ما يؤمله إلا إذا تخلى بصفات كثيرة من أعظمها وأبرزها الرفق الذي أساسه الرحمة والحلم، والرفق يجمع بين خصال كثيرة إذا وجدت في الداعية كان من الرفقاء في دعوتهم، فالحلم والأناة من أسس الرفق، فلا يكون الإنسان رفيقاً إلا إذا كان صاحب أناة وحلم، ولن ينال الحانب من أسس الرفق وكذلك الرحمة والرأفة، والرفق متى كان في الخطاب الدعوي

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة (ص ٢١).

وفي المعاملة الدعوية أثمر ونفع، فهاهم جمٌّ من اليهود يدخلون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقولون له:  
السام عليك، وفي آخر الحديث بعد أن دعت عليهم عائشة رضي الله تعالى عنها قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»<sup>(١)</sup>.

---

(١) البخاري: كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (١٢/٨) ح: ٦٠٢٤.

## المطلب الثاني

### العناية بتبشير المدعو وعمارة قلبه بالطمأنينة

لما جاء حنظلة رضي الله عنه يشكو إلى النبي ﷺ ما وجد مما حسبه غفلة، بشره النبي ﷺ وبشر أبا بكر بأن ما وحده ليس من الغفلة، ولا من الإعراض عن الخير، وإنما ما وحده طلبٌ لما هو فطري، وهو الترويح عن النفس بعد أن كانت في اجتهداد في ذكر الآخرة، وبشرهما النبي ﷺ بأفههما من أهل الإيمان وليسما من المنافقين.

فحنظلة جاء إلى النبي ﷺ وقال: (نافق حنظلة) فسألته النبي ﷺ مستوضحاً منه فقال له: «مه»، وذكر له أبو بكر الصديق مثل ما ذكر له حنظلة، فأخبرهما أن القلوب لها أحوال، وأن الحالة التي كانوا فيها في بيوكهما أمرٌ فطري، وهو من الترويج المباح، وليس ذلك من النفاق، وحاشاهما رضي الله عنهم من النفاق.

(وقوله: (نافق حنظلة) إنكار منه على نفسه لما وجد منها في خلوتها خلاف ما يظهر منها بحضور النبي صلى الله عليه وسلم، فخاف أن يكون ذلك من أنواع النفاق، وأراد من نفسه أن يستدسم تلك الحالة التي كان يجدها عند موعضة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يشتغل عنها بشيء).<sup>(١)</sup>

وفي هذا درس دعوي ينبغي أن يُعامل به المدعو، وأن يجده المدعو، فالبشاشة للمدعو بأنه من أهل الخير والغلاح تزيد حالة صلاحاً، وتزيد إيماناً، وتثبته على ما هو عليه من الخير والفضل، وأما تقنيط المدعو بـأن يخوف دائماً من ذنبه لا يذكر له ما يُبشر به فهذا خلاف هدي النبي ﷺ، فالله أرسل رسوله بشيراً ونديراً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ إِذَا

(١) المفهم (٧/٦٦).

أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ [سورة الأحزاب: ٤٥]، فلا بد من قرن أسلوب التبشير والندارة.

والإشارة للمدعو لها صور كثيرة، منها الثناء عليه بما هو قائم به من أعمال صالحة، ومنها تذكيره بعظيم ثواب ما هو قائم به من الأعمال الصالحة، ومنها ذكر أحوال أهل زمان المدعو من أهل الفضل والصلاح، كيف أن الله أحسن إليهم واستفاض الثناء عليهم في الناس، إلى غير ذلك من صور تبشير المدعو.

## المطلب الثالث

### تنبيه المدعو إلى معالي الأمور

نجد في حديث حنظلة أن النبي ﷺ قال لهم: «لو تذومون على ما أنتم عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم» الحديث<sup>(١)</sup>، (معناه لو أنكم في معاشكم وأحوالكم كحالتكم عندى لأظللتكم الملائكة لأن حال كونكم عندى حال مواجهيد وكان الذي يجدونه معه خلاف المعهود إذا رأوا الأموال والأولاد ومعه ترون سلطان الحق وتشاهدونه وترق أنفسكم)<sup>(٢)</sup> وفي هذه الجزئية –أيضاً– من الحديث تنبيه لحظلة إلى التماس معالي الأمور، فالمطلب العظيم أن يكون الإنسان في زيادة من إيمانه ويقينه مع أن الترويج لا ينافي ذلك، لكن هذا الحث النبوى دليل على أنه ينبغي للداعية أن يُحث المدعو على طلب معالي الأمور في دينه، وفي تحقيق التوحيد وزيادة الإيمان، فإذا كان هناك مدعو من المدعوين مجتهد في صلاة الجماعة وأداء السنن الرواتب؛ فإنه يُحث على قيام الليل فإن كان مُعْتَيَاً بذلك كله يُحث على كثرة الذكر وكثرة الصدقة وهكذا، وحتى في بيان المهدف والمراد فإنه يُحث على طلب الدرجات العليا من الجنة، ويُحث على طلب الفردوس الأعلى من الجنة، ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سألتم الله الجنة فاسأله الفردوس الأعلى من الجنة»<sup>(٣)</sup>.

(١) سبق تخرجه.

(٢) فيض القدير للمتداوى (٥/٣١٠).

(٣) ابن حبان (٣/٢٣٨) ح: ٩٥٨.

وفي جانب المعاملات يحث المدعو على التحلی بأحسن الأخلاق وأفضلها من الجود والكرم والإيثار، وهكذا يحث على معالي الأمور ليحصل الأفضل والأحسن فيكون في ترقي في درجات الهدایة.

## المطلب الرابع

### الثناء على المدعو

لقد بشر النبي ﷺ حنظلة وأبا بكر رضي الله عنهمما أئخُما ليسا من أهل النفاق، وبشرهما بأئخُما من أهل الإيمان، وفي هذا ثناء على أبي بكر وحنظلة رضي الله عنهمما، وهذا الثناء له أثر بالغ في تشويت المدعو على الخير، وحيثه على الاستزادة في طلب المزيد من الصلاح والمداية وتحقيق التقوى، ولا يعارض هذا ما جاء عن النبي ﷺ في منع الثناء على الرجل في وجهه ومن ذلك حديث: «إذا رأيتم المداهين فاحثوا في وجوههم التراب»<sup>(١)</sup>، وحديث: «قطعت عنق صاحبك»<sup>(٢)</sup> حينما أئخَنَّ صاحبِي على صحابي آخر، فإن النبي ﷺ ثبت عنه أنه أئخَنَّ على كثير من أصحابه وهم حضور عنده ﷺ، مثل ثنائه على أبي<sup>(٣)</sup>، وثنائه على علي: «لأَعْطِيَنَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»<sup>(٤)</sup>، وثنائه

(١) مسلم: كتاب الزهد والرقاء، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على المدح (٢٢٩٧/٤) ح: ٣٠٠٢.

(٢) البخاري: كتاب الشهادات، باب إذا زكيَ رجل رجلاً كفاه (١٧٦/٣) ح: ٢٦٦٢، ومسلم: كتاب الزهد والرقاء، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على المدح (٢٢٩٦/٤) ح: ٣٠٠٠.

(٣) من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم له: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك لَمْ يَكُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنَفَّكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴿١﴾ [سورة البينة]» قال: وسماني؟ قال: «نعم». البخاري: كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب أبي بن كعب (٣٦/٥) ح: ٣٨٠٩، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بن كعب (٤/١٩١٥) ح: ٢٤٦٥.

(٤) البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب (١٨/٥) ح: ٣٧٠٢، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (٤/١٨٧٢) ح: ٢٤٠٧.

علي عثمان «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»<sup>(١)</sup>، وشأنه على عمر «لو سلك عمر فجأً لسلك الشيطان فجأ آخر»<sup>(٢)</sup>، وشأنه على ابن مسعود<sup>(٣)</sup> رضي الله عنهم، وغير ذلك.

والجمع بين أحاديث النبي والشأن على أصحابه رضي الله عنه أنه لا حرج في الشأن على الرجل في وجهه إذا كان مأموناً عليه الفتنة، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر<sup>(٤)</sup>. والداعية يُفيدُ من هذا القول للعلماء في جواز الشأن على الرجل في وجهه إذا أمنْتْ عليه الفتنة، بأن يُثني على المدعو إذا رأى في ذلك تحفِيزاً لـ الله على فعل مزيد من الخير وتثبيتاً له.

(١) الترمذى: باب في مناقب عثمان (٦٢٦/٥) ح: ٣٧٠١، وحسنه الألبانى في صحيح وضعيف سنن الترمذى (٢٠١/٨).

(٢) البخارى: كتاب أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلم، باب مناقب عمر بن الخطاب (١١/٥) ح: ٣٦٨٣، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (١٨٦٣/٤) ح: ٢٣٩٦.

(٣) مثل حديث ابن مسعود: أنه كان يجتني سواكا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفوه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبى الله، من دقة ساقيه، فقال: «والذى نفسي بيده، لهما أُنقل في الميزان من أحد». مسنند أحمد: (٩٨/٧) ح: ٣٩٩١، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٤) فتح البارى (٣٩٦/١٢).

## المطلب الخامس

### تشييُّت المدعو على الخير

إن الكلمات التي مدادُها الود والرحمة والمتلائمة بذكر مناقب المدعو والإشادة بما هو عليه من التوفيق هذا كله له أثرٌ في تشييُّت المدعو على الخير، فالمدعو تو سوس له نفسه بالسوء، والشيطان يدعوه إلى السوء، ولا بد من كلمات من الداعية تُثبِّته بالثناء عليه وبتألفه، ونجد أن النبي ﷺ أُتْيَ على حنظلة ثناءً زاده ثباتاً فبَيْنَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ فِي مَلَازِمِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَلَازِمِهِ مَحَالِسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمَاعَهُ الْحَدِيثُ وَكِتَابُهُ لِكَتَابِ اللَّهِ يُمْلِيُهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ، وَأَنَّ مَا حَصَلَ لَهُ مِنْ حَالٍ وَجَدَ فِيهَا تَغْيِيرًا قَلْبَهُ لَا يُنَافِي مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَهَذَا الثَّنَاءُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَشَيَّتْ لِحَنْظَلَةَ؛ وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يُلْقِي مِنْ كَلِمَاتِهِ الْمُوْفَقَةَ مَا يَشَيَّتْ بِهِ قُلُوبُ الْمَدْعَوِينَ فَلَا يَجْفَفُوا عَلَيْهِمْ بِكَلَامٍ يَشَعِّرُهُمْ بِالنَّفَصَانِ وَالتَّقْصِيرِ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ، وَإِنَّمَا يُوجَهُ لَهُمُ الْخَطَابُ الدَّعَوِيُّ بِرُفْقٍ فِي سِيَاقٍ يَسْتَجْلِبُ الْقُلُوبَ وَيَتَأْلُفُهَا، وَيَثْبِتُهَا عَلَى الْخَيْرِ بِالثَّنَاءِ بِصُورَةِ الْمُخْتَلَفَةِ.

### المبحث الثالث

#### أساليب الدعوة ووسائلها من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

سأتناول هذا المبحث من خلال مطلبين :

#### المطلب الأول

#### أساليب الدعوة خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

ينبغي على الداعية أن يُفَيدَ من النصوص القرآنية والنصوص النبوية، في كيفية الدعوة إلى الله، والوسائل التي ترشد إليها هذه النصوص، فإن الرجوع إلى هذه النصوص والإفادة منها من كل وجه، وفي الدعوة خاصة، وفي معرفة أساليب الدعوة ووسائلها من أعظم أسس النجاح والتوفيق في الدعوة إلى الله، ولذلك أجده أنه من المناسب أن ألقي الضوء على ما في هذا الحديث النبوبي وهذه القصة (حنظلة مع النبي ﷺ) من أساليب ووسائل.

#### الأسلوب الأول: أسلوب الموعظة:

من يقرأ هذا الحديث يجد أنه أشار إلى أن مجالس النبي ﷺ كان فيها الوعظ من ترغيب وترهيب، فهو يذكرهم بالجنة والنار، يرغبهما في الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، ويحذرهم من النار وما يقرب إليها من قول وعمل، فإن حنظلة رضي الله عنه ذكر النبي ﷺ كما في نص الحديث: (إذاً كنا عندك فتذكراً بالجنة والنار فكأنما نراها رأي عين)، وهذا التذكير هو الوعظ والإرشاد بجانبيه الترغيب والترهيب، وهكذا كانت مجالسه ﷺ فيها الموعظة الحسنة التي تعتمد مخاطبة القلوب وإثارة عواطفها بذكر اليوم الآخر؛ لتشتاق القلوب إلى الجنة فتجتهد في العمل الصالح، وتخاف القلوب من النار، فتنفر من كل عمل يدخل صاحبه النار.

فينبغي على الداعية أن يُفَيدَ من هذا الأسلوب النبوبي، أسلوب الموعظة، فيجعل مجالسه الدعوية سواءً كانت مجالس في تعليم العلوم الشرعية أو مجالس في الإفتاء أو مجالس

في تعليم القرآن، ينبغي أن يعني بجانب الموعظة في بعض بالترغيب والترهيب، فإن هذا الأسلوب يسوق القلوب إلى الله، ويجلوا عنها صدى العفة وآفات التعلق في الدنيا وحب شهوتها الحرمة.

### الأسلوب الثاني: أسلوب مراعاة مقتضى الحال:

الداعية الذي لديه حكمة ويتصرف بالصفات المؤهلة لتوقيفه ونجاحه في دعوته يعرف ويدرك أحوال المدعوين، كما يدرك ما ينبغي من تصرف، وكيفية إرشاد، في كل حادثة وكل موقف يحصل بينه وبين المدعوين، أو بينه وبين أحدهم، أو بين المدعوين أنفسهم، فلا بد من مراعاة مقتضى الحال، ومراعاة مقتضى الحال تعني: أن يكون لكل مقام مقال، ولكل حادثة حديث يناسبها، ولكل مدعو معاملة بما يناسب حاله، فمن المدعوين من يحتاج إلى التفصيل في الوعظ والإرشاد في بيان الأحكام، ومنهم من يكتفي في إلهامه وإرشاده وتعليمه الإيجاز والاختصار، ومن المدعوين من يحتاج إلى حجج في إقناعه للعمل بالعمل من الأعمال الصالحة، أو تجنب ما يشينه، ومن المدعوين من يحتاج إلى إثارة عاطفته ليعمل بما يوجه إليه، ومنهم من يحتاج إلى إثارة تفكيره وإعماله لعقله، وتدبّره، ومن المدعوين من يناسب معه الإعراض أو الزجر أو المعاتبة، كما أن المواقف والحوادث تختلف، فإن الداعية قد يعمل بأسلوب من الأساليب في حادثة ما؛ لأنه لا يناسب في تلك الحادثة إلا الأخذ بهذا الأسلوب أو ذاك، مثل أن يمر به موقف يجب فيه أن يكون واعظاً مرغباً ومحذراً، وقد يكون مرة يحتاج في موقف من الموقف إلى الزجر والنهي مع الغلظة والشدة، وكل هذا من مراعاة مقتضى الحال، وما يناسب كل حادثة بعينها.

وعند تأمل حديث حنظلة هذا نجد أن النبي ﷺ، علم من أبي بكر وحنظلة من خلال حلهما ومن خلال مقاهمما، حرصهما الشديد العظيم على أن يكونا في أحسن أحوال قلوبهم خشية وذكرى وورعا وتقوى، فالنبي ﷺ راعى هذه الرغبة وهذا الحرص لدى هذين الصحابيين الجليلين، ولكنه نبههما إلى أن للنفس حق وللقلب حق، فلابد أن تأخذ

النفس قسطها من الراحة ويروح عنها، وكذا القلب يأخذ قسطه من الراحة ويروح عنه، وهذا يجعل المسلم يراعي حالة نفسه، وحال قلبه، فكل حال يعامل المسلم قلبه فيها بما يناسب حسب توجيهات الشريعة، وكذلك فإن النبي ﷺ نبه هذين الصحابيين الجليلين إلى أنهما مؤهلان لأن أعلى المقامات، ويعيشانها حقاً بصدق عند جلوسهم مع النبي ﷺ.

### الأسلوب الثالث: أسلوب التعليم:

الإسلام كما أشرت دين العلم، يتلقى المسلم أحكام الإسلام من خلال التعلم، والتعلم يكون تعلماً للآيات القرآنية، والاحاديث النبوية، وفهمها وتطبيقاتها، وتعلم أيضاً بالاقتداء بأهل الفضل والعلم والصلاح، وتعلم بالانتفاع بتوجيهات العلماء والدعاة إلى الله، ونجد في هذا الحديث حرص الصحابة على طلب العلم، فبمجرد أن أشكل على أبي بكر وحنظلة رضي الله عنهما مسألة تغير حال قلوبهما، عاداً أو رجعاً إلى إمام العلماء وخير الأنبياء ﷺ فسألاه فأجابهما صلى الله عليه وسلم، وإجابته ﷺ كانت إجابة واضحة مفصلة، تزيل الإشكال وتكشف آثاره.

فلذلك النبي ﷺ في هذا الحديث استعمل أسلوب التعليم، فعلم الصحابيين أن القلوب لها أحوال ونفوس لها أحوال وأن اختلاف أحوالها ما بين زيادة إيمان ونقصه، واختلاف أحوالها من إقبال أو ميل إلى طلب الدنيا، لا يضر بإيمان المؤمن، ولا بإسلامه، فالمسلم على خير في كل حال، فما دام أنه مستقيم على طاعة الله فهو على خير، وأن أحدهه بالمباح من الترويح لا حرمة فيه، ولا حرج عليه فيه.

ثم بين لهم النبي ﷺ أعلى المقامات، وبين أنه لا يمكن للإنسان أن يدوم على تلك المقامات الإيمانية التي يجدها في مجالس الذكر والعلم، لأن هذا الإنسان ضعيف، وأنه لو دام على تلك المقامات لصافحته الملائكة في الطرق وعلى الفرش.

وكذلك في هذا الحديث إرشاد النبي ﷺ الصحابة إلى طلب معالي المقامات الإيمانية، فهو حقيقة لم ينفهم ﷺ عن طلب تلك الحال، ومحاولة استدامتها لكنه أشار بقوله ﷺ:

(ولكن ساعة وساعة) إلى أن الإنسان لا تشرب عليه إذا تفاوت وتبينت أحوال قلبه من ميل إلى الترويج، أو اجتهاد في طاعه الله، فهذه الساعات التي فيها الترويج يفيد منها المسلم في أن يجتهد في غيرها من الساعات، في طلب وتحصيل أعلى المقامات الإيمانية، وهكذا ينبغي على الداعية أن يأخذ بأسلوب التعليم، فيعلم ويبين ويوضح المسائل صغيرها وكبيرها، ولا يمل من التعليم، ويلقي إلى الناس مسائل العلم إلقاء واضحاً بينما يتتفع به المدعو.

#### **الأسلوب الرابع: الحكمـة في الدعـوة إلى الله:**

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه والحكمة في الدعوة أسلوب أرشد إليه القرآن، قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]، فالدعوة بالحكمة تتضمن أن يكون الداعية رفياً رحيمًا، على بصيرة، يدعو كل مدعو بما يناسب حاله، ويتدبر في الدعوة، ويخلص في موضع الحال، ويغليظ في الأسلوب في موضع الغلظة والشدة، فيدعوا إلى الله تعالى في كل ما تعنيه الكلمة الحكمة في الدعوة إلى الله، فهو يشد ويغليظ حينما تكون الشدة مناسبة للمقام، وحال المدعو، ويظهر رأفته ورحمته حينما تدعو حال المدعو لذلك، ويهرج حينما يكون المجر نافعاً، ويعاتب حينما يكون العتاب علاجاً نافعاً، ويقدم على الإنكار حينما يكون الإنكار لا يضر به وبدعوته، ويعرض عن المدعو إذا كان الإعراض نافعاً لهذا المدعو، وسبباً في إنكار المنكر، وهكذا.

ويراعي حال المدعوين، فمن المدعوين من يناسبه التعليم، ومن المدعوين من يناسبه المحادلة، ومنهم من يناسبه الوعظ والإرشاد، ومراعاة كل مدعو، ودعوته بأسلوب الدعوة المناسب لحاله، هذا كله من الحكمـة.

قال السعدي رحمة الله: "ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالاهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبولة أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإنما فينتقل معه بالدعوة بالمعوذة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرن بالترغيب والترهيب"<sup>(١)</sup>.

ونجد في هذا الحديث أن النبي ﷺ دعا إلى الله بحكمة في هذا الموقف الدعوي، إذ جاءه حنظلة متخفوفاً من تغيير حال قلبه، حتى أنه اتهم نفسه بالتفاق، وواافقه أبو بكر على هذا التخوف، وإثمام نفسه بالتفاق، أو أن المقصود التفاق اللغوي، فالنبي ﷺ قابل تخوف هذين الصحابيين بأن يطمئنهم ويبشرهما بأنهما من أهل الإيمان، وأنه لا خوف عليهم ولا هما يحزنان.

ثم انتقل النبي ﷺ إلى بيان سبب هذا التغيير، وأنه لا يضر بإيمانهما، ولا ينقص قدرهما عند الله، وأرشدهما إلى ما اختصت به هذه الشريعة من السماحة، ومراعاة حال القلوب والأنفس، وكل هذا من الحكمة.

فينبغي على الداعية إذا جاءه سائل يسأله، أو من لديه شبهة أو من لديه إشكال في مسألة من مسائل الاعتقاد والإيمان، أو مسألة من مسائل القيم والأخلاق، أو مسألة من مسائل العبادات، أن يقابل سؤال السائل في إجابة تغرس فيه مزيداً من الحبة لهذه الدين، والثبات عليه، ولا يقتصر الداعية في جوابه على كشف الشبهة، وإزالة الإشكال، بل ينقل المدعو إلى تفهم حقائق الدين، ومعرفة محسن الشريعة ومقاصدها؛ ليغرس في نفس هذا المدعو البصيرة في محسن هذا الدين وقيمه ومبادئه، ويصره بهذه المقاصد والمحاسن؛ ليتأسس لديه علم نافع، ومعرفة ثاقبة لهذا الدين، وحسن مقاصده، وعظيم محسنه، وهذا كله من الحكمة في الدعوة إلى الله.

(١) تفسير السعدي (ص ٤٥٢).

## الأسلوب الخامس: أسلوب الحوار

الحوار هو أسلوب دعوي، يحاور به الداعية المدعو من خلال مناقشة ما لدى المدعو من آراء وأفكار، والمقصد من الحوار هدایة المدعو إلى ما هو خير له في الدنيا والآخرة، بيان الحق فيما سأله وحاور حوله وفيه، فمن المدعوين من لا يقبل النصيحة إذا جاءت عظاً، ومن المدعوين من يحب أن يعمل عقله في كل مسألة تلقى إليه، ويحكم عقله، ومن المدعوين من يحب أن يكون مقتنعاً بما يدعى إليه، فإذا وجد الداعية أحداً من هذه الأصناف من المدعوين، فإنه ينبغي عليه أن يفيد من أسلوب الحوار، ويناقش ويجاور المدعو، فيعرض الأدلة على صحة ما يقوله، ويسمع من المدعو الإشكالات، أو إن كان عنده شبهات يناقشها ويدحض تلك الشبهات، ويرد عليها بالأدلة الشرعية، حتى يتقبل المدعو ما يدعوه الداعي إليه، وتزول عن ذهنه الشبهات وتحلّي، وهذا موجود في السنة كثيراً، فقصة الشاب الذي جاء يستأذن النبي ﷺ في الزنا فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فرجروه وقالوا: مه. مه. فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً. قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحسن

فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء<sup>(١)</sup>. فالنبي ﷺ لم يزجر الشاب ويطرده، وإنما حاوره بأسئلة: أتحب هذا لأمك، أتحب هذا لأختك... إلخ. ثم اقتنع الشاب.

وهكذا جرى حوار بين النبي ﷺ مع عدد من الصحابة، فهذا الحديث الذي بين أيدينا، -حديث حنظلة- نجد أن النبي ﷺ حاور حنظلة رضي الله عنه، ففي أول الأمر بين له أنه لو كان حاله يدوم على تلك الحالة التي هو عليها حين مجالسة النبي ﷺ، لصافحته الملائكة في الطرق وعلى الفرش، لكن القلوب تتغير أحوالها وتتكل وتمل، ثم النبي ﷺ أشار إلى مسألة أخرى، وهي أن لا بد للقلب من الراحة والترويح، وهذا كله من الحوار، وينبغي على الداعي أن يفيد من ذلك في دعوته لله تعالى، فيعمل أسلوب الحوار الذي أشار إليه هذا الحديث.

(١) مسند أحمد (٣٦/٥٤٥) ح: ٢٢٢١١، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

## المطلب الثاني

### الوسائل الدعوية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

الوسيلة الدعوية: هي ما يتوصل به إلى عرض الدعوة وبيان أهدافها، وتكون الوسيلة مادية أو معنوية، وليس هذا مجال الحديث عما يتعلق بالتأصيل لمسألة وسائل الدعوة، وحسبي في هذا المبحث أن أذكر ما أرشد إليه الحديث من وسائل دعوية:

#### الوسيلة الأولى: زيارة العلماء:

وهذه الوسيلة ينتفع بها الداعية، وينتفع بها المدعو، فأما الداعية فإن زيارته للعلماء تزيده علماً وبصيرة في معرفة كيفية الدعوة، وتحديد المقصود منها، ومعرفة وسائلها، ومعرفة أصناف المدعوين، وما يناسب كل صنف، وزيارة العلماء تنفع الداعية في تعليمه الأحكام العقدية، والأحكام الفرعية، وعموم مسائل الدين، والتعرف على محاسن الشريعة ومقاصدها.

فزيارة العلماء كلها خير، وتجعل الداعية بصيراً بكيفية معالجة كل ما يجد ويشكل عليه في طريق دعوته، وذلك من خلال عرض تلك الإشكالات على العلماء، فيرشدونه إلى هدي القرآن وهدي النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، وهدي سلف الأمة، ومن هذا أن عتبان بن مالك رضي الله عنه استزار النبي صلى الله عليه وسلم في بيته فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصرى، وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي يبني وبينهم، لم أستطع أن آتي مساجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله، أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأخذته مصلى، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سأفعل إن شاء الله»، فأتاه فصلى في بيته<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت (٩٢/١) ح: ٤٢٥.

وزيارة العلماء نافعة للمدعو، فإن زيارة المدعو للداعية ذو العلم الغزير، تنفعه في تعليمه أحكام الشريعة، وفي تشبيته على الاسترزادة من الخير، ومجانبة المعاصي والذنوب، وفي التوبة إلى الله من كل خطيئة، وفي إصلاح قلب المدعو وطهارته من الأهواء والأدواء كلها، فمن زار العلماء سلم وبنجا من الأهواء بأنواعها، والفتنة بأنواعها، والأدواء بأنواعها، فإن كل إنسان معرض للفتنة، ولكن لا ينجو من الفتنة، ولا ينجو من الأهواء والأدواء، إلا من رجع إلى الكتاب والسنة وهدي السلف، وهذا لا يتأتى للمسلم إلا بالرجوع إلى العلماء، الذين يُبَيِّنُونَ له نصوص الكتاب والسنة وفقيهها، على فهم السلف ووفق فهم السلف.

ونجد في حديث حنظلة رضي الله عنه هنا أن أبا بكر رضي الله عنه وحنظلة اتفقا رأيهما على العودة إلى النبي صلوات الله عليه وسلم، ورجعا إلى النبي صلوات الله عليه وسلم وزاراه، وقبل ذلك كانوا في مجلسه، فهذا يدل على أن هذه الوسيلة نافعة لأهل العلم، ونافعة لعموم الناس فأبوا بكر من أعظم الصحابة وأغزرهم علمًا، وحنظلة كاتب وحي رسول الله صلوات الله عليه وسلم على علم غزير، وإذا كان هذا نافع للعلماء من الصحابة، فهو نافع للعلماء الذين في زماننا هذا، ونافع للدعوة الذين في زماننا وكذلك نافع لعامة المسلمين، أعني زيارة العلماء في كل زمان.

### الوسيلة الثانية: ضرب الأمثال:

ضرب الأمثال ورد في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٥]، في غير آية من كتابه، ويمثل الله الأمثال للناس، ويشبهه لهم الأشباح ليتذكرها، وليعتبروا بها ويتعظوا<sup>(١)</sup>، والنبي صلوات الله عليه وسلم ضرب الأمثال لأصحابه في أحاديث كثيرة

(١) انظر: جامع البيان (١٦/٥٦٧).

منها قوله: «مثلاً ما بعثني الله به من المدى والعلم» الحديث<sup>(١)</sup>، ومنها أنه سألهم صلى الله عليه وسلم بقوله: «أحبروني عن شجرة، مثلها مثل المؤمن»<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك، وهناك أحاديث كثيرة في ضرب الأمثال.

فضرب الأمثال وسيلة دعوية جاءت في الكتاب والسنة، ولا بد للداعية أن يفيد منها في دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، وهنا في حديث حنظلة أشار النبي ﷺ إلى وسيلة ضرب الأمثال من خلال قوله: «لو تكونوا على مثل ما أنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة»<sup>(٣)</sup>، ففي هذه الجزئية من الحديث: النبي ﷺ يضرب لهم مثلاً للحال التي يتطلبون أن يكونوا عليها، وكيف لو كانوا عليها كيف يكون حالم.

### الوسيلة الثالثة: الترويح:

ذكرتُ من قبل أن النبي ﷺ كان يُداعب أصحابه ويمازحهم، وعازح أهله وذراته وأصحابه رضي الله عنهم جميعاً، ولا شك أن ما يفعله النبي ﷺ حق، ولذلك قال له الصحابة - كما بينت من قبل - : (إنك لتمازحنا)؟ قال: (نعم، وإنما لا أقول إلا حقاً)<sup>(٤)</sup>. وهذا يعني أنه لا يمازحهم صلى الله عليه وسلم إلا لتنبيههم إلى ما ينفعهم، وتحذيرهم مما يضرهم، فيؤخذ من هذا أن الممازحة والمداعبة - وهما صورتان من صور الترويح - وسائلتان من وسائل الدعوة، فالترويج بكل صوره المباحة، يمكن أن يكون وسيلة دعوية إذا كان الداعية قد التزم في أخذته بوسيلة الترويج بما جاء من الم Heidi النبوى، ولم يكن مخالفًا لشيء

(١) البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم (٢٧/١) ح: ٧٩، ومسلم: كتاب الفضائل،

باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من المدى والعلم (١٧٨٧/٤) ح: ٢٢٨٢.

(٢) مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة (٤/٢١٦٥) ح: ٢٨١١.

(٣) سبق تخربيجه.

(٤) سبق تخربيجه.

من هديه صلى الله عليه وسلم في الممازحة، فلا يكون مخالفًا لشيءٍ من هديه صلى الله عليه وسلم في الترويج، فلا يكون ترويجه صارفاً عن طاعة ولا مثبطاً عنها، ولا داعياً إلى معصية، وليس فيه أذية لأحد، وليس فيه مخالفة أمر من أوامر الله ورسوله ﷺ، ولا تقليلاً من شأن شعيرة، ولا مساس بها، وهكذا.

وقد تحدث الإمام ابن القيم رحمة الله عن الترويج المباح وما فيه من دفع مفاسد وجلب مصالح، ثم ذكر شيئاً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في الترويج عن أمها عائشة وذكر الأحاديث في ذلك<sup>(١)</sup>.

ثم قال "وهل الاستعانة على الحق بالشيء اليسير من الباطل إلا خاصة الحكمة والعقل؟ بل يصير ذلك من الحق إذا كان معييناً عليه، ولهذا كان **لهم** الرجل بفرسه وقوسه وزوجته من الحق، لإعانته على الشجاعة والجهاد والعتق، والنفوس لا تنقاد إلى الحق إلا بـ**برطيل**، فإذا **برطلت** بشيءٍ من الباطل لتبدل به **حما**، **وتجوده** **أنفع** لها وخير من فوات ذلك الباطل، كان هذا من تمام تربيتها وتكميلها. فليتأمل الليب هذا الموضع حق التأمل، فإنه نافع جدًا، والله المستعان"<sup>(٢)</sup>.

فمتي كان الترويج منضبطاً وأحسن الداعية في استعماله النية، فإنه يكون وسيلة دعوية مشروعة.

ونجد أن حنظلة رضي الله عنه في هذا الحديث ذكر هو وأبو بكر رضي الله عنهمَا أئمماً ينصرفان إلى بيوكِمَا بعد الجلوس مع النبي ﷺ، فيعافسان الأزواج والأهليين والضيوف، وهذا يتضمن الترويج بأنواعه، من ممازحة ومداعبة ونحو ذلك، فالنبي ﷺ أقرُّهُمَا على ذلك، وبنهمَا إلى أن هذا الترويج يكون عوناً على طاعة الله تعالى، وتحديداً للاجتهداد في العمل بطاعة الله تبارك وتعالى، والاسترادة من الأفعال الصالحة التي يتقوى بها الإيمان، فأشار النبي ﷺ إلى

(١) الكلام على مسألة السماع (٢٣٥-٢٣٦).

(٢) المرجع السابق (١/٢٣٧).

أن الإنسان إذا أحسن النية في الترويج، فقصد أن هذا الترويج يعينه ويعين من حوله من يمارس معهم ولهم الترويج، فإنه يكون ذلك من باب العون على الطاعة، وما لا حرج فيه، وما ينفع المسلم في إيمانه ولا يضره.

## المبحث الرابع

### دروس أخلاقية من خلال حديث حنظلة رضي الله عنه

سأتناول هذا المبحث من خلال عدة مطالب تتمثل فيما يلي:

#### المطلب الأول

##### غرس الإيمان وقيمه في نفوس المدعوين

كما أوضحت من قبل فإن التوحيد هو أول ما ينبغي للداعية أن يعتني بالدعوة إليه، فيبين مسائله ويحذر مما يضاده أو يضاد كماله، فالدعوة إلى التوحيد هي دعوة رسول الله عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الْطُّغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦]، ومن الدعوة إلى التوحيد الدعوة إلى الإيمان بالله جل وعلا وأسمائه وصفاته، وبيان حقه سبحانه وتعالى، والدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الدعوة غرس القيم الإيمانية، وتربيه النفوس على اليقين بالله سبحانه وتعالى؛ فالإيمان بالله جل وعلا من أعظم ما يعطاه العبد، كما جاء في الحديث عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه «إِنَّ أَحَدًا لَمْ يَعْطِ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِّنَ الْعَافِيَةِ»<sup>(١)</sup>، ومن اليقين اليقين بالجنة والنار، وهذا كله الذي ذكرته موجود في حديث حنظلة، فهو ما كان يدعو إليه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه من تقوية إيمان الصحابة ويقينهم، وتذكيرهم بالجنة والنار، ولذلك كانوا يعيشون مع النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في مجالسه كأنهم يرون الجنة والنار رأي العين.

(١) النسائي: كتاب عمل اليوم والليلة، باب مسألة المعافة (٣٢٧/٩) ح: ١٠٦٥٨، والترمذى: أبواب الدعوات (٥٥٧/٥) ح: ٣٥٥٨، وقال الألبانى: حسن صحيح (٥٨/٨).

فعلى الداعية أن يُفيد من هذا في أن يكون هدفه الأعظم والأسمى الدعوة إلى الإيمان بالله جل وعلا، وتحقيق كمال الإيمان من خلال الموعظ بالذكر بالجنة والنار، والمتبع لسيرة النبي ﷺ يجد أنه عليه الصلاة والسلام في كثير من مواعظه وخطبه وتعليمه ﷺ يذكّر بالجنة ونعمتها ويرغب في الاجتهد في طلب الدرجات العلا منها، كما يحذر من النار، ويحذر من الأعمال والأقوال التي تقرب إلى النار، ومن أمثلة تذكيره ﷺ في خطبه أنه كان يقول: «أندرتكم النار»<sup>(١)</sup> كان يقولها كأنه مُنذِّر الجيش، وكذلك ﷺ في خطبةٍ خطبها حينما حصل الكسوف والخسوف ذكر الجنة وذكر النار<sup>(٢)</sup>، ومرةً عظَّ الصحابة وعلمهم من الفجر إلى المغرب يقطع ذلك الوعظ بالصلاحة<sup>(٣)</sup>، كان يذكّر بالجنة والنار عليه الصلاة والسلام، وهكذا كان يُرحب عليه الصلاة والسلام في حثه أصحابه على طلب الدرجات العلا من الجنة، ومن ذلك حديثه عن أهل الجنة من هم وما صفاتهم، وحديثه عن أهل النار وما صفاتهم.

(١) مستند أحمد (٣٤٩/٣٠) ح: ١٨٣٩٩، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) البخاري: كتاب العلم (٢٨/١) ح: ٨٦، ومسلم: كتاب الكسوف (٦٢٢/٢) ح: ٩٠٤.

(٣) ونص الحديث: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخيرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمكنا أحفظنا»، أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة

. ٢٢١٧/٤) ح: ٢٨٩٢

## المطلب الثاني

### تركيبة القلوب وصفاء النفوس بذكر الدار الآخرة

القلب هو المضغة التي بصلاحها تصلح الجوارح وبفسادها تفسد الجوارح وبصلاح هذه المضغة تصلح الأعمال وبفسادها تفسد الأعمال حتى قال النبي ﷺ «ألا إِنَّ فِي جَسَدِكُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ يَوْمَ الْحِجَّةِ إِلَيْهَا يُنْذَرُ كُلُّ أَعْمَالِهِ»<sup>(١)</sup> فلا بد أن يعني الحديث «التحنيف»<sup>(٢)</sup> ألا إن في الجسد مضغة» الحديث، وأشار النبي ﷺ إلى صدره فقال «التقوى ها هنا»<sup>(٣)</sup> فلا بد أن يعني الداعية بإصلاح قلبه، ويتفقد أحواله، وكذلك المدعو لا بد أن يعني بإصلاح قلبه، ويتفقد الداعية، فيما الذي جعل حنظلة يتذكر ويتدبر ويسأل هذا السؤال؟ لم يدفعه لذلك إلا أحوال قلبه، فإنه حينما كان عند النبي ﷺ يجد من زيادة الإيمان ما لم يجده حينما ملاحظته لحال قلبه، فإنه حينما كان عند النبي ﷺ يجد من زيادة الإيمان ما لم يجده حينما رجع إلى داره، وعاكس الأولاد والضياع والزوجات، فمراقبته لحال قلبه أوجبت لديه أن يسأل هذا السؤال للنبي ﷺ عن سبب تغير حال قلبه.

فتأخذ من هذا الحديث أنه ينبغي للمسلم أن يتفقد أحوال قلبه، والقلب سمي قلباً لكثرة تقليله، فهو يتقلب. وليتذكر الداعية أن قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف شاء، كما في الحديث<sup>(٤)</sup>. فالواجب أن يحرص الإنسان على تركيبة قلبه وتنقيته من كل الأهواء والأدواء، وأن يعمّر قلبه بصلاح الأعمال، أعمال التوحيد من التوكل على الله وحسن الظن به ورحائه وخوفه والحياء منه وإجلاله سبحانه وتعظيمه، وأن يعمّر المسلم قلبه بحب الخير للمسلمين وحسن الظن بهم، ومحاباة أذيتهم والحقد عليهم، وسوء الظن بهم،

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استiera لدینه (٢٠/١) ح: ٥٢، ومسلم: كتاب المساقاة، بابأخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣) ح: ١٥٩٩.

(٢) مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذه، واحتقاره ودمه، وعرضه، وما له (٤٩٨٦/٤) ح: ٢٥٦٤.

(٣) مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٤٥/٤) ح: ٢٦٥٤.

وهذا يصلح القلب عامراً بطاعة الله تبارك وتعالى، فمتى كان قلب الداعية صالحًا سليماً منيباً كان وعظه وتعليمه أكثر نفعاً للناس، ومتى كان المدعون أصحاب عناءة بقلوبهم، كانت الموعظ تؤثر فيهم، والتعليم لمسائل الدين ينفعهم.

ومن الموضوعات التي ينبغي أن يعنيها أيضاً موضوع الحث على الاجتهاد في طلب الآخرة، وهذا لن يأتي إلا بتزكية القلوب وصفاء النفوس، فقد كان النبي ﷺ في موعظه وتعليميه وسائر مجالسه يحث الصحابة على الاجتهاد في طلب الآخرة، ويحثهم على التسابق فيما يبلغهم رضوانه سبحانه وتعالى، وينالون به أعلى الدرجات في الجنة، فهو عليه الصلاة والسلام في حديث حنظلة هنا يُبين عليه الصلاة والسلام لحظة أنه لو دام حنظلة في حاله الإيمانية على ما كان عليه عند النبي ﷺ، قبل أن يخرج من عنده لصافحته الملائكة في فراشه وفي طريقه، فهذا التوجيه النبوي فيه حث لحظة على أن يسعى في أن يكون غالب أحواله كذلك، ولم يلزم النبي ﷺ بأن يكون حاله كذلك على الدوام، فهذا مُتذرر فإذا حث الإنسان على أن يجتهد في طلب الآخرة، هذا ظاهر في هذا الحديث.

وكذلك نجد النبي ﷺ يذكرهم بالجنة والنار ليجتهدوا في طلب النجاة والفلاح يوم القيمة، ويجهدوا في تحصيل نجاتهم من النار، ولذلك قال له حنظلة هنا: (إننا حينما نكون عندك فتذكرنا بالجنة والنار فكأننا نراها رأي العين) <sup>(١)</sup>، وهذا يلين القلوب ويزكيها ويصفي النفوس ويظهرها بالخوف والوجل وطلب العفو من الغفور الرحيم، هذا دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر من ذكر الجنة، ويحث على طلبها، ويكتثر من ذكر النار، ويحذر منها، وينبغي أن يذكر الداعية على هذا المدف، وهو حث المسلمين على التسابق في طلب ثواب الآخرة والنجاة من عذاب الآخرة.

(١) سبق تخریج الحديث.

## المطلب الثالث

### الدعوة للوسطية

من خصائص هذه الأمة أنها أمة وسطية كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، قال القرطبي: "أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم" (١)، فالآمة الإسلامية أمة وسط في اعتقادها، وفي عبادتها، وفي تعامل بعضها مع بعض، وتعاملها مع غيرها من الأمم، ووسطية في قيمها وأخلاقها.

فالدعوة إلى الوسطية موضوع مهم، ينبغي أن يعني كل داعية بالدعوة إليه، كما ينبغي على كل مدعو أن يحرص على تحصيله، وإننا نجد في حديث حنظلة هذا أن النبي ﷺ أرشد حنظلة وأبا بكر إلى مراعاة الحالين: حال حينما يكونون في مجالس الذكر ومع النبي ﷺ، وما يحصل من عظيم زيادة الإيمان، وحال حينما يكونون في الأهلين فيعايسون الضيغات والأولاد والزوجات، وهاتان الحالتان الأولى منهما حالة الكمال، والحالة الثانية الحالة الفطرية العادبة، فالإسلام لم يمنع ما فطرت عليه النفوس من حبها لما جلت عليه، من حب الشهوات المباحة، وطلب متاع هذه الدنيا والتلذذ به.

وبهذا يتبيّن أن الإسلام دين الوسطية لا يحرم ما فطرت النفوس على حبه، من الشهوات المباحة وملاذ الدنيا، كما أنه لا يأمر الإنسان المسلم بأن يكون على حال الكمال في زيادة الإيمان في كل أحواله، فالنفس لها أحوال، والقلوب لها أحوال، ما بين ضعف إيمان وقوه إيمان، وما بين غفلة وبين يقظة، وما بين انشغال بدنيا، وما بين اجتهاد في طلب الآخرة، وذكر لها، والمطلوب أن يكون المسلم في عموم حاله طالباً لآخرته ولا

(١) تفسير القرطبي (٢/١٥٤).

تلهيه الدنيا، وهذه الوسطية هي التي هدف النبي ﷺ إلى الإرشاد إليها من خلال هذا الحديث، فقد نبه حنظلة وأبا بكر أنهما على خير وأنهما على طريق الوسطية، وأنهما على ذكرٍ للآخرة، ولكن تتفاوت حالات إقبال القلب، وإقبال النفس على كمال الاجتهاد في ذكر الآخرة.

## المطلب الرابع

### سماحة الإسلام

كما أن الإسلام دين الوسطية فهو دين السماحة، يترك للنفس البشرية مجالاً أن تجد ما تلهو به من اللهو المباح، مما يخفف عنها و يجعلها بعد ذلك تُقبل على الطاعات، وهذا من سماحة الشريعة فلا رهابانية في الإسلام.

الإسلام دين يراعي أحوال النفس البشرية، كما يراعي حال الإنسان في بدنـه، فإنه لا يكلف المريض والعاجز ما يكلـفه الصحيح في بدنـه، وكذلك النفس تكون مقبلة أحياناً على الطاعة فـيـجـتـهـدـ الإـنـسـانـ فـي طـلـبـ الـآـخـرـةـ، وتـكـونـ النـفـسـ أـحـيـاـنـاـ ماـ فـيـ مـلـلـ وـتـشـاقـلـ، فـلـابـدـ لـهـ مـاـ لـهـ يـخـفـفـ عـنـهـ مـاـ تـجـدـهـ مـاـ مـشـقـةـ وـثـقـلـ، وهـذـاـ مـلـمـحـ عـظـيمـ تـظـهـرـ مـنـ خـالـلـهـ سـماـحةـ هـذـهـ الشـرـيـعـةـ. فالـشـرـيـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ لـمـ تـحـرـمـ عـلـىـ الإـنـسـانـ أـنـ يـسـمـتـعـ بـدـنـيـاهـ فـيـمـاـ أـحـلـهـ اللهـ تـعـالـىـ وـأـبـاحـهـ، وـمـاـ أـكـثـرـ الـمـبـاحـاتـ، وـلـمـ تـحـرـمـ عـلـىـ الـمـسـلـمـ أـنـ يـلـهـوـ لـهـ مـبـاحـاـ يـخـفـفـ بـهـ عـنـ نـفـسـهـ وـيـجـعـلـهـ أـقـرـبـ إـلـىـ نـشـاطـ مـتـجـدـدـ فـيـ طـاعـةـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ.

ونلاحظ في حديث حنظلة أن النبي ﷺ لم ينكر على حنظلة وأبي بكر ما يفعلـهـ من الاشتغال بالحرف والتجارة ومعافسة الأولاد والزوجـاتـ، بل إنه ﷺ نبهـمـاـ إلىـ مشـروعـيـةـ ذـلـكـ، وأنـهـ لـاـ بـدـ لـهـمـاـ مـنـهـ فـقـالـ «ولـكـنـ سـاعـةـ وـسـاعـةـ»<sup>(1)</sup> وـبـيـنـ لـهـمـاـ أـنـ الإـنـسـانـ يـعـرـجـ بـطـيـعـتـهـ عـلـىـ ثـبـاتـ عـلـىـ حـالـ زـيـادـةـ الإـيمـانـ، الـتـيـ تـكـوـنـ فـيـ مـجـالـسـ الذـكـرـ، وـذـكـرـ الـجـنـةـ وـالـنـارـ، وـهـذـاـ كـلـهـ بـيـانـ لـسـماـحةـ الشـرـيـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ، وـقـدـ كـانـ سـيـدـ الـخـلـقـ ﷺ يـمـازـحـ زـوـجـاتـهـ وـيـمـازـحـ بـعـضـ ذـرـيـتـهـ وـيـمـازـحـ أـصـحـابـهـ ﷺ، وـكـانـ يـضـحـكـ ﷺ، وـكـانـ يـتـبـسمـ عـلـيـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلامـ، وـكـلـ هـذـاـ مـنـ سـماـحةـ الشـرـيـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـلـكـنـ لـاـ يـنـافـيـ حـالـ الـكـمالـ.

(1) سبق تخریج الحديث.

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم المرسلين، ورحمة الله للعالمين،  
سيدنا محمد وآلـه وصحبه أجمعين، وبعد :  
فهذه أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، والتوصيات:  
**أولاً: أبرز نتائج البحث:**

- ١ - عظم شأن حديث حنظلة في إعداد الداعية.
- ٢ - اشتمل هذا الحديث على توجيهات نبوية كريمة تهدي الدعاة إلى ما تزكوه به أنفسهم وتصلح به قلوبهم.
- ٣ - اشتمل الحديث على توجيهات إذا أخذ بها الداعية سلك منهج الوسطية والاعتدال في شأنه كله.
- ٤ - يرشد الحديث إلى أنه ينبغي على الدعاة أن يبيّنوا سماحة الإسلام ورحمته ووسطيته وبيان صور ذلك.
- ٥ - يؤكّد الحديث على أن التواصيل الوثيق بين الدعاة ومن يدعونهم من أهمّ أسس نجاح الدعوة الوسطية.
- ٦ - هذا الحديث يرشد إلى وجوب العناية بحسن التعليم وكل أسلوب ووسيلة تثمر حصول ذلك.
- ٧ - الترويج مشروع وأباحه الشرع للداعية والمدعو بضوابط شرعية.
- ٨ - للداعية الإفادة من الترويج كوسيلة دعوية في إيناس المدعو مما يعين المدعو على الثبات على الخير والاسترادة منه.

## ثانياً : أهم توصيات البحث:

- ١ - دراسة الأحاديث التي تظهر وسطية الشريعة وسماحتها دراسة دعوية يفيد منها الدعاء في بيان محسن الشريعة ومقاصدها.
- ٢ - إعداد الدراسات الدعوية لسير الصحابة رضي الله عنهم التي تظهر وسطيتهم والإفادة من هذا في مجال الدعوة.
- ٣ - إعداد دراسات للحديث النبوي تبين أنواع الترويج المباح الذي يمكن أن يستفيد منه الدعاء كوسيلة دعوية في تبليغهم الدعوة إلى الله تعالى.
- ٤ - دراسة الأحاديث التي توضح خصائص مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم العلمية والوعظية وصفتها ليستفيد منها الدعاء في دعوتهم إلى الله تعالى.
- ٥ - إعداد المزيد من الدراسات في بيان نظرية الإسلام للدنيا ليستفيد الدعاء إلى الله تعالى من ذلك في بيان وسطية هذا الدين وترغيب الخلق في الالتزام بأحكامه
- ٦ - حبذا أن يعني الباحثون في علم الدعوة إلى الله تعالى بمزيد من دراسة الأحاديث التي أشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى سماحة الشريعة الإسلامية ويسر أحكامها والإفادة من تلك الدراسات في مجال إعداد الدعاء إلى الله وإثراء علم أساليب الدعوة ووسائلها.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معاذ التميمي، أبو حاتم الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حقيقه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٤٠٨-٥١٤٠٨ هـ.
- ٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: علي محمد البحاوي، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٤١٢-١٩٩٢ م.
- ٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزرى، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠ هـ)، المحقق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٦ م.
- ٤ - الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- ٥ - أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦ هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد - السعودية، ط٥، ١٤٢٠ هـ.
- ٦ - إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٤٥٤ هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩-٥١٩٩٨ م.

- ٧ - تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ١٤٥٢هـ)، الحقيق: د. عاصم بن عبد الله القربي، مكتبة المنار - عمان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٨ - تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ١٤٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٩ - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا الويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٠ - تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيفش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١١ - تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميواري الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، الحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة - مصر، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٢ - تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ١٤٥٢هـ)، الحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- ١٣ - جامع البيان في تأویل القرآن، محمد بن حریر بن یزید بن کثیر بن غالب الأَمْلَی، أبو جعفر الطبری (المتوفی: ٢١٠ھـ)، المحقق: أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ھـ - ٢٠٠٠م.
- ١٤ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زین الدین عبد الرحمن بن أَحْمَدَ بن رَجَبَ بن الْحَسْنِ، السَّلَامِيُّ، الْبَغْدَادِيُّ، ثُمَّ الدَّمْشَقِيُّ، الْخَبْلِيُّ (المتوفی: ٧٩٥ھـ)، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدی أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزیع، ط٢، ١٤٢٤ھـ - ٢٠٠٤م.
- ١٥ - حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوی، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفی: ١٣٨ھـ)، دار الجليل - بيروت، د.ط.
- ١٦ - الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفی: ٤٢٠ھـ)، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض - السعودية، ط٤، ١٤٢٣ھـ - ٢٠٠٢م.
- ١٧ - سنن ابن ماجه = جامع السنن، محمد بن یزید أبو عبد الله القرزوینی، علق عليه: عماد الطیار، ویاسر حسن، وعز الدین ضلی، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ١٤٣٠ھـ - ٢٠٠٩م.
- ١٨ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي أبو داود السجستاني، تحقيق: شعیب الأرنؤوط - محمد كامل قره بلي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ھـ - ٢٠٠٩م.
- ١٩ - سنن الترمذی، محمد بن عیسیٰ بن سوْرَةٍ بن موسی بن الضحاک، أبو عیسیٰ الترمذی، تحقيق وتعليق: أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ، ومُحَمَّدٌ فَؤَادٌ عَبْدُ الْبَاقِيِّ، وإِبْرَاهِيمٌ

عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢،

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٠ - سنن النسائي = السنن الكبيرى، أحمد بن شعيب بن علي الخراسانى، أبو عبد الرحمن النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢١ - شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر - الرياض، ط١، ٤٢٦هـ.

٢٢ - صحيح ابن حبان = المسند الصحيح على التقسيم والأنواع، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد علي سومنز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، ط١، ٤٣٣هـ - ٢٠١٣م.

٢٣ - صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ٤٢٢هـ.

٢٤ - صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط.

٢٥ - صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ٤٢٠هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.

٢٦ - صحيح وضعيف سنن الترمذى، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ٤٢٠هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.

- ٢٧ - صحيح وضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.
- ٢٨ - الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ)، المحقق: علي محمد البحاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة—لبنان، ط٢، د.ت.
- ٢٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- ٣٠ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى—مصر، ط١، ١٣٥٦ هـ.
- ٣١ - قوت المغتدي على جامع الترمذى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، ناصر بن محمد بن حامد الغربي، رسالة الدكتوراه - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ.
- ٣٢ - كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض، د.ط.
- ٣٣ - الكلام على مسألة السمعاء، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢ هـ.

٣٤ - مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا المروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٥ - مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، دار القibleة - جدة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٧ - مسند البزار = البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكبي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبرى عبد الخالق الشافعى، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م.

٣٨ - معرفة الصحابة، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندأه العبدى (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عامر حسن صبرى، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٩ - معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبhani (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزاوى، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٠ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو، وأحمد محمد السيد، ويونس على بدبوى، ومحمد إبراهيم بزال، دار ابن كثير،

٤١ - دمشق- بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-

. ١٩٩٦م.

٤٢ - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ٢٠٢٣هـ.

٤٣ - موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، النباء للكتاب، مراكش- المغرب، ط١.

٤٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر، مجده الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.



البحث رقم (٤)

المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة  
في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)

إنماد

د. سويلم بن حاضر العتيبي



## ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠م)، ويتناول البحث في إطار ذلك مفهوم التنمية المستدامة في النظم الوضعية وفي الإسلام، موضحاً إن التنمية التي يدعو الإسلام لتحقيقها هي تنمية شاملة لجميع مناحي الحياة ومحالاتها، وهي أمر واجب على كل مسلم باعتبارها عبادة وطاعة الله عز وجل، وهو ما يعكس أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق أهدافها في ضوء الواقع المعاصر وما نصت عليه رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، كما يتناول البحث في إطار ذلك أيضاً مدى عنابة القرآن الكريم والسنّة النبوية وغيرها من مصادر الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة فضلاً عن بيان الأسس والأساليب الدعوية التي تساعدها في الدعاة إلى الله عز وجل على تعزيز التنمية وتحقيق أهدافها، وقد توصل الباحث من خلال دراسته لعدد من النتائج، أبرزها: أن الدعوة الإسلامية قد أولت التنمية المستدامة عناءً كبيراً، وقدّمت لتحدياتها الحلول الوقائية والعلاجية التي تجعل للإسلام قصب السبق في تقرير مبادئ التنمية المستدامة وأهدافها قبل غيره من الأديان، وأن التنمية المستدامة في الدعوة الإسلامية ذات أسس وأهداف سامية تعني بتنمية الإنسان روحياً وأخلاقياً وفكرياً وحضارياً باستخدام أساليب مناسبة لتحسين جوانب التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، وأن رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) تعد من أهم الركائز التي ترتكز عليها وتنطلق منها المسؤولة الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في الواقع المعاصر، وأن مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل لا تقل عن مسؤولية غيرهم من أبناء الأمة في تعزيز التنمية المستدامة والعمل على تحقيق أهدافها. كما أوصت الدراسة بعدد من التوصيات، أبرزها: مناشدة علماء الأمة وجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله عز وجل بالأخذ بمنهج وسطية الإسلام واعتداه في كافة ميادين الإسلام، وعدم التشدد والمغالاة والتعسّير على الناس في شؤون حياتهم، فالمنهج الوسطي هو المنهج

الذي رضيه الله تعالى للأمة وهو أيضا ذات المنهج الذي اخذه رؤية المملكة (٢٠٣٠) أساساً ومنطلقاً لتحقيق التنمية المستدامه والوصول لأهدافها، كما أوصت أيضاً بصورة تعزيز التعاون والشراكة بين وزارة الشؤون الإسلامية وغيرها من المؤسسات الدعوية والوزارات والمؤسسات المعنية بالبيئة في الدول الإسلامية وغيرها؛ من أجل القيام بمبادرات مشتركة تؤصل لأهمية الدعوة الإسلامية ودورها في الحفاظ على البيئة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

## Abstract

This study aims to identify the responsibility of preachers to God Almighty towards promoting sustainable development and achieving its goals in the light of the vision of the Kingdom of Saudi Arabia (٢٠٣٠ AD). Comprehensive development for all walks of life and its fields, which is a duty of every Muslim as it is worship and obedience to God Almighty, which reflects the importance of advocacy responsibility towards achieving its goals in light of contemporary reality and what is stipulated in the vision of the Kingdom of Saudi Arabia (٢٠٣٠), as the research deals with in this context Also, the extent to which the Holy Qur'an, the Prophet's Sunnah and other sources of Islamic da'wah care for sustainable development, as well as a statement of the foundations and advocacy methods that help preachers to God Almighty to promote development and achieve its goals. Sustainable development has taken great care, and presented to its challenges preventive and curative solutions that make Islam the forerunner in deciding the principles and objectives of sustainable development before other religions, and that sustainable development is sustainable development in the Islamic call with lofty

foundations and goals concerned with the development of human beings spiritually, morally, intellectually and civilly by using appropriate methods to improve aspects of sustainable development and achieve its goals, that the vision of the Kingdom of Saudi Arabia (٢٠٣٠) is one of the most important pillars on which it rests and the advocacy responsibility towards achieving sustainable development in reality Contemporary, and that the responsibility of the preachers to God Almighty is no less than the responsibility of other sons of the nation in promoting sustainable development and working to achieve its goals. The study also recommended a number of recommendations, most notably: an appeal to the nation's scholars and all those working in the field of calling to God Almighty to take the approach of moderation and moderation of Islam in all fields of Islam, and not to be exaggerated and difficult for people in their life affairs. It is also the same approach taken by the Kingdom's Vision (٢٠٣٠) as a basis and a starting point to achieve sustainable development and reach its goals. It also recommended the need to strengthen cooperation and partnership between the Ministry of Islamic Affairs and other advocacy institutions, ministries and institutions concerned with the environment in Islamic countries and others; In order to

carry out joint initiatives that root the importance of the Islamic call and its role in preserving the environment and achieving sustainable development goals.

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

إن الحمد لله نحمنه ونستعينه ونستغفره، وننحو بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضللا فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن قضايا التنمية المستدامة<sup>(١)</sup> ب مختلف جوانبها قد احتلت مكاناً بارزاً في كافة المجتمعات وحظيت باهتمام بالغ من قبل العلماء والباحثين والمفكرين على اختلاف انتماءاتهم الدينية والفكرية باعتبارها محوراً أساسياً لمستقبل البشرية والوسيلة المثلثة لتحقيق حياة أفضل للشعوب والمجتمعات، فهي عملية ضرورية وحيوية لتحريك المجتمعات ونقلها من وضع إلى وضع أفضل يبدأ من المجتمع وتنتهي لصالحة.

وما كانت المملكة العربية السعودية - حفظها الله ووفق قادتها - في مصاف دول العالم التي تسعى لتحقيق التنمية المستدامة في شتى الجوانب وال المجالات، فقد أولت رؤية المملكة المباركة (٢٠٣٠) اهتماماً بالغاً بقضايا التنمية المستدامة ودعت لتحقيق أهدافها من خلال عدد من المحاور التي ترتكز على أسس الدعوة الإسلامية وتنطلق من مبادئها، الأمر الذي عبر عنه القادة - حفظهم الله - بقولهم: "نجا وفق مبادئنا الإسلامية... يمثل

(١) التنمية المستدامة - كما عرفتها اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية - هي: "التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون أن تقوض قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء باحتياجاتها"، المبادئ الأخلاقية المتعلقة بتغيير المناخ: تقارير اللجنة العالمية لأنماطيات المعرف العلمية والتكنولوجية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (٢٠١٠ - ٢٠١٥)، ص (٢٩)، إصدار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، م. ٢٠٢٠.

الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا. لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً ب Heidi الإسلام في العمل والحدث على إتقانه ... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافية مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات<sup>(١)</sup>.

فالمنهج الذي تبنته القيادة الرشيدة لتحقيق التنمية هو منهج الإسلام القائم على الوسطية وإتقان العمل والانضباط والتسامح والعدالة والشفافية، ما يعني أن نقطة انطلاقتنا في العمل على تحقيق التنمية المستدامة ستكون بتلك المبادئ، وهو أيضاً ما يبرز أهمية مسؤولية الدعاة إلى الله في تدعيم هذا الجانب الذي أكد عليه ولاة الأمر وجعلوه في أولى اهتمامات الرؤية، ومن ثم فقد جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ " المسئولية الدعوية بتجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)"، وفيما يلي عرض للنقط التي اشتملت عليها مقدمة الدراسة:

## أولاً: أهمية البحث وأسباب اختياره

تكمّن أهمية هذا البحث وأسباب اختياره في عدة نقاط، أوجزها فيما يأتي:  
(١) أهمية التنمية المستدامة ومدى حاجة البشرية إلى منهج الدعوة الإسلامية في تحقيقها، وخاصة أن النماذج والتطبيقات التنموية الوضعية لم تتمكن من تلبية متطلبات التنمية وتحقيق أهدافها على النحو الأمثل.

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (٦).

(٢) صلتها القوية بواقع أمتنا العربية والإسلامية على وجه العموم، وببلادنا بصفة

خاصة، فالتنمية المستدامة وتحقيق أهدافها من أهم ما تتبناه المملكة العربية

السعودية وتسعى رؤية المملكة (٢٠٣٠) للوصول إليه.

(٣) ما أوصت به العديد من المؤتمرات المعنية بالبيئة والتنمية، فقد أوصى

أعضاء المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة بضرورة تعزيز دور المؤسسات

الدينية والدعوية وتعاون أبنائها مع غيرهم من أبناء المؤسسات المجتمعية

الأخرى لتحقيق التنمية المستدامة والوصول لأهدافها (١).

## ثانياً: أهداف البحث:

لقد وضعت لهذا البحث جملة من الأهداف تمثل فيما يأتي:

(١) التعرف على مفهوم التنمية المستدامة في النظم الإسلامية والوضعية.

(٢) بيان أوجه أهمية التنمية المستدامة ومكانتها في نصوص رؤية المملكة (٢٠٣٠).

(٣) إبراز أوجه عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة من خلال القرآن الكريم

والسنة النبوية وغيرها من المصادر الدعوية.

(٤) تسليط الضوء على مدى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في

ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠).

(١) ينظر: التقرير الختامي للمؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة، ص (١٣ - ١٥)، أعمال المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة، الرباط،

المملكة المغربية، ٢ ، ٣ ، أكتوبر، ٢٠١٩ م.

(٥) بيان أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

(٦) الكشف عن أبرز الأساليب الدعوية المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

**ثالثاً: تساؤلات البحث:**

يطرح هذا البحث عدداً من التساؤلات التي يسعى الباحث للإجابة عليها، ومن

أبرزها ما يأتي:

(١) ما هو مفهوم التنمية المستدامة في النظم الإسلامية والوضعية؟

(٢) ما أوجه أهمية التنمية المستدامة ومكانتها في نصوص رؤية المملكة (٢٠٣٠)؟

(٣) ما أوجه عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وفقاً لنصوص القرآن

الكريم والسنّة النبوية وغيرهما من المصادر الدعوية؟

(٤) ما مدى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ضوء  
رؤية المملكة (٢٠٣٠)؟

(٥) ما هي أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق أهداف التنمية  
المستدامة؟

(٦) ما هي أبرز الأساليب الدعوية المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟

**رابعاً: الدراسات السابقة:**

لقد تبين للباحث من خلال البحث والتنقيب وجود بعض الدراسات التي تناولت  
الحديث عن التنمية المستدامة بشكل أو آخر ، ولعل من أبرزها ما يأتي:

(١) التنمية المستدامة في القرآن الكريم، إعداد/ د. رحاب مصطفى كامل، مجلة

البحوث للدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة

المنورة، المملكة العربية السعودية، ع (١٦)، ٢٠١٧ م.

وتحدف هذه الدراسة إلى الاستدلال على معرفة الإسلام لفكرة التنمية المستدامة  
لوارد البيئة من خلال بعض الآيات القرآنية، وكيف نصَّ الله تعالى في القرآن الكريم على  
ضرورة الحفاظ على الموارد الطبيعية وحمايتها، وقد خلصت الباحثة لعدة نتائج، أبرزها: أن  
العالم لم يعرف مصطلح التنمية المستدامة إلا حديثاً، أما الإسلام فقد أشار إلى ذلك من  
خلال الآيات القرآنية، بينما دراستي تهدف إلى معرفة الإسلام للتنمية المستدامة من خلال  
جميع المصادر الدعوية لا من خلال القرآن الكريم فحسب، فضلاً عن بيان مدى عناية  
الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأهميتها في تحقيقها في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠).

(٢) التنمية المستدامة ودورها في استشراف مستقبل الدعوة على ضوء رؤية ٢٠٣٠،

إعداد/ أحلام بنت محمد عبد الرحيم الدوييخ، رسالة دكتوراه، قسم الدعوة، المعهد

العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،

المملكة العربية السعودية، ١٤٤١-١٤٤٢ هـ.

وتحدف هذه الدراسة إلى تقديم تصور مقترن باستشراف مستقبل الدعوة الإسلامية  
؛ من أجل التنمية المستدامة على ضوء رؤية ٢٠٣٠، وذلك من خلال الكشف عن أهم  
مجالات التنمية المستدامة في العمل الدعوي، والتعرف على وسائل وأساليب تحقيق التنمية  
المستدامة للعمل الدعوي في المؤسسات الدعوية، وبيان مؤشرات الأداء في العمل الدعوي  
على ضوء رؤية ٢٠٣٠، وقد خلصت الباحثة لعدة نتائج، أبرزها: أن التنمية المستدامة  
تتميز بمبادئ وخصائص جعلت جميع الدول في العالم تتنافس في تطبيق أهدافها وتبني  
الخطط التي من شأنها التطوير والابتكار عبر الوسائل والأساليب المعززة، وأن مجالات التنمية

المستدامة للعمل الدعوي تتجلى في ثلاثة مجالات، هي: المجال الدعوي الميداني، والمجال الإداري، والمجال المالي.

ويلاحظ على هذه الدراسة أنها عنيت - كما يتضح من عنوانها - بالحديث عن دور التنمية المستدامة في تحقيق النمو والنهوض بمستقبل الدعوة، وذلك من خلال بيان مجالات التنمية المستدامة في العمل الدعوي سواءً أكانت تتعلق بالجانب الميداني أم بالجانب المالي والإداري للمؤسسات الدعوية فضلاً عن بيان الوسائل والأساليب التي تساعده على تحقيق التنمية المستدامة دخل هذه المؤسسات وفي العمل الدعوي على وجه العموم، بينما دراستي تهدف إلى بيان مدى عنایة الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة، وأهمية المسؤولية الدعوية في الواقع المعاصر تجاه تحقيقها وخاصة في ضوء ما دعت إليه رؤية المملكة (٢٠٣٠)، فضلاً عن بيان الأسس والأساليب الدعوية التي يجب على الدعاة إلى الله اتباعها لتلبية متطلبات التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها؛ ولذا فالجديد في دراستي يتمثل فيما يلي:

- إظهار مدى عنایة الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وذلك من خلال نصوص القرآن والسنة وغيرها من المصادر الدعوية التي تدل على ذلك.
- بيان مدى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠).
- التعرف على أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة.
- تسليط الضوء على أبرز الأساليب الدعوية التي تساعده على الدعاة إلى الله في العصر الحاضر على أداء واجبهم تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

## خامساً: منهج الباحث:

إن الفكرة الرئيسية لهذا البحث هي بيان مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠)، ولعل من أبرز مناهج البحث التي تساعده على الوصول لذلك ما يأتي:

(١) المنهج الاستقرائي<sup>(١)</sup>: وذلك باستقراء النصوص الشرعية التي تضمنت الحديث عن التنمية المستدامة والمعاني الدالة عليها، وأقوال الدعاة وعلماء المسلمين فيها.

(٢) المنهج الاستنبطاطي<sup>(٢)</sup>: وذلك بالنظر والتدبر في النصوص الشرعية المتعلقة بالتنمية المستدامة واستخراج ما يتعلّق منها بالمسؤولية الدعوية تجاه تحقيق هذه التنمية، مع مراعاة التسلسل بين القضايا من أجل الوصول إلى ما يتّرب عليها من نتائج.

## سادساً: خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على: أهمية الدراسة، وأهدافها، وتساؤلاتها، ومنهج الباحث في إعدادها ثم خطتها.

المبحث الأول: تحرير المصطلحات وضبط المفاهيم.

---

(١) المنهج الاستقرائي هو: "منهج علمي يقوم على التبع لأمور جزئية باللحظة، وهو إما استقراء تام: يقوم على حصر جميع الجزئيات، أو ناقص: يقوم على الاكتفاء بعض جزئيات المسألة وإجراء الدراسة عليها لإصدار أحكام عامة"، مناهج البحث العلمي تطبيقات ادارية واقتصادية، تأليف / د. أحمد حسين الرفاعي، ص (٨٤: ٨٦)، دار وائل للطباعة، عمان - الأردن، ط ٦، ٢٠٠٩ م.

(٢) المنهج الاستنبطاطي: "منهج علمي يستند إلى مجموعة من الحدود الأولية والتعرifات والبدويات وينتقل منها - في إطار مجموعة من قواعد الاستدلال الصارمة - إلى ما يتّرب عليها من نتائج أو نظريات"، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، تأليف / د. محمد محمد القاسم، ص (٥٨)، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م، "بتصريف".

**المبحث الثاني:** عنابة الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأهمية تعزيز المسؤولية الدعوية تجاه تحقيقها.

**المبحث الثالث:** أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق التنمية المستدامة.

**المبحث الرابع:** الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة.

الخاتمة:

وتشتمل على:

- أهم النتائج.

- أهم التوصيات.

- فهرس المصادر والمراجع.

## المبحث الأول

### تحرير المصطلحات وضبط المفاهيم

تحديد المصطلحات المفاهيم أمر له أهميته ومكانته بالنسبة للبحث العلمي؛ ذلك أنها تشكل أحد أهم ركائزه، ومن جهة أخرى فكثيراً ما تتعدد المفاهيم الخاصة ببعض المصطلحات المستخدمة في الأبحاث؛ ولذا فالأولى هو تحرير المصطلحات تحديد المفاهيم والمعاني التي تتفق أو تتناسب مع أهداف البحث وإجراءاته، وهو ما يمكن للباحث تناوله على النحو الآتي:

#### أولاً: المسؤولية الدعوية:

مصطلح المسؤولية الدعوية كما يتضح من لغطيه مركب بياني طفاف (المسؤولية،  
الدعوة)، ويمكن للباحث التعريف به على النحو الآتي:

#### (١) المسؤولية:

المسؤولية في اللغة مصدر صناعي تعود أصوله إلى الجذر سأل، ويطلق في اللغة  
ويراد به عدة معان، أبرزها: ما ينطأ بالمرء من أعمال، فيقال: "المسؤول المنوط به عمل تقع  
عليه تبعته، والمسؤولية حال من يسأل عن أمر تقع عليه تبعاته"<sup>(١)</sup>.  
وأما المسؤولية في الاصطلاح فهي: "حالة للمرء يكون فيها صالحاً للمؤاخذة على  
أعماله ملزماً بتبعاتها المختلفة"<sup>(٢)</sup>.

(١) المعجم الوسيط، إعداد/ جمع اللغة العربية، الإدارية العامة للمجمعات وإحياء التراث، باب

"السين" مادة "سؤال" (٤١١/١)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ٥١٤١٥، ٤، م٢٠٠٤.

(٢) العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، تأليف محمد عبد الرحمن بيصار، ص (٢٤٨)،

المكتبة العصرية، صيدا، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٨٠. م.

ويتبين للباحث من هذين النصين أن المسؤولية تمثل في صلاحية الفرد للقيام بواجب ما حسب قدرته واستطاعته من غير مشقة ولا تكليف، فضلاً عن محاسبته عليه إذا أخلَّ به تركاً أو تقسيراً.

## (٢) الدعوة:

أصلها من الثلاثي "دعا"، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به النداء والاستغاثة فيقال: "دعا الرجل: ناداه... دعا الشخص: استعان به، دعا الله: استغاث به".

وأما الدعوة في الاصطلاح الدعوي فهي: "قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة وفق المنهج القويم وما يتناسب مع أصناف المدعىون وبلائئم أحوال المخاطبين".

وهكذا، بعدما تبين معنى المسؤولية والدعوة يمكن للباحث أن يضع حداً للمسؤولية الدعوية، فأقول: هي: "ما ينطاط بالدعاة إلى الله ويقع على عاتقهم من أعمال وتكليفات تجاه نشر الإسلام وتبلیغه للناس في جميع أنحاء المعمورة من أجل الأخذ بأيديهم للفوز بسعادة الدارين".

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مادة: (دعا)، (١٩٤ / ١)، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، ١٩٨٧ م.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، تأليف/أ.د. عبد الرحيم محمد المغنوي، ص (٤٩)، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

(٣) تعريف الباحث.

وأعني بالمسؤولية الدعوية في هذه الدراسة: ما يتحمله الدعاة إلى الله عز وجل  
وما ينطوي بهم من واجبات تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية  
(٢٠٣٠).

## ثانياً: التنمية المستدامة:

التنمية المستدامة هي جوهر هذا البحث وإحدى أهدافه، والمصطلح - كما يتضح  
من لفظيه - مركب يiani طرفاً (التنمية، والاستدامة) ويمكن للباحث التعريف به على النحو  
الآتي:

### (١) التنمية:

أصلها من "نما"، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به عدة معانٍ أبرزها الكثرة  
والزيادة، يقول ابن فارس: "النون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة،  
يقال: نمى المال: أي زاد، والنامية: الخلق، لأنهم ينمون، أي يزيدون"<sup>(١)</sup>.  
كما تطلق الكلمة في اللغة ويراد بها التصوير والرقة والعلو، فيقال: "نمّي الأمر":  
أي طوره، ونمّي ذاكرته: أي أنعشها وقوتها"<sup>(٢)</sup>، ويقال أيضاً: "نمّي الشيء": رفعه وأعلى  
شأنه، يقال فلان ينميه حسبه أي يعلي شأنه ويرفعه"<sup>(٣)</sup>.

هذه أبرز معاني الكلمة في اللغة وتبين للباحث منها أن التنمية ترتكز على عدد  
من المعاني الإيجابية فهي إنعاش وتطوير للشيء على نحو يقتضي زيادته ويتحقق رفعه وعلو  
شأنه.

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مادة: "نمّي"، (٥ / ٤٧٩، ٤٨٠)، دار الفكر، دمشق - سوريا، ١٩٧٩ هـ - ١٣٩٩ م.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف/ د. أحمد مختار عمر، وآخرون، مادة: "نمّي"، (٣ / ٢٢٨٩)، عالم الكتب، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.

(٣) المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة: "نمّي"، (٢ / ٩٥٦).

وأما عن معنى التنمية في الاصطلاح فقد تعددت فيه أقوال العلماء؛ وذلك نظراً لتنوع مجالاتها وكثرة أنواعها، ولعل من أبرز التعاريف وأجمعها تعريف الأمم المتحدة، حيث عرفت التنمية بأنها: "عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية شاملة تستهدف التحسين المستمر لرفاهية السكان بأسرهم والأفراد جميعهم على أساس مشاركتهم النشطة والحررة والهادفة في التنمية وفي التوزيع العادل للفوائد الناجمة عنها"<sup>(١)</sup>.

وقيل هي: "عملية شاملة مستمرة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية تهدف إلى تحقيق تقدم مستمر في حياة الأفراد ورفاهيتهم، وذلك من خلال مساهمة جميع أفراد المجتمع في تحقيقها وعلى أساس التوزيع العادل لعائداتها"<sup>(٢)</sup>.

ويلاحظ على هذه التعريفات أنها عرفت التنمية باعتبار أهدافها وهي التحسين المستمر لرفاهية المجتمعات البشرية في المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، ولكنها أغفلت أهم جوانب التنمية وهو الجانب الديني، فالتنمية وفقاً لهذه التعريفات هي عملية مادية خالصة لا علاقة لها بالدين ولا بالأخلاق، رغم أن بعد الدين بما يتضمنه من رحمة الروح والقلب وما يتربى على ذلك من آثار طيبة على الجوارح هو الركيزة الأساسية لانطلاق جميع العمليات الاقتصادية والسياسية وغيرها مما يستهدف تحسين الحياة الإنسانية.

(١) إعلان الحق في التنمية، الأمم المتحدة، ص (٣)، مكتب المفوض السامي، الأمم المتحدة، بدون تاريخ.

(٢) إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة تأليف / خالد مصطفى قاسم، ص (١٩)، إصدار جامعة الدول العربية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٧ م.

## (٢) الاستدامة:

الاستدامة هي ثاني المصطلحات التي يقوم عليها مصطلح التنمية المستدامة، وأصلها من أَدَمَ، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به عدة معان، أبرزها المواظبة على الشيء والاستمرار فيه، فيقال: "المداومة على الأمر: المواظبة عليه"<sup>(١)</sup>.

كما تطلق الكلمة في اللغة ويراد بها الرفق والتأني، فيقال: "أَدَمَ الأمر واستدامه واستدمت الأمر إذا تأنيت فيه"<sup>(٢)</sup>، ويقال أيضاً: "فلا تَعْجَلْ بأمرك واستدمه ... فما صلّى عصاك كمستديم: أي ما قوّمْ أمرك كالمتأنّي"<sup>(٣)</sup>.

هذه معانٍ للاستدامة في اللغة وتبين منها أنها تعني الاستمرار في الشيء والمواظبة عليه دون انقطاع مع مراعاة التأني في ذلك، فأي مورد حتى يستدام لابد من التأني في التعامل معه.

وأما عن معنى الاستدامة في الاصطلاح فهي : "ضمان عدم قلة الاستهلاك مع مرور الزمن وتدفقه وتحقيق المصلحة العامة"<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة: "دوم" ، (١٢ / ٢١٣)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

(٤) لسان العرب، مرجع سابق، مادة: "دوم" ، (١٢ / ٢١٣).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، مادة: "دوم" (١ / ٧٩٠).

(٤) الاستدامة التحديات والفرص، تأليف/ د. عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ، ص (١٢)، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١ ، ٢٠٢٠ م.

وبعد، فهذه أبرز معانٍ التنمية والاستدامة، وأما عن التنمية المستدامة كمركب بيان فقد عرفتها اللجنة العالمية للتنمية والبيئة بأنها: "التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحاضر دون التضحيه أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها"<sup>(١)</sup>. وقيل هي: "السعى الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع الأخذ في الاعتبار قدرات النظام البيئي الذي يحتضن الحياة وإمكاناته"<sup>(٢)</sup>.

ويتبين من هذين التعريفين أن التنمية المستدامة في جوهرها وحقيقة تحسين وتطوير للأحوال المعيشية سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية للفرد والمجتمع، دون المساس بحق الأجيال القادمة في تلبية احتياجاتها، ولكن يؤخذ على ما جاء في هذين التعريفين الفصل بين التنمية المستدامة ومنظومة القيم الأخلاقية، فضلاً عن تجاهل آثر العقيدة في نجاح التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، وهو ما يدفع للبحث عن معنى التنمية المستدامة في الإسلام.

## مفهوم التنمية المستدامة من منظور إسلامي:

تعددت تعريفات التنمية المستدامة لدى أهل الإسلام، ولعل من أبرز التعريفات التي تعكس مفهومها لدى علماء المسلمين تعريف المؤتمر الأول لوزراء البيئة والذي عقد في جدة بالمملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٢م، حيث عرف التنمية المستدامة بأنها: "عملية متعددة الأبعاد تعمل على التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة وبعد البيئي من جهة أخرى وتحدف إلى الاستغلال الأمثل للموارد والأنشطة البشرية القائمة

(١) اللجنة العالمية للتنمية والبيئة: مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل، ص (٨٣)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

عليها من منظور إسلامي، وتؤكد على أن الإنسان مستخلف في الأرض له حق الارتفاع بمواردها دون حق ملكيتها ويلتزم في تنميتها بأحكام القرآن والسنّة النبوية الشريفة على أن يراعي في عملية التنمية الاستجابة لحاجات الحاضر دون إهار حقوق الأجيال اللاحقة ووصولاً إلى الارتفاع بالجوانب الكمية والتوعية للمادة والبشر<sup>(١)</sup>.

ويتبّع للباحث أن هذا التعريف أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام أكثر دقة شمولاً، فالنظرة الإسلامية للتنمية المستدامة توجب ألا تتم بمعزل عن الضوابط الشرعية والأخلاقية المستمدّة من نصوص القرآن والسنّة، كما يتضح منه أيضاً أن مهمة التنمية المستدامة في الإسلام هي توفير متطلبات البشرية حالياً ومستقبلاً، سواءً كانت مادية أو روحية، بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الحُلُقية والثقافية والاجتماعية.

إذن فمفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يزاوج بين المتطلبات المادية والروحية، وليس مقتضراً على المادة فقط، فالإنسان في هذه الحياة يحتاج إلى استدامة مادية وروحية وثقافية واجتماعية.

(١) العالم الإسلامي والتنمية المستدامة: الخصوصيات والتحديات والإلتزامات، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، جدة - المملكة العربية السعودية، خلال الفترة من (١٠ - ١٢ / ٦ / ٢٠٠٢م)، ص ١٣٨، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو)، الرباط، المغرب، ٢٠٠٢م.

### ثالثاً: التعريف برؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) وعلاقتها بالتنمية

المستدامة:

الرؤية كما عرفها الباحثون هي: "تصور مستقلٍ طموح يبني على خلفية من التجارب والخبرات والإمكانات واستثمارها والاستفادة منها في تحقيق الأهداف والغايات"<sup>(١)</sup>.

وأما عن رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) فهي: "رؤية القيادة الكريمة لاستغلال مكامن قوتنا التي جبنا الله إياها لنكون في مقدمة مصاف دول العالم، حيث نمتلك موقعًا استراتيجيًّاً مميًّاً واقتصاديًّاً قويًّاً وعمقًاً عربيًّاً وإسلاميًّا"<sup>(٢)</sup>.

وتحتَّمَ علاقَةً واضحةً بين التنمية المستدامة ورؤية المملكة (٢٠٣٠) فالتنمية من أهم وأبرز أهداف الرؤية ، حيث: "تهدف إلى الارتقاء بمستقبل المملكة العربية السعودية مع التركيز على الاستدامة كمحور أساسٍ في التخطيط، وقد وُضعت الاستدامة ضمن أهم جهود رؤية السعودية ٢٠٣٠ منذ إطلاقها، والآن تستهل المملكة العربية السعودية حقبة جديدة بإعلان استهدافها للوصول إلى الحياد الصافي بحلول عام ٢٠٦٠ م. ويأتي هذا الإعلان في إطار طموحات الرؤية الأوسع نطاقًا لتسريع عملية الانتقال الطاقي، وتحقيق أهداف الاستدامة، وقيادة موجة جديدة من الاستثمارات في هذا المجال"<sup>(٣)</sup>.

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠): دراسة مرتکزاتها من القيم الثقافية والإسلامية، إعداد/ د. محمد أحمد الدش، ص (٨٥٣)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة- جمهورية مصر العربية، ع ٢٠١٩ م، (١٢٧).

(٢) الموقـع الرسـمي للرؤـية: <https://www.vision2030.gov.sa/ar/v2030/overview>

(٣) المرجع السابق.

وتسعى الرؤية المباركة لتحقيق التنمية المستدامة وأهدافها من خلال ثلاثة محاور رئيسية

وهي ما يأتي:

(١) مجتمع حيوي: يُعد الوصول إلى مجتمع حيوي في المملكة ركيزة أساسية في تحقيق الرؤية وإرساء أساس قوي للازدهار الاقتصادي، فالهدف هو الوصول إلى مجتمع يعيش كل مواطن فيه حياة سعيدة ومرضية بمستوى معيشي يضمن بيئة صحية وآمنة للعائلات، ويوفر التعليم والرعاية الصحية بمستوى عالمي، إلى جانب ذلك تشجع الرؤية المواطنين بأن يعتزوا بجويتهم الوطنية وتراثهم الثقافي، وأن يعيشوا القيم الإسلامية وفق منهج الوسطية والاعتدال.

(٢) اقتصاد مزدهر: يوفر الفرص للجميع من خلال بناء نظام تعليمي منسجم مع احتياجات السوق، ويجهز الشباب من الجنسين بالمهارات اللازمة لوظائف المستقبل، إلى جانب توفير فرص اقتصادية لرواد الأعمال والمشاريع الصغيرة بالإضافة إلى الشركات الكبيرة.

(٣) وطن طموح: يسعى لتطبيق مبادئ الكفاءة والمساءلة على جميع المستويات من أجل تحقيق الرؤية، بما في ذلك بناء حكومة فاعلة وشفافة وخاضعة للمساءلة وعالية الأداء تضمن التمكين للجميع<sup>(١)</sup>.

وفي ضوء السياق ذاته أكدت القيادة الرشيدة على أهمية تعاون مؤسسات المجتمع وأبنائه على تحقيق الأهداف التي تبنتها تلك المحاور وعلى رأسها تحقيق التنمية المستدامة في شتى الحالات، حيث تقول: "الوطن الذي ننشده لا يكتمل إلا بتكميل أدوارنا، فلدينا جميعاً أدوار نؤديها سواء كنا عاملين في القطاع الحكومي أو الخاص أو غير الرجعي .

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، ص (١٣).

وهناك مسؤوليات عديدة تجاه وطننا ومجتمعنا وأسرنا وبتجاه أنفسنا كذلك . في الوطن الذي ننشده، سنعمل باستمرار من أجل تحقيق آمالنا وتطلعاتنا، وسنسعى إلى تحقيق المنجزات والمكتسبات التي لن تأتي إلا بتحمّل كل منا مسؤولياته من مواطنين"<sup>(١)</sup>.

ويتضح من هذا النص أن تحقيق الرؤية وما تتضمنه من أهداف تتعلق بالتنمية المستدامة وغيرها هي مسؤولية على عاتق جميع أفراد المجتمع ومؤسساته، مما يعني – كما سيبدو في المبحث القادم – أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء ما نصت عليه هذه الرؤية المباركة.

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، ص (٦٨، ٦٩).

## المبحث الثاني

### عنابة الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة وأهمية تعزيز المسؤولية الدعوية

#### تجاه تحقيقها

المتأمل في تاريخ الدعوة الإسلامية ومصادرها يرى بوضوح مدى عنایتها بالتنمية المستدامة والحرص على بيان مقوماتها وأسسها وأبرز الأساليب المساهمة في تحقيقها، وهو ما يؤكد ضرورة تعزيز المسؤولية الدعوية في العصر الحاضر تجاه تحقيق التنمية وأهدافها، وهذا ما يمكن للباحث تناوله على النحو الآتي:

أولاً: عنابة الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة:

لم تدع الدعوة الإسلامية شيئاً مما يحتاج إليه الناس في كل عصر ومصر إلا وقد بيّنته، وأقامت الحجة والبراهين على مدى مشروعيتها، سواءً أكانت تلك الحجج من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أم من مصادر الدعوة والتشريع الأخرى، مما يجعلنا نجزم بأن الدعوة الإسلامية هي أول من اعنى بالتنمية المستدامة وأكّدت على ضرورة الاهتمام بالبيئة الطبيعية لا من حيث الامتناع عن تلویث مواردها واستنزافها والإفساد فيها وغير ذلك مما يجعل دون تحقيق أهداف التنمية المستدامة فحسب، بل وبصورة إيجابية أيضاً من خلال الحث على الأخذ بمقومات التنمية والدعوة إلى الاستدامة النباتية والحيوانية والمائية وغيرها، وذلك بالمحافظة عليها وحسن التعامل معها وتنمية مواردها واستثمارها والعمل على تحقيق التوازن البيئي على المدى الطويل الذي تتحقق به عمارة الأرض والاستخلاف فيها.

والمتأمل في كتاب الله عز وجل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وغيرها من مصادر الدعوة يجد أنها تزخر بالكثير من النصوص والشواهد التي تؤكد عنایتها بالتنمية المستدامة

وتحقيق أهدافها، فقد دعا القرآن الكريم في غير موضع إلى ضرورة إعمار الأرض - باعتباره كما سيبدو في البحث القادم من أبرز أسس التنمية المستدامة - فقال الله جل شأنه ﴿أَوَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءُهُمْ رُسُلُنَا كَانَ اللَّهُ يَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فقد دلت هذه الآية على حكمة الله عز وجل مراده من إيجاد الناس في الأرض وهو إعمارها على نحو يفيد الدوام والاستمرارية فالإعمار لا يختص بجيل معين، بل كل الأجيال المتعاقبة في كل زمان ومكان مطالبة بإعمار الأرض والأخذ بمقتضيات التنمية المستدامة والعمل على تحقيقها<sup>(٢)</sup>.

كما دعا القرآن الكريم أيضا إلى عدم الفساد في الأرض فقال الله جل شأنه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ففي هذه الآية نهي واضح عن الفساد بغض النظر عن صورته ومدى حجمه، وهو ما أشار إليه الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية مؤكداً أن الفساد يرتبط مباشرة بالسلوك الإنساني تجاه الموارد جلب المنافع والمصالح، فقال: "إن الله نهى عن كل فساد قل أو كثر بعد كل صلاح قل أو كثر نهى

(١) سورة الروم، الآية (٩).

(٢) ينظر: التنمية المستدامة في القرآن الكريم، إعداد/ د. رحاب مصطفى كامل، ص (٢٧)، مجلة البحوث للدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ع (١٦)، م ٢٠١٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٨٥).

عن الشرك وسفك الدماء والهرج في الأرض، وأمر بذنوم الشرائع بعد إصلاحها، بعد أن  
أصلحها الله يبعثه الرسل<sup>(١)</sup>.

ويتبين من الآية الكريمة وما جاء في هذا النص نهي القرآن الكريم عن الفساد في  
الأرض بجميع صوره وأشكاله وبغض النظر عن حجمه ومدى جرمته، وذلك لأنه من أبرز  
المهددات التي تعوق التنمية المستدامة وتحول دون تحقيق أهدافها.

ويقول الله جل شأنه ﴿ وَكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلَا تُسْرُفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، ففي  
هذه الآية نهي عن الإسراف والتبذير في المأكل والمشرب ودعوة إلى الوسطية والاعتدال في  
ذلك على نحو يحقق استدامة الموارد ويضمن حق أجيال الحاضر والمستقبل في الانتفاع بها.  
كما اشتملت السنة النبوية المطهرة على العديد من النصوص التي تمثل الركائز  
الأساسية للتنمية المستدامة، وتضع الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بالبيئة من أجل  
ضمان استمراريتها صالحة للحياة حتى قيام الساعة، فقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم  
على الغرس والتشجير والزرع باعتبار ذلك من أهم ركائز التنمية المستدامة وأبرز مقوماتها،

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (٧/٢٦)، دار الكتب المصرية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، هـ ١٣٨٤.

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية (٣١).

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: { من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه، فإن أبي فليمسك أرضاً } (١).

وعن أبي التحاشي مولى رافع بن خديج، قال: سمعت رافع بن خديج بن رافع عن عمه ظهير بن رافع، قال: "لقد خانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقاً". قلت: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق، قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: {ما تصنعون بِمَحَاكِلِكُمْ؟} قلت: نؤاجرها على الربيع وعلى الأوسق من التمر والشعير، قال: {لا تفعلوا. ازْرُعُوهَا، أَوْ أَزْرُعُوهَا، أَوْ أَمْسِكُوهَا}. قال رافع: قلت سمعاً وطاعة" (٢).

ولم ينته الأمر على أمر المؤمنين بضرورة زراعة الأرض وعدم تركها للبوار والتصحر وغيرهما مما يعيق تحقيق التنمية ويؤثر سلباً على موارد البيئة فحسب، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك خير لليهود قبل إجلائهم منها ليزرعوا أرضها مقابل شطر ما يخرج

(١) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الحرف والمزارعة، باب: ما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسى بعضهم بعضاً في الزراعة والشمرة، (٣ / ١٠٧)، حديث رقم (٢٣٤٠)، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب: ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسى بعضهم بعضاً في الزراعة والشمرة، (٣ / ١٠٧)، حديث رقم (٢٣٣٩).

منها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : "أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم خير اليهود على أن يعملوها ويزرعوها، ولم يطر ما يخرج منها" <sup>(١)</sup>.

كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاعتداء على ممتلكات الآخرين فقال:  
{من أخذ شيئاً من الأرض ظلماً فإنه يطوّقه يوم القيمة من سبعين أرضين} <sup>(٢)</sup>، ففي  
هذا النص أيضاً دلالة واضحة على تحريم الاعتداء على الأراضي المملوكة للغير لما في ذلك  
من ظلم وإفساد في الأرض مما يحول دون الوصول للتنمية المستدامة وتحقيق أهدافها.

وهكذا، فكل الشواهد تؤكد على مدى عناية الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة  
وأسسها منذ اللحظة الأولى لظهور الدعوة وانتشارها، فإذا كان المجتمع الدولي ومؤسساته  
المعنية بحقوق الإنسان والبيئة قد فطنت مؤخراً في رؤيتها للتنمية المستدامة لحقوق الأجيال  
القادمة، والتحذير من الممارسات التي تقوم بها بعض الأنظمة والتي تؤثر سلباً على تلك  
الأجيال فإن الدعوة الإسلامية منذ وقت مبكر لم تتحملهم، ولنا في الخليفة عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه خير شاهد ودليل، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن زيد بن أسلم  
عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب معاملة النبي صلى الله عليه وسلم أهل خير، (٥/١٤٠)، حديث رقم (٤٢٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، (٤/١٠٧)، حديث رقم (٣١٩٨).

قسمتها بين أهلها كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خير<sup>(١)</sup>، والشاهد في هذا النص أن قوله رضي الله عنه: "لولا آخر المسلمين" فيه تأكيد على مراعاته في إدارته للثروات والموارد لآخر المسلمين بحفظ حقوقهم فيما غنموه في عهده.

كما تتجلى عنابة الدعوة الإسلامية بالتنمية المستدامة أيضاً من خلال التأكيد على رعاية حقوق الورثة في مال المورث حال حياته، فلا ينفق ماله – ولو كان في باب الصدقة – على نحو يتسبب في ضياع أولاده وذريته، فعن عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله، بلغني ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفتتصدق بشلي مالي؟ قال: {لا}، قال: أفتتصدق بشطره؟ قال: {لا، الثالث، والثالث كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذركم عالة يتکفرون الناس} <sup>(٢)</sup>.

وقد أدرك فقهاء الأمة تلك المعانى وصاغوها في مؤلفاكم بتعبير حكيم فسموه "الأمل الفسيح"، ومن ذلك قول الإمام الماوردي: "اعلم أن ما تصلح به الدنيا حتى تصير

(١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب الغنيمة ملن شهد الواقعة، (٤ / ٨٦)، حديث رقم .(٣١٢٥).

(٢) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحاج القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، (٣ / ١٢٥٠)، حديث رقم (١٦٢٨)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩١ م.

أحوالها منتظمة، وأمورها ملائمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن تفرعت، وهي: دين متبع،  
ولسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح" (١).

ثم يوضح معنى الأمل الفسيح وما يتضمنه من حق الأجيال القادمة في غرس  
الأجيال الحاضرة، فيقول: "أمل فسيح يبعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه،  
ويبعث على اقتناء ما ليس يؤمل في دركه بحياة أربابه، ولو لا أن الثاني يرتفق بما أنشأه الأول  
حتى يصير به مستغنياً؛ لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء ما يحتاجون إليه من منازل السكنى  
وأراضي الحرش، وفي ذلك من الإعواز، وتعذر الإمكان ما لا خفاء به، فلذلك ما أرفق الله  
تعالى خلقه باتساع الآمال إلا حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها، وصارت تنتقل بعمرها  
إلى قرن بعد قرن فيتم الثاني ما أبقيه الأول من عمارتها، ويبرم الثالث ما أحدهه الثاني من  
شعثها، لتكون أحوالها على الأعصار ملائمة، وأمورها على مر الدهور منتظمة، ولو قصرت  
الآمال ما تجاوز الواحد حاجة يومه، ولا تعدى ضرورة وقته، ولكن تنتقل خراباً لا يجد  
فيها بلجة، ولا يدرك منها حاجة" (٢).

وهكذا، فإن الدعوة الإسلامية عبر تاريخها ومراحلها سواءً أكانت في عصر النبوة  
أم في عصر الخلافة الراشدة أم فيما لحقه من العصور لم تغفل عن عنايتها بالتنمية المستدامة

(١) أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،  
الشهير بالماوردي، ص (١٣٣)، دار مكتبة الحياة، ط ١، ١٩٨٦ م.

(٢) المرجع السابق، ص (١٤٤، ١٤٥).

والدعوة إليها وبيان الأسس التي ترتكز عليها وتتضمن - بإذن الله تعالى - تحقيق أهدافها ومقاصدها.

## ثانياً: أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية

(٢٠٣٠)

وانطلاقاً من هذه المعاني فإن أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في العصر الحاضر لا تقل بأي حال من الأحوال عما تقدم من أهمية العناية بها عبر مراحل الدعوة الإسلامية في عصورها المختلفة.

ولما كان المدف من هذا البحث هو بيان المسؤولية الدعوية في الواقع المعاصر تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠)، فجدير بالذكر أن القيادة الرشيدة قد دعت جميع أبناء الوطن للعمل معًا لتحقيق هذه الرؤية المباركة، مما يؤكد مسؤولية الدعوة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهداف الرؤية سواء أكانت تتعلق بالتنمية المستدامة أم غير ذلك، وهو ما أكد عليه مدير الدعوة والإرشاد بفرع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بمنطقة الرياض بقوله: "رؤى ٢٠٣٠ تتميز بأنها ليست خطة اقتصادية فحسب؛ بل هي خطة تحول شاملة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، بما يتحقق طموح القيادة الرشيدة في نهضة الوطن وتطوره، وتنمية المواطن وتقدمه، ورفاهيته وسعادته إن شاء الله تعالى..." رؤية بهذه السعة والطموح لا يمكن أن تغفل الجوانب الدينية والشرعية والدعوية، فهذه الدولة المباركة قائمة على أسس راسخة من تحقيق الدين لله تعالى، وتحكيم شريعته، والدعوة إلى الحق والمهدى والتي هي أحسن، لذا فإن المؤسسات الدينية والدعوية كافة معنية بهذه

الرؤية، ويقع على عاتقها نفس المسؤولية الوطنية وهذا ما دعا إليه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله في كلمته بمناسبة إقرار الرؤية حيث قال بعد ثناءه عليها: "آملين من أبناءنا وبناتنا المواطنين والمواطنات العمل معًا لتحقيق هذه الرؤية المباركة"<sup>(١)</sup>.

ومما يعكس أهمية المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء الرؤية أيضاً تأكيد القيادة الرشيدة على أن جميع محاور الرؤية المباركة وأهدافها التنموية ترتكز على أسس الدعوة الإسلامية وتنطلق من مبادئها، الأمر الذي عبر عنه القادة – حفظهم الله – بقولهم: "نخيا وفق مبادئنا الإسلامية... يمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا. لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسياً بهدي الإسلام في العمل والتحث على إتقانه... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافية مركباتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات"<sup>(٢)</sup>.

والشاهد في هذا النص أن المنهج الذي تبنته القيادة الرشيدة لتحقيق التنمية في شتى مجالاتها هو منهج الإسلام القائم على الوسطية وإتقان العمل والتسامح والانضباط والعدالة والشفافية، ما يعني أن نقطة انطلاقنا نحو هذه الرؤية في العمل على تحقيق التنمية المستدامة ستكون بتلك المبادئ، وهو أيضاً ما ييرز أهمية المسؤولية المترتبة على المؤسسات

(١) العربي: رؤية ٢٠٣٠ لا تغفل الجوانب الدينية والشرعية والدعوية، صحفة سبق الإلكترونية، بتاريخ ٣٠ مايو / ٢٠١٧ م.

(٢) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

الدعوية ومن يعمل بها في المساهمة في تدعيم هذا الجانب الذي أكد عليه ولادة الأمر –  
حفظهم الله – وجعلوه في أولى اهتمامات الرؤية.

كما تتجلّى أهمية المسؤولية الدعوية تجاه التنمية المستدامة أيضاً لطالما نظرنا إليها في ضوء مستجدات الواقع المعاصر وما تقتضيه من ضرورة تعاون جميع مؤسسات الدولة على وجه العموم والمؤسسات الدعوية على وجه الخصوص لتحقيق أهداف التنمية ومقاصدها، فقد كانت التنمية في السابق عملاً تكتمل به الدولة فحسب، حيث كانت تعمل على التخطيط والتنفيذ لإحداثها إلا أن الاشكاليات التي لازمت إسقاط برامج وخطط التنمية عملياً إلى أرض الواقع أثبتت أن التخطيط القومي المركزي لبرامج التنمية يعجز عن مراعات أولويات وخصوصيات المجتمعات والمنظمات، ولا يستصحب معه رؤية هذه المجتمعات للحلول المناسبة من وجهة نظر المستفيدين؛ ولذا أصبحت المؤسسات الدعوية تؤدي دوراً كبيراً في التنمية وتعاظم دورها كممكّل للجهود الحكومية في تحقيق أهدافها<sup>(١)</sup>.

ومن يعكس أهمية المؤسسات الدعوية تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة أيضاً ما أوصت به المؤتمرات المعنية بالبيئة والتنمية من ضرورة تعاون المؤسسات الدعوية والدينية على وجه العموم مع غيرها من الجهات المعنية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة ومقاصدها، ومن ذلك ما أوصى به المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة بالرباط من ضرورة

---

(١) ينظر: دور المؤسسات الدعوية الإسلامية في التنمية البشرية، إعداد/ عاطف عبد الواحد الحاكم، ص (٦-٢)، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم- السودان، م.٢٠١٥، هـ١٤٣٦.

العمل مع المؤسسات ذات الطابع الديني في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، فقد اعتبر المشاركون في إعلان الرباط دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة: "اعتماد استراتيجية تفعيل العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة في العالم الإسلامي، والدعوة لتأسيس الشبكة الإسلامية للعمل البيئي والتنمية المستدامة، وسيلة لضم الجهود وتبادل التجارب من داخل العالم الإسلامي ومن خارجه مع المنظمات الدولية والوطنية ومع المنظمات الأهلية على اختلاف أديانها وثقافاتها في المجتمعات الدول الأعضاء وخارجها، وتشجيع البحث العلمي في الموضوع، وتأثير الدعم المطلوب للمؤسسات ذات الطابع الديني العاملة في مجال حفظ البيئة والتنمية المستدامة، وأكدوا على أن التحديات البيئية تتناسب مع الإجابات الأساسية ذات الصلة بتحديات الحفاظ على البيئة في النصوص الدينية ومبادئ التربية والتنشئة الاجتماعية في كل المعتقدات والثقافات على اختلافها، ملتزمين بالعمل على تعزيز الفهم والقدرة على التواصل البيئي لدى المفتين والعلماء وكذلك الأئمة والداعية والخطباء ورجال الوعظ الديني" (١).

ويرى الباحث، أن ثمة أمور أخرى تؤكد على أهمية وضرورة تفعيل المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة وعلى رأسها عجز نماذج وتطبيقات التنمية الغربية عن تلبية متطلباتها وتحقيق أهدافها، بل أفرزت العديد من النتائج السلبية التي تستدعي الوقوف عندها، فقد انقضت عقود من التنمية ولا زالت الدول النامية أو المتخلفة تعاني أزماتها ولم تحقق تقدماً ملحوظاً في معظم الحالات السياسية أو الاقتصادية بل إنها تراجعت في كثير من هذه النواحي إلى مستويات من الممارسة والأداء والفعالية أدنى مما كانت عليه، وبعد تبنيها لنمط التصنيع الأوروبي على حساب الزراعة مما أدى إلى نوع آخر من التبعية

(١) التقرير الختامي للمؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة، مرجع سابق، ص (١٣ - ١٥)، بتصرف.

تمثل في الاعتماد على استيراد الغذاء، وأسهم في تفاقم الأزمات الاقتصادية المتالية وانتشار الجماعات في بعضها وانخفاض مستوى المعيشة للغالبية العظمى من المواطنين في البعض الآخر (١).

فلهذا السبب وغيره مما تقدم ذكره من تأكيد رؤية المملكة على ضرورة التعاون تجاه تحقيق أهدافها وعلى رأسها التنمية المستدامة وصولاً بتوصيات المؤتمرات ووصولاً للواقع المعاصر وما يعانيه من أزمات فنحن في أمس الحاجة إلى ضرورة تحقيق المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة (٢٠٣٠).

---

(١) يراجع: نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، تأليف/ د. نصر محمد عارف، ص (٢٣، ٢٤)، دار القارئ العربي، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٩٩٢م؛ معوقات التنمية المستدامة في دول العالم الإسلامي، إعداد/ سمر خيري مرسي، (المقدمة)، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي، مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة (٤-٣ ديسمبر ٢٠١٢م).

### المبحث الثالث

#### أسس المسؤولية الدعوية وركائزها تجاه تحقيق التنمية المستدامة

يرتكز منهج الدعوة الإسلامية على مجموعة من الأسس والمبادئ التي تنطلق منها مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة وما تقتضيه من حفاظ على البيئة وموارد الطبيعية مع ضرورة تعميمها وتطويرها على نحو يضمن حق الأجيال القادمة في التمتع بها، ولعل من أبرز هذه الأسس كما يراها الباحث ما يأتي:

##### أولاً: العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية هي أولى موضوعات الدعوة إلى الله عز وجل، والأساس الأول الذي ترتكز عليه جملة الأحكام التشريعية ومنظومة القيم الأخلاقية في الإسلام، سواء أكانت تتعلق بالتنمية المستدامة أم غيرها مما دعا إليه الإسلام وسعى لتحقيقه، والمتأمل في كتاب الله عز وجل يجد الكثير من النصوص التي تؤكد على مكانة البعد العقدي وأهميته في تحقيق التنمية المستدامة، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلَافِ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالْفَلَكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحَابِ

الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَأْتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال الله جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

وَالْأَرْضِ لِآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يُثْبِتُ مِنْ دَائِيَةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوْقَنُونَ ﴿١﴾، فهذه المشاهد البيئية في كمها وكيفها تبين حقيقة ظاهرها المادي وبعدها العقدي المتمثل في شهادتها على وجود الله ووحدانيته، وهو ما يؤكد أهمية الحفاظ عليها والعمل على تنميتها بطريقة مستدامة تضمن حق الأجيال القادمة فيها.

كما تتجلى أهمية العقيدة الإسلامية - كأساس من أسس الدعوة تجاه التنمية المستدامة - لطالما نظرنا إليها في ضوء العلاقة بين الطرفين، فالتنمية المستدامة وفقاً للمفهوم الإسلامي تنبثق من أصل العقيدة الإسلامية التي ينحاكم إليها في العبادات والمعاملات، وينتزع عن هذا أن التحاكم يعود إلى الضمير أو الواقع الديني الذي يعمره الإيمان لا إلى القوانين كما في التنمية المستدامة وفقاً للمناهج الغربية والنظم الوضعية، فهي في الإسلام تخضع للنظام الرباني وتمثل جزء من عقيدة المسلم وإيمانه وطاعته لربه، فالالتزام بما حث عليه الإسلام من عدم الإسراف والتبذير والعدل والمساواة والتكافل وعدم الإسراف في الأرض ما هي إلا طاعة لله عز وجل وعبادة، قال الله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّاً وَالْإِنْسَانَ إِلَّا يَعْبُدُونِ" ﴿٢﴾.

وتأسيساً على ذلك فإن التنمية في الإسلام تقوم على إحالة سعي الإنسان في الدنيا إلى عبادة، تتضمن تحصيل العلم بطائع المخلوقات وخصائصها والمحافظة على الطبيعة

(١) سورة الشورى، الآية (٢٩).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

والرفق بها وتطهير وإصلاح ما فسد فيها وتزكيتها، وذلك بالتعامل معها وفق منهج الله  
والعقيدة الإسلامية (١).

وعليه، فإن العقيدة الإسلامية هي أولى الأسس الذي يرتكز عليه المنهج الدعوي  
نحو التنمية المستدامة وتنطلق منه مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهدافها،  
فبالعقيدة الإسلامية يتعرف الإنسان على طبيعة البيئة وأهميتها باعتبارها أحد الشواهد على  
وجود الله عز وجل ووحدانيته، وبالعقيدة أيضاً تتحول مواقف الإنسان مع البيئة وتعامله  
معها والحفاظ على مواردها من مجرد عادة أو طاعة للقوانين إلى عبادة الله عز وجل وطاعة.

### ثانياً: الكائن الإنساني:

الإنسان هو أساس برامج التنمية المستدامة وهدفها وغايتها كما أنه القائم بـ  
وصنعها المستفيد الأول منها، لذلك أعلت نصوص القرآن الكريم مكانة الإنسان  
واهتمت به وبنمية قدراته، باعتباره أهم عنصر من عناصر البيئة، بل إن البيئة نفسها  
مسخرة لخدمته، كما ميز الله الإنسان عن غيره بأن جعله مفضلاً على كثير من مخلوقاته،  
قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَمَنَّا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِنَا تَقْضِيَّاً﴾ (٢).

(١) فلسفة التربية (رؤيه تربوية إسلامية)، تأليف / إبراهيم أحمد عمر، ص (٦٢، ٦٣)، دار الكتب  
والوثائق القومية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٩٩٢ م.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

وانطلاقاً من هذه المكانة وهذا التكريم الذي منحه الله عز وجل للإنسان فإن الواجب عليه هو شكر الله عز وجل على كافة نعمه وألائه سواءً أكانت تتعلق بالحفظ على البيئة ومواردها الطبيعية أم غيرها، فالواجب هو شكر النعمة بعدم الإسراف أو الإفساد فيها والحفاظ عليها بما يضمن الانتفاع بها وصيانتها لأجيال الحاضر والمستقبل. كما أن الله عز وجل قد أودع في الإنسان طاقات كثيرة منها القدرة العقلية على التعليم والقدرة الجسدية على العمل والتنفيذ والإبداع والإرادة الحرة، ليستخدمنا في عمارة الأرض وسخر له ما في الكون من مخلوقاته ونعمه مما يوجب على الإنسان البحث في تلك الموارد والانتفاع بها وعدم إهدارها بل حفظها وصيانتها تحقيقاً للتوازن البيئي وحفظاً لأنواعها والتمسك بكافة التشريعات والقيم الإسلامية التي تساعده على تنميته ودفع الضرر والفساد عنها بما يضمن كفايتها للأجيال الحاضرة والقادمة على حد سواء<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: مبدأ الاستخلاف:

أصل الاستخلاف من خلف، وهو مجئ الشيء بعد الشيء ليحل محله ويقوم مقامه، يقول ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والخلف: ما جاء بعد، وإنما سميت خلافة لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه. وتقول: قعدت خلاف فلان، أي بعده"<sup>(٢)</sup>.

(١) دراسة العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، مرجع سابق، ص (١٣١، ١٣٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة: "خلف"، (٢١٠ / ٢)،

وأما عن الاستخلاف في الاصطلاح: "تمكين الله للبشر عامة و لبعضهم خاصة في إحلالهم محل من قبلهم"<sup>(١)</sup>.

والاستخلاف من أهم وأبرز المبادئ التي أكدت عليها نصوص القرآن الكريم في غير موضع، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيُسْفِلُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال جل شأنه على لسان موسى عليه السلام مخاطبا قومه: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوّكُمْ وَيَسْتَحْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ففي هذه النصوص وغيرها دلالة واضحة على أن الله عز وجل خلق الإنسان واستخلفه في الأرض وسخرها لها؛ ليعمرها ويستثمر خيراها، ولذا: فإن ضبط سلوك الإنسان في تعامله مع البيئة وثرواتها يؤدي إلى تحقيق الاستخلاف فيها بالمحافظة عليها

(١) مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، تأليف/ د. عبد الله بن إبراهيم الناصر، ص (٣٣)، قسم الثقافة والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م.

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٣) سورة فاطر، الآية (٣٩).

(٤) سورة الأعراف، جزء من الآية (١٢٩).

وصيانتها من الملوثات التي تضرها وعدم الإسراف والجحود في استغلالها حتى نورثها سليمة قادرة على الإنتاج للأجيال القادمة.

وتؤكد إحدى الباحثات على أن التنمية المستدامة لا تأتي دون ارتكازها على الاستخلاف، فتقول: "الحفاظ على البيئة وتنميتها واجب مقدس على كل مستخلف فيها وليس توصية مؤتمر تنتهي بانقضاض المؤقررين، ولا صيحة دوى بها عالم رغم قوة حججه ووضوح بيانه، بل هو تشريع إلهي ملزم به عباده يحسّبهم على تركه أو إهاله"<sup>(١)</sup>.

وعليه، يمكن فهم علاقة الاستخلاف بالتنمية المستدامة في ضوء المبادئ الآتية:

(١) أن الإنسان وصي على الأرض لا مالك لها.

(٢) أنه أمين عليها ومسؤول عن إدارتها واستثمارها وتنميتها والمحافظة عليها من التدريب والتحريض.

(٣) أن البيئة بمواردها الطبيعية حق للأجيال القادمة.

رابعاً: مبدأ التسخير:

التسخير في اللغة من سخر أي ذلل، يقول ابن فارس: "السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على استذلال. من ذلك قولنا سخر الله عز وجل الشيء، وذلك إذا ذلله لأمره وإرادته"<sup>(٢)</sup>.

(١) الإسلامية وحماية البيئة، إعداد/ د. آمنة نصیر، ص (٩٠)، مجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، ع (٧٦)، هـ ١٤٢٢، م٢٠٠١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة: "خلف، (٤/٢٣٣).

وأما التسخير في الاصطلاح فهو: "إجراء الشيء على مقتضى غرض ما سخر له"<sup>(١)</sup>.

والمقصود بالتسخير باعتباره أحد الأسس التي يرتکز عليها المنهج الدعوي وتنطلق منه مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق أهداف التنمية المستدامة ومقاصدها هو التسخير الكوني، وهو ما دلت عليه العديد من النصوص منها قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلَبَثَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِقَاءَ يَنْكِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكما هو واضح من هذه الآيات فقد اقتضت حكمـة الله عز وجل أن يُسخـر للإنسان كل ما في الكون من مخلوقاته ونعمـه، ولا شكـ أن مجـيء الخطاب في هذه الآيات عامـاً دليـل على مقصد المولـي أن تكون نعمـه، وما منـ به على عبادـه ليتـفعـوا به من موارـد الطـبـيعة وخـيرـها، هو للناس والأجيـال أـجمعـين في كلـ عـصر، لا لـجـيل مـحدـد، ولا لـأـنـاس بـعـينـهم؛ وهو عـين ما تـهدـف إـلـيـه التنمية المستـدـاماـة وتسـعـي لـتحـقيـقهـ.

(١) التـوقـيف على مـهـمـات التـعرـيف، للإـمام زـين الدـين محمدـ المـدـعـو بـعـد الرـئـوفـ بنـ تـاجـ العـارـفـينـ بنـ عـلـيـ بنـ زـينـ العـابـدـينـ الحـدـاديـ ثمـ المـنـاوـيـ، (٩٦ / ١)، عـالمـ الـكـتبـ ٣٨ـ عبدـ الـخـالـقـ ثـروـتـ القـاهـرةـ، طـ ١ـ، ١٤٤٠ـ هـ.

(٢) سـورـة الـجـاثـيـةـ، الـآيـاتـ (١٢ـ، ١٣ـ).

ومن جهة أخرى فإن كل شيء مما سخره الله عز وجل للإنسان إنما يعمل وفقاً لأوامر الله عز وجل وإرادته، وهو ما دل عليه معنى التسخير وأشار إليه قوله جل شأنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾، أي أن جميع المسخرات مملوكة لله عز وجل تعمل وفق إرادته وحكمته، فإن شاء جعله مسخرة للإنسان ونعمه من نعم الله عليه، وإن شاء سخرها عليه وجعلها نعمة ووبالاً، وهذا يبرهن على أن العلاقة التسخيرية بين الإنسان والكون أو البيئة لها مظهران: التسخير المادي للبيئة والتسخير الروحي، فالبيئة قد سخرت للإنسان مادياً يجعل العناصر التي تتكون منها البيئة الطبيعية قابلة لتلبية الحاجات المادية للإنسان، وحصوله على منافعها وهو ما يتطلب منه السعي فيها وتنميتها والحفاظ عليها بما يضمن حق الأجيال الحاضرة والقادمة في الانتفاع بها<sup>(١)</sup>.

#### خامساً: الحفاظ على التوازن البيئي:

التوازن البيئي كما عرفه الباحثون هو: "ذلك الجزء من البيئة التي تسود مكوناته علاقات متبادلة متناسقة ومتكافئة تتجدد باستمرار، تؤدي في نهاية المطاف إلى بقاء الحياة واستمرارها"<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الإسلام والبيئة، إعداد/ إبراهيم علي حسن، ص (٩٤)، مجلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ع (١)، القاهرة - جمهورية مصر العربية،

(٢) التوازن البيئي من منظور إسلامي، إعداد/ د. أحمد حطاب، ص (٤٤)، مجلة جامعة محمد الخامس، المغرب، ع (٤٦)، ١٩٩٩ م.

وكما هو واضح من هذا التعريف فإن التوازن البيئي هو الوضع الوسط الذي يسود بين مكونات الكون والذي بفضله تعمل وتنتقل هذه المكونات وتقوم بينها علاقات متوازنة، من أجل الوصول إلى الغاية العظمى هو بقاء الحياة واستمرارها، على مدار العصور ولكل الأجيال.

ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه المعاني في غير موضع من آياته، فمن ذلك قول

الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَّنَاهَا وَلَقِينَا فِيهَا رَوَاسِيًّا وَأَبْنَتَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٌ﴾ (١)، وقال الله جل شأنه: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ (٢).

ويعد الحفاظ على التوازن البيئي أحد الأسس الدعوية التي تنطلق منها مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق التنمية المستدامة، ذلك أنه لا سبيل للحياة إذا لم يكن هناك توازن في نظام الترابط البيئي، فإذا تغاضى الإنسان عن وحدة الكون وتخلى عن أمانة الاستخلاف، فإنه يخل بالميزان الذي جعله الله كضامن لاستمرار الحياة في هذا الكون. والميزان هنا لا يجب أن يدركه الناس فقط بمعنى وزن الأشياء المادية. فكل نشاط يقوم به الإنسان للتعامل مع البيئة يجب أن يكون موزونين ليتلاءما مع هذه البيئة ومواردها (٣).

(١) سورة الحجر، الآية (١٩).

(٢) سورة الشورى، الآية (١٧).

(٣) ينظر: التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، إعداد/ د. مصطفى دسوقي كسبة، ص (٧٣)، ملخصات بحوث المؤتمر الدولي: التنمية المستدامة في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة، جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٨م.

ويرى الباحث، أن من أهم وأبرز ما يساعد الإنسان على تحقيق هذا التوازن ما

يأتي:

(١) عدم الإفساد في الأرض أثناء التعامل مع مواردها، وهو مادل عليه قول الله جل

شأنه: ﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْوَذُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١).

(٢) عدم الإفساد في الأرض بظلم الآخرين وبخس حقوقهم، يقول الله جل شأنه

على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمُكْيَالَ وَلَا مِيزَانَ بِالْقُسْطِ وَلَا

بَخْسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْوَذُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٢).

فالفساد بمعناه البيئي يكون بالإسراف وعدم التوازن والاعتدال في استخدام موارد

البيئة والتعامل معها، أو التعامل معها على نحو فيه ظلم لأجيال الحاضر وبضر بقدرة أجيال

المستقبل على الحصول على احتياجاتهم.

(١) سورة البقرة، جزء من الآية (٦٠).

(٢) سورة هود، الآية (٨٠).

## سادساً: مبدأ التعمير:

التعمير في اللغة من عمر، يقول ابن فارس: "العين والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان... ومن الباب عمارة الأرض، يقال عمر الناس الأرض عمارة، وهم يعمرونها ... واستعمر الله - تعالى - الناس في الأرض ليعمروها" (١).  
وأما عن التعمير في الاصطلاح فهو: "تعمير الأرض بأنواع البناء والغرس والزرع" (٢).

والإعمار هو أحد غايات خلق الإنسان، قال الله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ (٣)، ويقول الله حل شأنه على لسان صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَى ثُمَودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمِرُكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٤)، ففي هذه الآية دليل على وجوب العمارة بجميع صورها واشكالها، يقول الإمام القرطبي: "ومعنى ﴿وَاسْتَعْمِرُكُمْ فِيهَا﴾ أي: جعلكم عمارها ووسكاكاً" (٥).

(١) معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، مادة: "عمر"، (٤ / ١٤١).

(٢) التحرير والتنوير، (١٢ / ١٠٨).

(٣) سورة الروم، الآية (٩).

(٤) سورة هود، الآية (٦١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (٩ / ٥٦).

قلت: وليس هناك أدق من مفهوم التعمير للتعبير عن التنمية في مفهومها الإسلامي إذ ليس المقصود من ذلك هو التعمير المادي الحسي، بل التعمير بمعنى التطوير والتنمية، وقد ذهب الفقهاء إلى أن التعمير أو التنمية بالمفهوم الدقيق واجب على كل مسلم كما يشير إلى ذلك القرطبي في تفسير هذه الآية<sup>(١)</sup>.

كما تتحلى مكانة التعمير وأهميته كأحد أسس الدعوة الإسلامية وركائزها تجاه تحقيق التنمية المستدامة من خلال عدة أمور، أبرزها ما يأتي:

- (١) أن العمارة تعد واجباً شرعياً يجب على كل إنسان القيام والحافظة عليه قدر طاقته واستطاعاته ووفقاً لقدراته وإمكاناته.
- (٢) اكتشاف المواد وتحديدها وتعظيم الاستفادة منها.
- (٣) أن العمارة تستلزم بذل الجهد والعمل الجاد المتقن.
- (٤) أنها تشمل أنشطة إنسانية مستدامة ومتعددة، كالزراعة والصناعة والتعليم.
- (٥) أنها تعتمد على الإنسان وقدراته وعلى تنظيم العمل والاستفادة من الموارد<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المرجع السابق، (٩/٥٧).

(٢) ضوابط الانتاج في الاقتصاد الاسلامي وأثرها على الانتاج والانتاجية، إعداد/ خالد بن سعد المقرن، ص (٤٠، ٤١)، رسالة دكتوراة منشورة، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.

## سابعاً: مبدأ محدودية الموارد:

لقد أقر القرآن الكريم هذه الحقيقة في العديد من نصوصه وآياته، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول جل شأنه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَرَائِثُهُ وَمَا نَنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ففي هاتين الآيتين إشارة إلى أن الأشياء لم تخلق عبثاً وأن الكم والكيف ضمان للتوازن والتناسق.

ويؤكد الله عز وجل عن محدودية الماء باعتبارها عصب الحياة وأساسها الحياة :  
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَاقَقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخُلُقِ غَافِلِينَ. وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرِ فَاسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ . فَانْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَحْيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ففي هذه الآيات أيضاً دليلاً على محدودية المورد الأول للبيئة والحياة، يقول العالمة ابن السعدي: " ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يكون رزقاً لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود، ولا يزيده زيادة لا تتحمل، بحيث يتلف المسالك، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند التضرر من دوامه، ﴿فَاسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أنزلناه عليها، فسكن

(١) سورة القمر، الآية (٤٩).

(٢) سورة الحجر، الآية (٢١).

(٣) سورة المؤمنون، الآيات من (١٧ - ١٩).

واستقر، وأخرج بقدرة منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضاً معداً في خزائن الأرض،  
بحيث لم يذهب نازلاً حتى لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، ﴿وَلَمْ يَأْتِ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ إما  
بأن لا نزله، أو نزله، فيذهب نازلاً لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا  
تنبيه منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويفدروا عدمها، ماذا يحصل به من الضرر، كقوله  
تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَا أَؤْكِمُ غَوْرًا فَنَّمَ يَأْتِيكُمْ بِمَا إِعْنَ﴾<sup>(١)</sup>.

وعليه، فالواجب هو الاستغلال الأمثل للماء وغيرها من الموارد بالعدالة في التوزيع  
نبذ الإسراف بشتى صوره، بمعنى أن تستغل النظم البيئية استغلالاً علمياً رشيداً ومستداماً،  
وفقاً لمنهج "الوسطية"، فلا إفراط أو تفريط، بما يضمن تحقيق تنمية مستدامة.

وبعد، فهذه أبرز الأسس التي يرتكز عليها منهج الدعوة الإسلامية وتنطلق منها  
مسؤولية الدعاة إلى الله عز وجل تجاه تحقيق التنمية المستدامة والوصول لأهدافها، والملاحظ  
ما جاء فيها أنها أسس ريانية ذات منطلقات إسلامية تبرز علو شأن التنمية المستدامة في  
الإسلام وتميزها عما نادى به الفكر الوضعي في ثقافته المعاصرة؛ وهذا يعكس لنا الحكمة  
من وراء تأكيد القيادة الرشيدة -حفظهم الله- في رؤية المملكة (٢٠٣٠ م) على تبني منهج  
الإسلام وهديه في تحقيق التنمية، الأمر الذي عبروا عنه بقولهم: "يمثل الإسلام ومبادئه  
منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا. لقد أعزنا

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا الويحق، (١/٥٤٩). مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٠ هـ، ١٤٢٠ م.

الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسيساً بجمعي الإسلام في العمل والتحث على إتقانه ... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافية مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات"<sup>(١)</sup>.

فهذا النص يعكس مدى حرص القيادة الرشيدة على تبني منهج الدعوة الإسلامية في تعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها في جميع المجالات.

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

## المبحث الرابع

### الأساليب الدعوية المساهمة في تحقيق التنمية المستدامة

أصل الأسلوب من "سلب"، ويطلق هذا الفعل في اللغة ويراد به عدة معانٍ أبرزها الطريق والمذهب، فيقال: "سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقة ومذهبه"<sup>(١)</sup>.

وفي ضوء السياق ذاته عرف الدعاة إلى الله عز وجل الأساليب الدعوية بأنها:

"عرض ما يراد عرضه من معاني وأفكار ومبادئ وأحكام في عبارات وصيغ ذات شروط معينة"<sup>(٢)</sup>.

والمتأمل في مصادر الدعوة<sup>(٣)</sup> يجد العديد من الأساليب المساهمة في تحقيق التنمية المستدامة وأهدافها، ولعل من أبرزها كما يرى الباحث ما يأتي:

(١) المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة "سلب" ص (٤٤١).

(٢) الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ومقوماتها ومتاهجها، تأليف الدكتور أبو الحمد نوفل، (١٨٩١)، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة - القاهرة، هـ ١٣٩٧، م ١٩٧٣.

(٣) مصادر الدعوة هي: "ما يستقي منها الدعوة دعوئهم، والمنطلقات التي ينطلقون منها في عملهم، ويسيرون على ضوئها، تمثل مصادر الدعوة الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح والتجارب بشكل عام للدعوة وغيرهم"، المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم، تأليف / د. عبد الله بن محمد الجلبي، ص (٢٤١)، مجلة الدراسات الدعوية، ع (١)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، هـ ١٤٢٩.

## أولاً: الترغيب:

عرف الدعاة إلى الله الترغيب الداعي بأنه: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة ، وقبول الحق والثبات عليه"<sup>(١)</sup>.

والترغيب الذي أعنيه في هذا المقام هو الترغيب في الحفاظ على موارد البيئة ومقومات التنمية المستدامة، وهو ما دلت عليه العديد من نصوص السنة النبوية المشرفة، فمن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فـأَكـلـهـ طـيـرـ أوـ إـنـسـانـ أوـ بـهـيـمـةـ، إـلـاـ كـانـ لـهـ بـهـ صـدـقـةـ}<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: {من زرع زرعاً فأَكـلـ منهـ الطـيـرـ أوـ الـعـافـيـةـ كـانـ لـهـ بـهـ صـدـقـةـ}<sup>(٣)</sup>.

فيتبين من هذين النصين مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم ودعوه للحفاظ على الشروء حماية الغطاء النباتي والموارد الزراعية، وذلك من خلال تشجيع المسلمين على النهوض بعملية التشجير، المتمثلة في غرس الأشجار وزراعتها وتربیتهم في ذلك بيان الفضل والثواب المرتب على ذلك، وهو ما وجہ إلـيـهـ أحدـ الـبـاحـثـيـنـ حيثـ عـلـقـ عـلـىـ هـذـيـنـ الـحـدـيـثـيـنـ بـقـوـلـهـ: "فـفـيـ كـلـ الـحـدـيـثـيـنـ تـرـغـيـبـ فـيـ الـغـرـسـ وـالـتـشـجـيرـ وـفـلـاحـةـ الـأـرـضـ، وـجـعـلـ ثـوـابـ ذـلـكـ أـجـراـ عـظـيـمـاـ" ، فـكـلـ مـاـ يـصـابـ مـنـ ثـمـارـ الـأـشـجـارـ وـالـزـرـوعـ هـوـ صـدـقـةـ يـنـمـيـهـاـ اللـهـ

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص (٧٤٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أَكَلَ منه، (٣/١٠٣)، حديث رقم (٢٣٢٠).

(٣) المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، آخرون، (٢٧/٩٣، ٩٢)، حديث رقم (١٦٥٥٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، وقال محققوه: "إسناده حسن".

عز وجل لصحابها إلى يوم القيمة، بما في ذلك ما تنصيه أحياء البيئة من طير وسباع وحيوان ودواب وحشرات<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر ذلك أيضا قوله صلى الله علّه وسلم: {إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحًا تركه ومصحفًا ورثه أو مسجداً بناءً أو بيتاً لا بن السبيل بناءً أو نهرًا أجرًا أو صدقة أخرى جها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته}<sup>(٢)</sup>.

فالشاهد في هذا الحديث أيضا أنه صلى الله عليه وسلم يرغب في الحفاظ على الماء باعتبارها عصب الحياة وإنحدار لوازم التنمية وتحقيق استدامتها وذلك من خلال الترغيب في حفر الأنفاق وشق القنوات وجعلهما من جملة الصدقات التي يلحق ثوابها المؤمن يوم أن يلقى الله عز وجل.

ومن مظاهر الترغيب أيضا ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {من أعمم أرضاً ليست لأحد فهو أحق}<sup>(٣)</sup>، أي هو أحق بها، قال الفزار: "الموات الأرض التي لم تعمَّر، شبهت العمارة بالحياة وتعطيلها بفقد الحياة. وإحياء الموات أن يعمد الشخص للأرض لا يعلم تقدم مالك عليها لأحد فيحييها

(١) ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، إعداد/ د. محمد عبد القادر الفقي، ص ٩، بحث مقدم للندوة العلمية الثالثة حول القيم الحضارية في السنة، الأمانة العامة لندوة الحديث، بدون تاريخ.

(٢) سنن ابن ماجه، للإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة، تحقيق/ الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، باب ثواب معلم الناس الخير، (١/٨٨)، حديث رقم (٢٤٢)، دار إحياء الكتب العربية، وقال محققه: "إسناده حسن".

(٣) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب: من أحيا أرضاً مواتاً، (٣/٦٠)، حديث رقم (٢٣٣٥).

بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء، فتصير بذلك ملكه، سواءً أكانت فيما قرب من  
العمران أم بعد<sup>(١)</sup>.

ويتبين من هذا النص وما جاء في الم Heidi النبوي مدى ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الأخذ بمقومات التنمية والحرص عليها، حيث حث على إحياء الأرض الموات وزراعتها وإصلاحها وتنميتها، وذلك بتشجيع الناس على إحياء الأرض مقابل تمليكهم إياها، وفي ذلك توسيع لحركة الجد والنشاط في المجتمع، وفتح باب العمل في استصلاح الأراضي والزراعة وما يتعلّق بها، وخلق فرص للعمل في هذا الجانب المهم للمجتمع، فضلاً عن محاربة الボار والتصرّف وغيرهما مما يعوق عملية التنمية المستدامة ويجعل دون تحقيق أهدافها.

### ثانياً: الترهيب:

وقد عرفه الدعاة إلى الله بأنه: "كل ما يخيف المدعو ويحذر من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"<sup>(٢)</sup>.

وكما هو الحال بالنسبة للترغيب فإن الترهيب يعد أيضاً من أبرز الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، والمقصود به هنا هو التحريض والتحذير من المساس بمقومات التنمية المستدامة أو ارتكاب أي من المحظورات التي تحول دون تحقيقها، ومن ذلك ما روی عن عبد الله بن حبشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {من قطع سدراً صوب الله رأسه في النار}<sup>(٣)</sup>، ومن المعلوم أن السدر ينبع في الصحراء

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (٥/٢٣)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٧٩هـ.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص (٧٤٨).

(٣) سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب الأدب، باب في قطع السدر، (٤).

ويصير على العطش ويقاوم الحر، ويتفق الناس بتفيؤ ظلاله والأكل من ثماره إذا احتازوا الفيافي في سفر أو في رحلة أو في بحثهم عن الكلاً والمرعى، والوعيد بالنار لمن قطع سدرة يدل على تأكيد الحافظة على مقومات البيئة الطبيعية، لما توفره من حفظ التوازن بين المخلوقات، وما يمثّله الاعتداء عليها من فقدان بعض العناصر الضرورية لسلامة الحياة والإنسان وضمان التنمية وتحقيق استدامتها.

ومن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {اتقوا الملاعن الثلات: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل} <sup>(١)</sup>، و(الملاعن): جمع ملعنة، وهي مواضع اللعن. والمراد بالموارد: الجاري، والطرق إلى الماء، واحدها مورد، يقال: وردت الماء إذا حضرته لشرب. والورد: الماء الذي ترد عليه. (قارعة الطريق): أي الطريقة التي يقرعها الناس بأرجلهم ونعلهم، أي يدقونها ويمرون عليها... وهي وسط الطريق. (والظل): أي ظل الشجرة وغيرها" <sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى ما في هذا النص من ترهيب وتحذير ووعيد لمن وقع في تلك الموبقات فهي تحرم الآخرين من الاستفادة من كميات كبيرة من الماء، كما أن ممارسة هذه السلوكيات

(٣٦١)، حديث رقم (٥٢٣٩)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ، وقال الإمام الألباني: "حديث صحيح"، ينظر: صحيح سنن أبي داود، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، (٣/٢٨٦)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩ هـ.

(١) رواه أبو داود في سنته، كتاب الطهارة، باب: الموضع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها، (١/٧)، حديث رقم (٢٦)، وقال العالمة الألباني: "حديث حسن"، صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، (١٩/١).

(٢) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تحذيب سنن أبي داود وإيضاح عللها ومشكلاته، تأليف أبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، (١/٤٧)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ.

(أي: التبول والتبرز في الموارد) تسبب في إفسادها، فالتبول أو التبرز في الماء الرائد يجعله بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية وسرعة تكاثرها وانتشارها<sup>(١)</sup>، وغير ذلك مما يضر بالماء والبيئة ويعوق التنمية من جميع جوانبها ويحول دون تحقيق أهدافها، ولذا فقد توعّد صلی الله عليه وسلم من يعتدي على الماء باللعن والطرد من رحمة الله عز وجل.

### ثالثاً: القدوة الحسنة:

أسلوب القدوة الحسنة من أهم الأساليب الدعوية ، وذلك لما له من أثر مقصود وغير مقصود على المدعو، فضلاً عما يعكسه من سلوكيات الداعي وأخلاقه.

وتعتبر القدوة الحسنة من أهم الأساليب الدعوية المسهمة في تحقيق التنمية المستدامة وأهدافها، ولنا في رسول الله صلی الله عليه وسلم خير شاهد ودليل على ذلك، حيث ضرب أروع المثل في التحليل بالأخلاق الحسنة والسلوكيات الإيجابية المسهمة في رعاية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، فعن أنس رضي الله عنه قال: " كأن النبي صلی الله عليه وسلم يغسل - أو كان يغسل - بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد"<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك أيضاً ما روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها: " كانت تغسل هي والنبي صلی الله عليه وسلم من إناء واحد يسع ثلاثة أمداد، أو قريباً من ذلك"<sup>(٣)</sup>، وكان أبو جعفر عند جابر بن عبد الله هو وأبوه وعنه قوم فسألوه عن الغسل، فقال:

(١) المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثيرها في الوقاية من هذه الأمراض، إعداد/ د. عدنان أحمد البار، ص (١٠٤، ١٠٥)، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ع (١١)

.م ١٩٩١

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: الوضوء بالمد، (١ / ٥١)، حديث رقم (٢٠١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب: القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر، (٢ / ٢٠٢)، حديث رقم (٣٢١).

يكفيك صاع، فقال رجل: ما يكفيي. فقال حابر: (كان يكفي من هو أوفي منك شعرا، وخير منك)<sup>(١)</sup>، يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

والشاهد في هذه النصوص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قدوة لأهل بيته ولغيرهم من الأمة في الحفاظ على الماء والاقتصاد في استخدامه حتى ولو كان ذلك من أجل الوضوء والعبادة، وقد كان لفعله صلى الله عليه وسلم خير قدوة وأسوة حابر بن عبد الله رضي الله عنه ولمن دخلوا عليه يسألونه عن الغسل وسيظل هكذا لكل من اقتدى بهديه صلى الله عليه وسلم وتخلق بأخلاقه، مما يؤكد أهمية القدوة الحسنة كأسلوب دعوي في الحفاظ على موارد البيئة وتحقيق التنمية المستدامة وأهدافها.

#### رابعاً: لفت الأنظار:

والمقصود هو لفت الدعاة إلى الله عزوجل أنظار المدعويين للبعد الجمالي للبيئة، وخلق روحًا من التالق بينها وبينهم، من خلال الإحساس بما تتطوي عليه من متعة وبهجة وسرور، وكل ذلك لاستشعار قيمتها والمحافظة عليها فضلاً عن تنميتها، ولنا في كتاب الله عز وجل خير شاهد ودليل على ذلك، حيث قال الله جل شأنه: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَبَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوحٍ . وَالْأَرْضَ مَدَّنَاهَا وَأَقْيَنَا فِيهَا رَوَاسِيًّا وَأَبْيَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زُوْجٍ بَهِيجٍ﴾<sup>(٢)</sup>، والبهيج هو: "الشيء المشرق الجميل الذي يدخل البهجة والسعادة والسرور إلى من نظر إليه، وهذا الوصف يدل على دقة صنع الله تعالى"<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب الغسل بالصاع ونحوه، (٦٠ / ١)، حديث رقم (٢٥٢).

(٢) سورة ق، الآيات (٧ ، ٦).

(٣) تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (٢٦ / ٢٨٩)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٨٤م.

ويقول الله جل شأنه: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْبَطَتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَأَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تبارك اسمه ﴿ وَمَا ذَرَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا إِلَّا فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَسَتَخْرُجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبِسُوهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَا خَرَفَ فِيهِ وَلَبَثُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، فهذه الآيات تشير إلى أن الله تعالى خلق الفضاء، والأرض، والبحار، والأشجار، ومصادر المياه، وغيرها من مظاهر البيئة وعناصرها، سليمة نقية طيبة نافعة للإنسان، بل إن هذه الآيات أضفت على هذه المذكرات بعداً جماليًّاً وذوقياًً، لتنبه الإنسان على ضرورة مراعاة هذا الخلق النقي الجميل، والحرص على استمراره وتنميته، والحافظة عليه<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً مفصلاً بعض هذه النعم: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ التَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ. وَآتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا ثُمَّتَ اللَّهُ لَا تَحُصُّوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فمن هذه الآيات ندرك مكانة البيئة في الإسلام، وأن الله تعالى منح الإنسان الموارد الكونية والبيئية النافعة له، فيسرها له للاستفادة بها في أغراض شئ، وجعل هذه الأغراض المادية سبيلاً من سبل الإعانة على الحياة، وعرض البعد الجمالي والمشرق للبيئة

(١) سورة الحج، جزء من الآية (٥)

(٢) سورة النحل، الآيات (١٣ ، ١٤).

(٣) ينظر: الآيات والأحاديث الواردة في حماية البيئة الطبيعية وتطوريها، إعداد/ بكر مصطفى طه، (ص ٩١)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣م،

(٤) سورة إبراهيم، الآيات (٣٢ - ٣٤).

وحتى الإنسان على ضرورة مراعاة هذا الخلق النقي الجميل، والحرص على استمراره وتنميته، والمحافظة عليه، وكذا تكفل الله تعالى بحفظ النوع والسلالة لجميع المخلوقات، وجميع ما على ظهر الأرض إلى أن يرى الله الأرض ومن عليها.

#### خامساً: النهي عن الإسراف:

الإسراف هو: "تجاوز الحد في النفقة، أو أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما يحل له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة" <sup>(١)</sup>.

ويعد النهي عن الإسراف من أهم الأساليب الدعوية المهمة في تحقيق التنمية المستدامة، وهو ما دلت عليه العديد من الشواهد، منها قول: ﴿يَا بَنِي آدَمْ خُذُوا مِنْ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَأَشْرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ <sup>(٢)</sup>، وقال الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالرَّزْعَ مُخْلِفًا أَكْلَهُ وَالْيَتَمَّ وَالرُّمَانَ مُشَابِهًا وَغَيْرَ مُشَابِهٍ كُلُّوا مِنْ شَمْرِهِ إِذَا أَئْمَرْتُمْ وَأَتُقْرَأُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

ففي هاتين الآيتين دعوة للوسطية والاعتدال ونهي واضح عن الإسراف باعتباره من أبرز الآفات التي تحول دون تحقيق التنمية، فقد: "أحل الله لعباده الأكل والشرب مما لم يحرمه ونهاهم عن الإسراف والتبذير، وهو الأساس الذي يقوم عليه مفهوم التنمية

(١) التعريفات، للشريف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص (٤٢)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ.

(٢) سورة الأعراف، الآية (٣١).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٤١).

المستدامة، أي الوسطية في الاستغلال والانتفاع بالثروات والموارد الطبيعية دون إسراف أو

تبذير، وهو ما يحفظ حقوق الأجيال القادمة بالانتفاع بما انتفع به من قبلهم<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {كُلُوا، وَاشْرُبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبُسُوا، فِي غَيْرِ مَخِيلٍ وَلَا سَرَفٍ} <sup>(٢)</sup>، ففي هذا الحديث أيضاً نهي واضح عن الإسراف؛ لما له من أضرار على حياة الناس ومعاشرهم، يقول ابن حجر: "هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإنلاف"<sup>(٣)</sup>.

#### سادساً: النهي عن الفساد والتحذير منه:

بعد الفساد - بجميع صوره وأشكاله - من أخطر الآفات التي تهدد الأمم والمجتمعات؛ ولذلك لما يترب عليه من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية لا يمكن أن يأتي معها أي نوع من التنمية؛ ولذا فإن النهي عن الفساد والتحذير من الوقوع في جرائمه يعد من أهم وأبرز الأساليب الدعوية الم sehmea في القضاء على هذه الظاهرة والاتجاه نحو طريق التنمية والتقدم، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَّا غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَ أَنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا

(١) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، تأليف / د.

سهيل زغود، آخرون، ص (٦)، مج (٦)، ع (١)، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٩.

(٢) المسند، (٣١٢)، حديث رقم (٦٧٠٨)، وقال محققوه: "إسناده حسن".

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، (١٠ / ٢٥٣).

في الأرض بعد إصلاحها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ <sup>(١)</sup>، وقال الله جل شأنه: ﴿وَلَا تُقْسِدُوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ <sup>(٢)</sup>، فالملاحظ أن الآيتين تناولتا موضوع الإفساد في الأرض، وجاء بصيغة النهي في قوله تعالى ﴿وَلَا تُقْسِدُوا في الأرض﴾، وعدم الإفساد في الأرض هو الكريزنة الأساسية للفكر التنموي المستدام، فالإفساد يضر بحقوق الأجيال الحاضرة والقادمة، وهو من أكثر الأفعال المنهي عنها في القرآن الكريم والسنة النبوية، لأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض يجب عليه الحفاظ عليها وصونها لا الإفساد فيها <sup>(٣)</sup>.

#### سابعاً: الحث على الإيجابية:

الإيجابية كما عرفها الباحثون هي: "ترويض النفس على العمل الدؤوب بدون ملل بعيداً عن السلبية في مجالات الحياة، ومواجهة الصعاب بما يضمن خدمة المجتمع استجابة للتطور في إطار النظرة الإنسانية لله وللكون وللحياة" <sup>(٤)</sup>.

والث عن الإيجابية - وفقاً لهذا المعنى - والدعوة للتخلص بها يعد من أبرز الأساليب الدعوية المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وهو ما دلت عليه العديد من النصوص

(١) سورة الأعراف، الآية (٨٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٦).

(٣) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص (١٧).

(٤) الإيجابية في التربية الإسلامية، تأليف / توحان محمد الحوراني، ص (١١)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٣ م.

الدعوية، فمن ذلك قول الله جل شأنه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة ليغرسها} (٢)، ففي الحديث النبوي الشريف دعوة من رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الغرس والزرع والتشجير، ولأهمية هذا العمل في الإسلام دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القيام به حتى وإن قامت الساعة، والغرس والزرع والتشجير من أهم أعمال المحافظة على البيئة والمحيط الحيوي للإنسان والتي بدورها تسهم في تنمية الفكر التنموي المستدام لدى عامة الناس" (٣).

وبعد، فهذه أبرز الأساليب الدعوية المساهمة في تحقيق التنمية المستدامة كما أشارت إليها نصوص الوحيين الشرقيين وأكدت عليها كتابات الدعاة إلى الله عزوجل وغيرهم من أهل العلم، ولا يسع الباحث في هذا المقام سوى التأكيد على بعض الضوابط التي ينبغي على الدعاة إلى الله عزوجل مراعاتها أثناء استخدام هذه الأساليب وغيرها مما يسهم في تحقيق التنمية المستدامة، وهي ما يأتي:

(١) مراعاة أحوال المدعوين، وذلك باختيار أنساب الأساليب الدعوية ملائمة لظروفهم وأحوالهم الإيمانية والنفسية والسلوكية، فلا يصح الحث على الإيجابية أو الترغيب في حقيق

(١) سورة الجمعة، الآية (١٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (٢٥١ / ٢٠)، حديث رقم (١٢٩٠٢)، وقال محققوه: "إسناده صحيح".

(٣) التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص (١٧).

أي نوع من التنمية والتقدم لدى شخص متورط في جرائم الفساد وبراثنه، بل الأولى نحيه عن ذلك وحثه أولاً على الإقلاع عنه.

(٢) التحليل بالقدوة الحسنة، فقد أثبتت نتائج البحث حرص النبي صلى الله عليه وسلم على استخدام هذا الأسلوب، ومدى أهميته في الحفاظ البيئي وتحقيق أهداف التنمية، ولذا فالأولى بالدعاة إلى الله عز وجل الاقتداء والتأسي ببنينا صلى الله عليه وسلم، وموافقة أفعالهم لأقوالهم، فقد أنكر الله عز وجل على أهل الإيمان خالفة ذلك فقال جل شأنه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَفْعُلُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَفْتَأً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَفْوِلُوا مَا

لَا تَفْعُلُونَ ﴾ (١).

(١) التحليل بالوسطية والاعتدال في الخطاب الدعوي على وجه العموم، بعض النظر عن الأساليب المستخدمة في عرض الخطاب وطريقة إلقائه، فإن المتأمل في نصوص رؤية المملكة (٢٠٣٠) يجد بوضوح مدى تأكيد القيادة الرشيدة - حفظهم الله وسدد خطاطهم - على ضرورة الوسطية والاعتدال لتحقيق محاور الرؤيا وأهدافها سواء أكانت تتعلق بالتنمية المستدامة أم غيرها، حيث تقول: "يتمثل الإسلام ومبادئه منهج حياة لنا، وهو مرجعنا في كل أنظمتنا وأعمالنا وقراراتنا وتوجهاتنا. لقد أعزنا الله بالإسلام وبخدمة دينه، وتأسيسها هدي الإسلام في العمل والبحث على إتقانه... ستكون نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه

(١) سورة الصاف، الآيات (٢، ٣).

الرؤية هي العمل بتلك المبادئ، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافية مركباتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات"(١).

فهذا النص يعكس مدى حرص القيادة الرشيدة حفظهم الله على أن تكون الوسطية هي المنهج المستخدم تجاه تحقيق أهداف الرؤية المباركة سواءً أكانت تتعلق بالتنمية أم غيرها، ولنذا فالواجب على الدعاة إلى الله بل والبشرية كلها أن تتحلى بالوسطية وغيرها مما تدعوا إليه الرؤية المباركة من قيم ومبادئ.

---

(١) رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) ص (١٦).

### الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنوره تنحل الظلمات، وبفضله وتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، وبعد:

فإن النهوض بالأمة والارتقاء بحياة أبنائها يعد من أعظم المسؤوليات التي تقع على عاتق الدعاة إلى الله عز وجل؛ ولذا فقد جاء هذا البحث لكي يسلط الضوء على المسؤولية الدعوية تجاه تعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها في ضوء ما نصت عليه رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، وقد تبين مما جاء فيه أن التنمية المستدامة التي يدعو الإسلام لتحقيقها هي تنمية شاملة لجميع مناحي الحياة و مجالاتها، وهي أمر واجب على كل مسلم باعتبارها من جوانب العبادة، فعبادة الله تعالى كما تكون بالصلوة والصيام والزكاة والحج تكون أيضاً بإعمار الأرض وإصلاحها والحفاظ على مقومات الحياة على نحو يضمن حق الأجيال الحاضرة والقادمة في الاستفادة منها والاستمتاع بها، ولذا فقد أولت الدعوة الإسلامية التنمية المستدامة رعايتها وجاءت نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية وحياة السلف الصالح لتوضح الأسس والأساليب التي يجب على الدعاة إلى الله اتباعها لتعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها، ولقد توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات، يمكنه تصنيفها وسردها على النحو الآتي:

#### أولاً: النتائج:

- (١) أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يعد أكثر شمولًا من الأنظمة الوضعية، فالتنمية المستدامة في الإسلام تنمية شاملة للإنسان الذي يؤدي وظيفته في القيام بأعباء الاستخلاف في الأرض وإعمارها، وهي واجبة على كل مسلم باعتبارها جانب من جوانب العبادة والطاعة لله عز وجل.

(٢) أن الدعوة الإسلامية قد أولت التنمية المستدامة عناية كبرى، وقدمت لتحدياتها

الحلول الوقائية والعلاجية التي تحول للإسلام قصب السبق في تقرير مبادئ التنمية المستدامة وأهدافها قبل غيره من الأديان، المتصلح والمترافق مع الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة يعجز أمام هذه الحقائق المدهشة التي نادت بالتنمية المستدامة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

(٣) أن التنمية المستدامة في الدعوة الإسلامية ذات أسس وأهداف سامية تعني بتنمية الإنسان روحاً وأخلاقياً وفكرياً وحضارياً باستخدام أساليب مناسبة لتحسين جوانب التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها.

(٤) أن المملكة العربية السعودية تسعى لتعزيز التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها عبر رؤية مستقبلية، مسترشدة في ذلك بمنهج الدعوة الإسلامية الذي يتسم بالوسطية والاعتدال في كافة مناحي الحياة وجوانبها.

(٥) أن رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) تعد من أهم الركائز التي ترتكز عليها وتنطلق منها المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في الواقع المعاصر.

(٦) أن مسؤولية الدعوة إلى الله عز وجل لا تقل عن مسؤولية غيرهم من أبناء الأمة في تعزيز التنمية المستدامة والعمل على تحقيق أهدافها.

ثانياً: التوصيات:

(١) أوصى علماء الأمة وجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله عز وجل بالأخذ بمنهج وسطية الإسلام واعتداله في كافة ميادين الإسلام، وعدم التشدد واللغالة والتعسّير على الناس في شعور حياتهم، فالمنهج الوسطي هو المنهج الذي رضيه

الله تعالى للأمة وهو أيضا ذات المنهج الذي اخذه رؤية المملكة (٢٠٣٠) أساساً ومنطلقاً لتحقيق التنمية المستدامة والوصول لأهدافها.

(٢) تعزيز التعاون والشراكة بين وزارة الشؤون الإسلامية وغيرها من المؤسسات الدعوية والوزارات والمؤسسات المعنية بالبيئة في الدول الإسلامية وغيرها؛ من أجل القيام بمبادرات مشتركة تؤصل لأهمية الدعوة الإسلامية ودورها في الحفاظ على البيئة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

(٣) تنظيم ندوات وبرامج دعوية بصفة مستمرة لجميع العاملين في مجال الدعوة إلى الله تتناول أسس التنمية المستدامة وأساليب تحقيقها مؤشرات بحاجها، والاستعانة بالخبراء والتخصصين والاستفادة من التجارب الآخرين في هذا الشأن.

(٤) تفعيل دور مراكز للدراسات والبحوث والجامعات من أجل إعداد الدراسات المتخصصة في مجال البيئة ومعالجة قضياتها المختلفة من تلوثٍ أو تصحر، أو استنزاف الموارد، وغير ذلك من القضايا التي تعوق التنمية المستدامة وتحول دون تحقيق أهدافها.

## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٣. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحاج القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩١ م.
٤. المسند، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٥. سنن ابن ماجه، للإمام الحدث أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.
٦. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ.
٧. صحيح سنن أبي داود، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩ هـ.

ثانياً: المراجع:

١. إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة تأليف / خالد مصطفى قاسم، إصدار جامعة الدول العربية، القاهرة- جمهورية مصر العربية، م. ٢٠٠٧.
٢. أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بـالماوردي، دار مكتبة الحياة، ط ١، ١٩٨٦م.
٣. الاستدامة التحديات والفرص، تأليف / د. عبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٠م.
٤. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، تأليف / أ.د. عبد الرحيم محمد المغنوبي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
٥. الإسلام والبيئة، إعداد / إبراهيم علي حسن، مجلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ع (١)، القاهرة- جمهورية مصر العربية،
٦. الإسلام وحماية البيئة، إعداد / د. آمنة نصیر، مجلة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، ع (٧٦)، ١٤٢٢هـ، م. ٢٠٠١.
٧. إعلان الحق في التنمية، الأمم المتحدة، مكتب المفوض السامي، الأمم المتحدة، بدون تاريخ.

٨. الآيات والأحاديث الواردة في حماية البيئة الطبيعية وتطورها، إعداد/ بكر مصطفى طه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٣ م.
٩. الإيجابية في التربية الإسلامية، تأليف/ توحان محمد الحوراني، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٣ م.
١٠. التعريفات، للشريف علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
١١. تفسير التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٨٤ م.
١٢. التنمية المستدامة في القرآن الكريم، إعداد/ د. رحاب مصطفى كامل، مجلة البحوث للدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ع (١٦)، ٢٠١٧ م.
١٣. التنمية المستدامة في المنهج الإسلامي، إعداد/ د. مصطفى دسوقي كسبية، ملخصات بحوث المؤتمر الدولي: التنمية المستدامة في العالم الإسلامي في مواجهة تحديات العولمة، جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٨ م.
١٤. التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، تأليف/ د. سهيل زغود، وآخرون، مج (٦)، ع (١)، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٩ م.
١٥. التوازن البيئي من منظور إسلامي، إعداد/ د. أحمد حطاب، مجلة جامعة محمد الخامس، المغرب، ع (٤٦)، ١٩٩٩ م.

- ١٦ . التوقف على مهام التعريف، للإمام زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط ١ ، ١٤٤٠ هـ.
- ١٧ . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحيق، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.
- ١٨ . التقرير الختامي للمؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة، أعمال المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة، الرباط، المملكة المغربية، ٢ ، ٣ ، أكتوبر، ٢٠١٩ م.
- ١٩ . الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ٢ ، ١٣٨٤ هـ.
- ٢٠ . الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ومقوماتها ومناهجها، تأليف الدكتور أبو الحجد نوفل، مطبعة الحضارة العربية، الفجالة - القاهرة، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٣ م.
- ٢١ . دور المؤسسات الدعوية الإسلامية في التنمية البشرية، إعداد/ عاطف عبد الواحد الجاك إدريس، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم - السودان، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م.

- . ٢٢ ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، إعداد/ د. محمد عبد
- القادر الفقي، بحث مقدم للندوة العلمية الثالثة حول القيم الحضارية في  
السنة، الأمانة العامة لندوة الحديث، بدون تاريخ.
- . ٢٣ رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠).
- . ٢٤ رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠) : دراسة مرتکراها من القيم الثقافية  
والإسلامية، إعداد/ د. محمد أحمد الدش، مجلة كلية دار العلوم، جامعة  
القاهرة- جمهورية مصر العربية، ع (١٢٧)، ١٩٢٠ م.
- . ٢٥ ضوابط الانتاج في الاقتصاد الإسلامي وأثرها على الانتاج والانتاجية،  
إعداد/ خالد بن سعد المقرن، رسالة دكتوراة منشورة، كلية الشريعة، جامعة  
الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية،  
١٤٢٥هـ.
- . ٢٦ العالم الإسلامي والتنمية المستدامة: الخصوصيات والتحديات والإلتزامات،  
وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، جدة- المملكة العربية السعودية،  
خلال الفترة من (١٠-١٢ / ٦ / ٢٠٠٢م)، منشورات المنظمة الإسلامية  
للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو)، الرباط، المغرب، ٢٠٠٢م.
- . ٢٧ العريفي: رؤية ٢٠٣٠ لا تغفل الجوانب الدينية والشرعية والدعوية، صحفة  
سبق الإلكترونية، بتاريخ ٣٠ مايو / ٢٠١٧م.
- . ٢٨ العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، تأليف محمد عبد الرحمن  
بيصار، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت- لبنان، د.ط، ١٩٨٠م.

- .٢٩. عون المعبد شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح عللها ومشكلاته، تأليف أبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ٢، ١٤١٥ هـ
- .٣٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٣٧٩ هـ.
- .٣١. فلسفة التربية (رؤى تربوية إسلامية)، تأليف/ إبراهيم أحمد عمر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٩٩٢ م.
- .٣٢. اللجنة العالمية للتنمية والبيئة: مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩ م.
- .٣٣. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
- .٣٤. المبادئ الأخلاقية المتعلقة بتغير المناخ: تقارير اللجنة العالمية لأخلاقيات المعارف العلمية والتكنولوجية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) (٢٠١٠ - ٢٠١٥)، إصدار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ٢٠٢٠ م.
- .٣٥. المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثرها في الوقاية من هذه الأمراض، د. عدنان أحمد البار، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ع (١١) ١٩٩١ م.

- . ٣٦ . المدخل إلى مناهج البحث العلمي، تأليف/ د. محمد محمد القاسم، دار النهضة العربية، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٩ م.
- . ٣٧ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، د.ط، ١٩٨٧ م.
- . ٣٨ . المصطلحات الدعورية تعريفات ومفاهيم، تأليف/ د. عبد الله بن محمد الجلبي، مجلة الدراسات الدعوية، ع (١)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ه ١٤٢٩ هـ
- . ٣٩ . معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف/ د. أحمد مختار عمر، آخرون، عالم الكتب، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.
- . ٤٠ . المعجم الوسيط، إعداد/ جمع اللغة العربية، الإدارية العامة للمجمعات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤ ، ١٤١٥ هـ ٢٠٠٤ م.
- . ٤١ . معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق / عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق- سوريا، ه ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م.
- . ٤٢ . مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، تأليف/ د. عبد الله ب إبراهيم الناصر، قسم الثقافة والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ٢٠١٣ م.
- . ٤٣ . مناهج البحث العلمي تطبيقات ادارية واقتصادية، تأليف/ د. أحمد حسين الرفاعي، دار وائل للطباعة، عمان- الأردن، ط ٦ ، ٢٠٠٩ م.

٤٤. الموقع الرسمي للرؤساء:

<https://www.vision.gov.sa/ar/v2030>

٤٥. نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور

الحضاري الإسلامي، تأليف/ د. نصر محمد عارف، دار القارئ العربي،  
القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط ٢، ١٩٩٢ م.

٤٦. معوقات التنمية المستدامة في دول العالم الإسلامي، إعداد/ سمر خيري

مرسي، (المقدمة)، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي، مقومات تحقيق التنمية  
المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قملة (٣-٤ ديسمبر ٢٠١٢ م).



البحث رقم (٥)

معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام في القرآن  
ال الكريم دراسة نظرية

إعداد

د. حسن بن يحيى ظافر الشهري

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية

بكلية العلوم والدراسات الإسلامية بالدوادمي -جامعة شقراء



### ملخص البحث

يعرض هذا البحث موضوع: معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام، ويهدف إلى التعرف على مفهوم الحسبة والقصص، وإبراز أهمية دراسة معالم الحسبة في قصص موسى عليه السلام، والتعرف على أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية، واستنباط الدروس المتعلقة بالحسبة من تلك القصص.

وقد عمد الباحث إلى عرض الآيات القرآنية التي تضمنت أربعاً من قصص موسى عليه السلام من خلال المنهجين: الاستقرائي والاستباطي، وقد تكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول: قصص موسى عليه السلام الاحتسابية، والمبحث الثاني: أساليب موسى عليه السلام الاحتسابية، والمبحث الثالث: الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب.

وقد توصل البحث إلى نتائج منها: أن الاحتساب يحقق جميع أنواع الأمن - الفكري والسلوكي والمعيشي والأخلاقي، وتبيّن في البحث أهمية التطبيق العملي والتدريب الميداني في مجال الحسبة كما اتضح أن ما وضعه العلماء من شروط للاحتساب وصفات المحتسب وأدآبه، وضوابط المنكر قد تجلت في قصص موسى عليه السلام، وأن الاحتساب من أصول الدين وأسسها المتينة التي لا يقوم إلا بها، وأنه من مهام الرسل من أو لهم إلى آخرين - عليهم السلام -.

الكلمات المفتاحية: معلم، حسبة، قصص.

## Abstract

This research presents the theme of the features of Hesba in the stories of Moses (Pbuh), aims to learn about the concept of Hesba and stories, to highlight the importance of studying the features of Hesba in the stories of Moses (Pbuh), to learn about the methods of Moses (Pbuh) and to draw lessons related to the account from those stories.

The researcher presented the Qur'anic Verses, which included ٤ stories of Moses (Pbuh) through the inductive and inferstive approaches, and consisted of an introduction, three investigations and a conclusion, the first research: the stories of Moses (Pbuh) and the second: The Methods of Moses (Pbuh) and the third: Lessons learned from the stories of Moses in the field of calculation.

The research found conclusions, including that calculation achieves all kinds of intellectual, behavioral, living and moral security, and found in the research the importance of practical application and field training in the field in the field of Hesba, as it became clear that the conditions set by scientists to calculate the recipes and literature of the account, and the controls of vice were manifested in the stories of Moses (Pbuh) that the calculation of the origins of religion and its solid foundations, which he does only, and that it is the tasks of the apostles from the first to the end - peace be upon them.

**Keywords:** Landmarks, Hesba, Stories.



## المقدمة

«إن الحمد لله نحْمِدُه ونستعينُه، مَن يَهْدِه اللَّهُ فَلَا مُضْلِلٌ لَّهُ، وَمَن يَضْلِلُهُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لِّإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(١)</sup>.  
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَتَقُوَّا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ<sup>(٢)</sup>.

أما بعد:

فإن المتأمل في قصص موسى عليه السلام يلحظ أن له مواقف احتسابية قصها علينا القرآن الكريم، يمكن في هذا البحث عرض بعضها وبيان أساليب موسى عليه السلام في ذلك واستنباط الدروس المستفادة منها، ويكونتناول الموضوع من خلال المحاور الآتية:  
المحور الأول: عرض أربعاً من قصص موسى عليه السلام الاحتسابية من خلال الآيات القرآنية.

المحور الثاني: أساليب موسى عليه السلام في الاحتساب.

المحور الثالث: الدروس المستنبطة من قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

**أهمية الموضوع:**

تكمّن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

- ١- جمع الآيات القرآنية المتضمنة قصص موسى عليه السلام الاحتسابية وعرض تفسيرها.
- ٢- ضرورة معرفة أساليب الأنبياء والرسل-عليهم السلام- في مجال الاحتساب

(١) صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، كتاب الجمعة، باب تحفييف الصلاة والخطبة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ح(٨٦٨)/٥٩٣، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

والاقناء بهم امثالاً لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَإِهْدَاهُمْ﴾

(١) منها قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

٣- أهمية استنباط ما في قصص موسى عليه السلام من دروس احتسابية تغير طريق المحتسب والمحتسب عليه.

#### أسباب اختيار الموضوع:

١- اهتمام القرآن الكريم بقصص احتساب موسى عليه السلام وإبرادها بأسلوب شيق.

٢- كثرة الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر موسى عليه السلام واستعمالها على صور من احتسابه عليه.

٣- ضرورة بيان احتساب الأنبياء والرسل -عليهم السلام- والاستفادة من ذلك في حياتنا.

٤- لم أجده من تناول قصة موسى عليه السلام في مجال الحسبة بهذه الصورة.

#### أهداف البحث:

١- عرض الآيات القرآنية التي تضمنت قصص موسى عليه السلام الاحتسابية وبيان تفسير العلماء لها.

٢- بيان أساليب موسى عليه السلام في الاحتساب والإنكار.

٣- استنباط الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الحسبة وبتحليلتها للاستفادة منها.

#### تساؤلات البحث:

١- ما قصص موسى عليه السلام الاحتسابية الواردة في القرآن الكريم؟

٢- ما أهم أساليب موسى عليه السلام في مواقفه الاحتسابية؟

٣- ما الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب؟

(١) سورة الأنعام الآية (٩٠).

### حدود البحث:

نظراً لكثرة قصص موسى عليه السلام في القرآن الكريم، واشتمالها على جوانب احتسابية وهذا البحث لا يحتمل تناولها كلها فقد أكتفى الباحث بتناول أربعاً منها، وهي:

أولاً: احتساب موسى عليه السلام على القبط.

ثانياً: احتساب موسى عليه السلام في السقي للرعاء.

ثالثاً: احتساب موسى عليه السلام على بنى إسرائيل الذين عبدوا العجل.

رابعاً: إنكار موسى عليه السلام على الخضر.

### الدراسات السابقة:

من خلال البحث عن دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع لم أجده من بحثه من هذا الجانب وإنما كان تناوله في بعض المؤلفات من جوانب فقهية أو تفسير موضوعي أو بيان عقيدة ضمن موضوعات متعددة أو استنباط فوائد من قصة موسى عليه السلام ولم أحد من خص قصص موسى عليه السلام الاحتسابية بدراسة علمية متخصصة في مجال الحسبة.

**الإضافة العلمية للبحث:**

يأمل الباحث أن يعرض مواقف موسى عليه السلام الاحتسابية من خلال الآيات القرآنية، ويجلي أساليبه في مجال الاحتساب، ويستنبط الدروس الاحتسابية منها.

**تقسيمات البحث:** وقد انتظم البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس،

وقد جاءت الخطة على النحو الآتي:

### المقدمة

**المبحث الأول:** قصص موسى عليه السلام الاحتسابية.

أولاً: احتساب موسى عليه السلام على القبط.

ثانياً: احتساب موسى عليه السلام في السقي للرعاء.

ثالثاً: احتساب موسى عليه السلام على بنى إسرائيل الذين عبدوا العجل.

رابعاً: إنكار موسى عليه السلام على الخضر.

المبحث الثاني: أساليب موسى العنكبي الاحتسابية.

المبحث الثالث: الدروس المستفادة من قصص موسى العنكبي في مجال الاحتساب.  
الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.  
نوع البحث ومناهجه:

نظراً لكون البحث تأصيلي نظري، فإن المناهج التي يرى الباحث أنها تناسبه.

١- المنهج الاستقرائي: وهو: «ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة، وإجراء الدراسة عليها، بالتتبع لما يعرض لها، والاستعانة باللحظة في هذه الجزئيات المختارة، وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل تحت الدراسة»<sup>(١)</sup>، وهذا المنهج يتناسب مع الدراسات الأصولية، وهو أحد المناهج المستخدمة في العلوم الشرعية، فهو يساعد في الوصول إلى بعض القواعد أو الأصول المنهجية أو الفنية المهنية لإنجاز بعض الأعمال<sup>(٢)</sup> وعلى ذلك فاستخدام الباحث له يكون باستقراء وتبني ما ورد في القرآن الكريم من قصص موسى العنكبي الاحتسابية.

٢- المنهج الاستنباطي: هذا المنهج يستخدم في الدراسات الشرعية والقانونية، وفي غيرها «مثل بعض الدراسات المتصلة بالأساليب الدعوية الإقناعية أو الأساليب الأدبية وأساليب التعبير اللغوية وغيرها»<sup>(٣)</sup>، وهو المنهج الذي: «ينطلق من الحقائق العامة أو القواعد

(١) البحث العلمي، د. عبد العزيز الريبيعة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٧٩٠-١٧٨١، ط١، ٤١٨ هـ.

(٢) انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٧٩، ط١، ٤١٥ هـ.

(٣) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل ٧٣.

العامة المتفق عليها ذات القوة التشريعية للوصول إلى المسائل الواقعية الفرعية التي تستمد حلولها من تلك الحقائق العامة»<sup>(١)</sup>.

### تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح

الحسبة في اللغة: له عدة معان منها:

١- طلب الأجر: فنقول: فعلته حسبة، واحتسب فيه احتساباً، والاسم الحسبة، وهو الأجر<sup>(٢)</sup>. وقد قال النبي ﷺ: (من قام ليلة القدر بإيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه)<sup>(٣)</sup>.

٢- الإنكار: فيقال: احتسب فلان على فلان، أي أنكر عليه قبيح عمله<sup>(٤)</sup>.

٣- الاختبار: فيقال: احتسب فلان فلاناً، اختبره، وسبر ما عنده<sup>(٥)</sup>.

(١) قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل ٧١.

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت مادة(حسب)، ١٤١٠ هـ، ط١، ٣١٤/١، والمأمور المحيط، محمد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مادة(حسب)، ١٩٠١ هـ، ط٥، ٧٤/١.

(٣) صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الصيام، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، دار الشعب، القاهرة، حدیث رقم (١٩٠١)، ٣٣/٣، ط١، ١٤٠٧ هـ.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور، ٣١٧/١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٣١٧/١.

٤- الظن: من حَسِبْتُ أَحْسِبْ، أَيْ ظَنَتُ<sup>(١)</sup>، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ  
ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَيِّعاً وَمِثْلَهُ وَمَعَهُ لَا فَتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا  
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنُوا يَحْتَسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٥- حسن التدبير، فيقال: وإنه لحسن الحسبة في الأمر، أي: حسن التدبير والنظر  
فيه<sup>(٣)</sup>.

٦- الاعتداد، فيقال: «فلان لا يحتسب به، أي: لا يعتد به»<sup>(٤)</sup>.

**الحسبة في الاصطلاح:** وردت تعرifications عدّة للحسبة في معناها الاصطلاحي  
ومنها:

١- «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»<sup>(٥)</sup>.

٢- الحسبة: «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح  
بين الناس»<sup>(٦)</sup>.

٣- الحسبة: «عبارة عن المنع من منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقاومة

(١) انظر: المرجع السابق، ٣١٤/١.

(٢) سورة الزمر آية (٤٧).

(٣) انظر: لسان العرب ابن منظور، ٣١٦-٣١٧/١.

(٤) أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت،  
مادة (حسب)، ٨٣، بدون ذكر رقم الطبعة، ٤٠٢ هـ.

(٥) الأحكام السلطانية، علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٦٣، بدون ذكر رقم  
الطبعة، وسنة الطبع.

(٦) معالم القرية في أحكام الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، تحقيق محمد محمود شعبان،  
وصديق المطبعي، مصر، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٥١، ط١، ١٩٧٦ م.

المنكر»<sup>(١)</sup>.

٤- الحسبة: «وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»<sup>(٢)</sup>.

٥- الحسبة: «رقابة إدارية، تقوم بها الدولة، عن طريق والختص، على أفعال الأفراد وتصريفاتهم؛ لصبغها بالصبغة الإسلامية، أمراً بالمعروف، ونهيًّا عن المنكر، وفقاً لأحكام الشرع، وقواعده»<sup>(٣)</sup>.

٦- الحسبة: «ممارسة عملية الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله»<sup>(٤)</sup>، وبالمقارنة بين تلك التعريفات للحسبة، يتضح أن هناك من اشتمل تعريفه على الجانب الرسمي، والتطوعي، إلا أن هناك من اقتصر على الجانب الرسمي فقط. مما يمثل تضييقاً لمفهوم الحسبة الواسع، والشامل، كما بينه الشرع المطهر، لذا فإن أولاهما تعريف الماوريدي-يرحمه الله-لأسباب التالية:

١- شمول المحتسب الرسمي، والمتطوع.

٢- سلامية أساسه؛ لارتكازه على جوهر الحسبة، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

٣- انضباط عبارته؛ لإحاطته بكلمة الحسبة.

(١) إحياء علوم الدين، محمد الغزالى، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ٢٠٠٥/٢ ط، ١٤١٩ هـ.

(٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٣٩٨ بدون رقم الطبعة، ١٩٨٢ م.

(٣) نظام الحسبة في الإسلام، عبد العزيز بن محمد بن مرشد، رسالة ماجستير من المعهد العالي للقضاء، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٦، ١٣٩٣ هـ.

(٤) شروط المحتسب وأدابه حافظ عابد إلمي، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٠، ١٤٠٦ هـ.

٤- سلامة أسلوبه حيث استوحاه من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة<sup>(١)</sup>.

**تعريف القصص:** القَصْصُ: « فعل القاصِ إذا فَصَّ الْقِصَاصَ، والقصّة معروفة، ويقال:  
في رأسه قِصَّةٌ يعني الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ  
الْقَصَاصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ﴾<sup>(٢)</sup>، أي نُبَيِّن لك أحسن البيان، والقصّة:  
الخبر، وهو القصّاصُ، وقصّ علىٰ خبره يُفْصِّلُه قَصَّاً، وقصّاصاً أَوْرَدَه، والقصّاصُ: الخبر  
المَفْصُوصُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الحسبة-تعريفها، ومشروعيتها، ووجوهاً، فضل إلهي، باكستان، نشر إدارة ترجمان  
الإسلام، ٢٠، ط٧، ٥١٤٢٠.

(٢) سورة يوسف الآية رقم (٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور ٧٣٧-٧٤.

## المبحث الأول

### قصص موسى عليه السلام الاحتسابية في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَكَلَّا تَقْصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نُثِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحُقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قال السعدي يرحمه الله: «أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتايد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به، وجاءك في هذه السورة الحق اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس، وموعظة وذكرى للمؤمنين، أي: يتعظون به، فيتردون عن الأمور المكرهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها»<sup>(٢)</sup>، وموسى عليه السلام من يقتدي به في إنكار المنكر لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَاهُ أَقْتَدِهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَإِذَا قَاتَلُوا الْرَّجُلَةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>، وموسى عليه السلام مكنه الله في الأرض من بين بنى إسرائيل واحتاره لنفسه فكان عليه السلام يبادر في الاحتساب، وقصصه كثيرة، وقد اجتمع فيها الجانب الدعوي والاحتسابي، وسوف أقتصر على عرض أربع قصص تبرز فيها معالم الحسبة أكثر من غيرها وفيما يلي بيان ذلك:

(١) سورة هود الآية (١٢٠).

(٢) تفسير السعدي ١/٣٩٢.

(٣) سورة الأنعام (٩٠).

(٤) سورة الحج الآية (٤١).

## أولاً: احتساب موسى عليه السلام على القبطي: ظهرت في قصة احتساب موسى عليه السلام

على القبطي أركان الحسبة وبعض أساليبها ودرجات الإنكار، فالمحتسب (موسى عليه السلام) والمحتسب عليه (القبطي) والمحتسب فيه (منكر الافتخار) والوسيلة (اليد) والدرجة والأسلوب (التغيير باليد، والتوييخ)، وقد عرض الله تعالى قصة احتساب موسى عليه السلام على القبطي وخصميه إسرائيلي في قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينَ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَأَسْتَغْثَثُهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾١﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ اللَّهُ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾٢﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾٣﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَرْرَقُ بِإِذَا الَّذِي أَسْتَنْصَرَهُ وَبِالْأَمْمِينَ يَسْتَصْرُخُهُ وَقَالَ لَهُ وَمُوسَى إِنَّكَ لَغُوَّثٌ مُبِينٌ ﴾٤﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِإِلَّامِنْ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾٥﴿ (١)، قال السعدي-يرحمه الله- في تفسير الآيات: «دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار، فوجد فيها رجلين يقتتلان، أي: يتخاصمان ويتضاربان، هذا من شيعته، أي: من بني إسرائيل، وهذا من عدوه، القبط، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، لأنَّه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثه موسى عليه السلام، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغًا يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان، فوكره موسى عليه السلام، أي: وكر الذي من عدوه، استجابة لاستغاثة إسرائيلي، فقضى عليه، أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوتها موسى عليه السلام، فنَدَمَ موسى عليه السلام على

(١) سورة القصص الآيات (١٩-١٥).

ما جرى منه، وقال: هذا من عمل الشيطان، أي: من تزيينه ووسوسته، إنه عدو مضل مبين، فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلal، ثم استغفر ربه، قال: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، -خصوصاً للمختفين، المبادرين للإنابة والتوبة-، كما جرى من موسى عليه السلام: رب بما أنعمت عليّ، بالتوبة والمعفورة، والنعم الكثيرة، فلن أكون ظهيراً، أي: معيناً ومساعداً، للمجرمين، أي: لا أعين أحداً على معصية، وهذا وعد من موسى عليه السلام، بسبب منه الله عليه، أن لا يعين مجرماً، كما فعل في قتل القبطي، وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر، وما جرى منه قتل الذي هو من عدوه، أصبح في المدينة خائفاً يتربّط هل يشعر به آل فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنّه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى عليه السلام من بني إسرائيل، في بينما هو على تلك الحال، فإذا الذي استنصره بالأمس، على عدوه يستصرخه على قبطي آخر، قال له موسى عليه السلام: موحداً له على حاله، إنك لغوي مبين، أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة، فلما أن أراد أن يبطش، موسى عليه السلام، بالذي هو عدو لهما، أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسى عليه السلام، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقطبي، قال له القبطي زاحراً له عن قتله: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريـد إلا أن تكون جباراً في الأرض؛ لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق، وما تريـد أن تكون من المصلحين، وإنـما أردت الإصلاح لحلـت بيـني وبينـه من غير قتل أحد، فانـكـفـ مـوسـىـ عـلـيـهـ عـنـ قـتـلـهـ، وارـعـوـيـ لـوعـظـهـ وزـجـرـهـ، وـشـاعـ الـخـبـرـ بـماـ جـرـىـ مـوسـىـ عـلـيـهـ فـيـ هـاتـيـنـ الـقـضـيـتـيـنـ، حـتـىـ تـرـاـوـدـ مـلـأـ فـرـعـونـ، وـفـرـعـونـ عـلـىـ قـتـلـهـ، وـتـشـاـوـرـواـ عـلـىـ ذـلـكـ، وـقـيـضـ اللهـ ذـلـكـ الرـجـلـ النـاصـحـ، وـبـادـرـهـ إـلـىـ الإـخـبـارـ لـموـسـىـ عـلـيـهـ بـماـ

اجتمع عليه رأي ملئهم، فقال: .... يا موسى إن الملا يأترون، أي: يتشارون فيك، ليقتلوك فاخبر، عن المدينة، إني لك من الناصحين، فامتثل نصحيه»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: احتساب موسى عليه السلام في السقي للرعاء:

سبق في تعريف الحسبة أن من معانيها طلب الأجر، ولقد اعتاد موسى عليه السلام على فعل الخير ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف والمبادرة في ذلك لطلب الأجر من الله تعالى، ولما خرج من مصر بعد حادثة الأقباط دعا الله تعالى أن ينجيه من القوم الظالمين، والآيات الآتية: تقص علينا خروجه ووجهه وقصة احتسابه عليه في مدين، قال الله تعالى:  
**﴿فَخَرَجَ مِنْهَا حَائِقًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّلَمِينَ ﴾** <sup>(٢)</sup> **﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَمِي رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلُ ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَاتِينَ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطُبُكُمَا قَالَا تَلَاقَنَا لَا نَسْقِي حَحَّى يُصْدِرُ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَيْرٌ ﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الْقِطْلِ فَقَالَ رَبِّي إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾** <sup>(٥)</sup> **﴿فَجَاءَتُهُ إِحْدَاهُمَا تَمْسِي عَلَى أُسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيُجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَضَ عَلَيْهِ الْقَصَاصَ قَالَ لَا تَحْفَظْنِي حَجَّ حَجَّ الْأَمِينِ ﴾** <sup>(٦)</sup> **﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى أُبْنَتِي هَلَتِينَ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَّةً فَإِنْ أَتَمْمَتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُشْفَقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾** <sup>(٧)</sup> **﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَى اللَّهِ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾** <sup>(٨)</sup> (٢)، قال ابن كثير -يرحمه الله تعالى- في تفسير الآيات: «ولما توجه تلقاء مدين، أي: أخذ طريقاً سالكاً مهيناً فرح بذلك، قال: عسى ربى أن يهديني سواء

(١) تفسير السعدي - (١ / ٦١٣)

(٢) سورة القصص الآيات (٢١-٢٨)

السبيل، أي: إلى الطريق الأقوم، ففعل الله به ذلك، وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجعل هادياً مهدياً، ولما ورد ماء مدين، أي: ولما وصل إلى مدين وورد ماءها، وكان لها بئر ترده رعاء الشاء، وجد عليه أمة من الناس، أي: جماعة، يسكنون ووحد من دونهم امرأتين تذودان، أي: تفكففان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لثلا يؤذيا، فلما رأهما موسى عليه السلام، رق لهما ورحمهما، قال: ما خطبكم، أي: ما خبركم لا تردان مع هؤلاء؟، قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، وأبوناشيخ كبير، أي: فهذا الحال الملجيء لنا إلى ما ترى، فسقى لهما»<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: احتساب موسى عليه السلام علىبني إسرائيل الذين عبدوا العجل:

إن البحث عن معبد أمر فطري في الإنسان وإذا صاحب طلب المعبد جهل ضل صاحبه كما قال موسى عليه السلام لبني إسرائيل لما طلبوا أن يجعل لهم إلهًا ﴿قَالُوا يَمْوَسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ﴾<sup>(٢)</sup>، ولما كان بنو إسرائيل حديثي عهد بدین ولازال الجهل فيهم هو الغالب طلبوا ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقد بين الله ذلك الطلب وحوابه في قوله تعالى: ﴿وَجَوَرُنَا بِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمْوَسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُشَبِّهُ مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أَغْيِيكُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ فَضَّلُّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِذْ أَنْجَيْتُكُمْ مِنْ عَالِيٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي سالم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ٢٢٦، ط٢، ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٣٨)

(٣) سورة الأعراف الآيات (١٣٨)

يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحِيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١﴾<sup>(١)</sup>، قال القاسمي في تفسير الآية: «فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ هُمْ أَيْ : يواطبون على عبادتها ويلازمونها، قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْنَا إِلَهًا أَيْ : صنناً نعكف عليه كَمَا هُمْ آلهَةٌ أَيْ : أصنام يعكفون عليها، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ أَيْ : شأن الألوهية وعظمتها ، وأنه لا يستحقها إلا الله وحده، ثم قال: «إِنَّ هُؤُلَاءِ يَعْنِي عَبْدَةَ تلك التماشيل (مُتَبَّر) أَيْ : مهلك، مَّا هُمْ فِيهِ، أَيْ : من الشرك ، وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، أَيْ : عبادة الأصنام ، وإن كان قصدتهم بذلك التقرب إلى الله تعالى، فإنه كفر محض»<sup>(٢)</sup>، ثم قال: «أَيْ : موسى، مذكراً لقومه نعمه تعالى عليهم ، الموجبة لتخسيصه تعالى بالعبادة : أَغْيِرُ اللَّهَ أَغْيِنُكُمْ إِلَهًا أَيْ : أطلب لكم معبوداً»<sup>(٣)</sup>، ولما ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه وأستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، حدثت لهم فتنة السامراني فأخبر الله موسى عليه السلام بذلك قال تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضْلَلْنَا السَّامِرِيِّ﴾<sup>(٤)</sup>، ووصف الله فتنة قوم موسى عليه السلام بقوله تعالى: «وَأَخْنَدَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيَّهُمْ عِجَالًا جَسَدًا لَهُ وَخُوارٌ أَمْ يَرَوْا أَنَّهُ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَيِّلًا أَخْنَدُوهُ وَكَانُوا ظَلَمِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَعْفُرْ لَنَا لَنْكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وعاد موسى عليه السلام إلى قومه بالألوح غاضباً أسفًاً ووجد القوم قد ضلوا، وعرض الله تعالى غضب موسى عليه السلام وأسفه وغيرته على دين الله وإنكاره الشديد لذلك المنكر المتعلق

(١) سورة الأعراف الآيات (١٣٨-١٤١).

(٢) محسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، بدون ذكر دار النشر، ٢٠١٣، ط١، ٢٨٤٦، هـ ١٣٧٦.

(٣) المرجع السابق الصفحة ٢٨٤٨.

(٤) سورة طه الآية (٨٥).

(٥) سورة الأعراف الآيات (١٤٨-١٤٩).

بالتوحيد، بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ عَصَبَنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا حَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخْذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُونَ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أَمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أَسْتَضْعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِثُ بِي الْأَعْدَاءَ وَ لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد عاتب موسى الليل أخاه هارون الليل وأخذ يجره بلحيته ورأسه من شدة الغضب لدين الله، قال تعالى: ﴿قَالَ يَهُرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلَّوْا ﴾<sup>٢٦</sup> أَلَا تَتَبَعَنَ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿قَالَ يَنَّؤُمُ لَا تَأْخُذْ بِلْحَيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقِبْ قَوْلِي﴾<sup>(٢)</sup>، ثم رجع موسى الليل يحاور قومه ويبحث أسباب هذا الافتتان، يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ عَصَبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُ أَلَمْ يَعْدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًا حَسَنًا أَفَظَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ مَوْعِدِي ﴾<sup>٣٧</sup> قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَنَّهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ<sup>٤٨</sup> فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلاً جَسَداً لَهُ وَخُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ<sup>٤٩</sup> أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًا وَلَا نَفْعًا<sup>٥٠</sup> وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِنْ قَبْلٍ يَقُولُمْ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِيْهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُو أَمْرِي<sup>٥١</sup> قَالُوا لَنْ تَبْرَحْ عَلَيْهِ عَكْفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾<sup>(٣)</sup>، وبعد هذا الحوار انتقل موسى الليل إلى بحث السبب والاستفهام عن هذا المنكر الشنيع ومعرفة الدافع له لدى السامرية، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا حَطَبُكَ يَسِيرِي<sup>٥٢</sup> قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْصَةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ فَبَذَثَهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي<sup>٥٣</sup> قَالَ فَأَذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنَّ

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٠)

(٢) سورة طه الآيات (٩٤-٩٢)

(٣) سورة طه الآيات (٩١-٨٦)

تُخلِّفَهُ وَانْظُرْ إِلَيْ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحَرِقَنَهُ وَثُمَّ لَتَنْسِفَنَهُ وَفِي الْيَمِّ نَسْفًا  
إِنَّمَا إِلَلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا<sup>(١)</sup>، بعد أن عرف  
موسى عليه السلام السبب ود الواقع المنكر، عمل على إزالة ذلك المنكر من الوجود ليزول من قلوب  
القوم التي أشربت حب العجل كما قال تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبْنَا فِي قُلُوبِهِمْ  
الْعَجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، قال السعدي -يرحمه الله- في تفسير الآيات: « فعل موسى عليه السلام  
ذلك، فلو كان إلهًا، لامتنع من يريده بأذى ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل  
في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا يمكن إعادةه  
بالإحرق والسحق وذريه في اليم ونسفه، ليزول ما في قلوبهم من حبه، كما زال شخصه،  
ولأن في إيقائه محنـة؛ لأن في النفوس أقوى داع إلى الباطل، فلما تبين لهم بطلانه، أخبرهم  
من يستحق العبادة وحده لا شريك له »<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: إنكار موسى عليه السلام على الخضر: عزم موسى عليه السلام أن يذهب إلى الخضر  
ليطلب منه العلم لما أخبره الله به، حيث ذكر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين،  
عنهـ من العلم ما لم يحط به موسى عليه السلام، فأحب الذهاب إليه»<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَنَهُ  
لَا أَبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِي حُقبَةً﴾<sup>(٥)</sup>، فقرر موسى عليه السلام الذهاب إليه  
مهما كلفه الأمر، فعل، والآيات الآتية: تعرض لنا بعضاً من فصول تلك الرحلة العلمية  
العظيمة وما تخللها من مسائل علمية عملية ومواقف احتسابية قال تعالى: ﴿فَوَجَدَاهُ عَبْدًا

(١) سورة طه الآيات (٩٨-٩٥)

(٢) سورة البقرة الآيات (٩٣)

(٣) تفسير السعدي ١/١٢٥.

(٤) تفسير ابن كثير، ٥/٥١٧٣.

(٥) سورة الكهف الآية (٦٠)

مِنْ عِبَادِنَا إِاتَّيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ وَمُوسَى هَلْ أَتَيْعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعْلَمَ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحْظِ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِّي أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْظَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ حَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقْلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا سَيِّئْتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْظَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَمًا فَقَتَلَهُ وَقَالَ أَقْتَلْتُ نَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقْلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِي عُدْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْظَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ أَسْتَطَعْمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ وَقَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذِّلَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فَرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنِيبُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ (١)، آتيناه رحمة من عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله، وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى عليه السلام، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً في العلوم الإيمانية، والأصولية؛ لأنّه من أولي العزم من الرسل، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى عليه السلام قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبته: هل أتبعدك على أن تعلم ما علمت رشدًا؟ أي: هل أتبعدك على أن تعلمني ما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدى، وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ وكان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام، فقال

(١) سورة الكهف الآيات (٦٥-٧٨)

الحضر موسى: لا أمتتنع من ذلك؛ ولكنك لن تستطيع معي صبراً، أي: لا تقدر على اتباعي وملازمي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك، وهذا قال: وكيف تصبر على ما لم تحظ به خبراً؟! أي: كيف تصبر على أمر، ما أحظت بياضه وظاهره ولا علمت المقصود منه وما له؟.

فقال موسى عليه السلام: ستحذني إن شاء الله صابراً، ولا أعصي لك أمراً، وهذا عزم منه، قبل أن يوجد شيء الممتحن به، والعزم شيء، وجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر.

فحينئذ قال له الحضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرأً أي: لا تبتئني بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقيه على حقيقة الأمر.

فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها! أي: اقتلع الحضر منها لوحاً، وكان له مقصود في ذلك، سببته، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، وهذا قال موسى عليه السلام: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً، أي: عظيماً شيئاً، وهذا من عدم صبره عليه السلام، فقال له الحضر: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً، أي: فوق كما أخبرتك، وكان هذا من موسى عليه السلام نسياناً فقال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً، أي: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والغدر منه، وأنه ما ينبغي أيها الحضر الشدة عليه، فسمح عنه الحضر، فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً، أي: صغيراً، فقتله الحضر، قال موسى عليه السلام: أقتلت نفساً زكية بغیر نفس لقد جئت شيئاً نكراً، وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحداً؟! وكانت الأولى من موسى عليه السلام نسياناً، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر، فقال له الحضر: معاوباً ومذكراً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟!، فقال موسى عليه السلام: إن

سألتك عن شيء بعد هذه المرة ، فلا تصاحبني، أي: فأنت معذور بذلك، ويترك صحبي، قد بلغت من لدني عذرًا، أي: أعتذر مني، ولم تقصـر، فانطلقا حتى إذا أتـيا أهل قرية استطعـما أهـلها، أي: استضافـهم، فلم يضـيفـوهـما، فوجـداـ فيها جـدارـاـ يريدـ أن ينـقضـ، أي: قد عـابـ واستـهـدـهـمـ، فأقامـهـ الخـضرـ، أي: بـناـهـ وأعادـهـ جـديـداـ، فقال موسى عليه السلام: لو شـئـتـ لـاخـذـتـ عـلـيـهـ أـجـراـ؟، أي: أـهـلـ هـذـهـ الـقـرـيـةـ، لمـ يـضـيفـونـاـ معـ وجـوبـ ذلكـ عـلـيـهـمـ، وـأـنـتـ تـبـنيـهـ منـ دونـ أـجـرـةـ؟!، وـأـنـتـ تـقـدرـ عـلـيـهـاـ؟<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سعير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١١/١١، ٥١٤٢٣، ٢٠٠٣ م، وتفسير ابن كثير، ١٧٦/٥، وجامع البيان في تأویل القرآن، محمد بن حمـير الطبرـيـ، تحقيقـ: أـحمدـ مـحـمـدـ شـاـكـرـ، مؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ، ٦٢/١٨ـ، طـ ١ـ، ١٤٢٠ـ هــ، وانـظـرـ: الدرـ المـشـورـ فيـ التـفـسـيرـ بـالـمـأـثـورـ، للـإـمامـ جـالـ الدـينـ السـيـوطـيـ، طـ دـارـ الفـكـرـ، بيـرـوـتـ، ١٨٣/١٠ـ، ١٩٩٣ـ مــ، وانـظـرـ: تـفسـيرـ السـعـديـ، ٤٨٢/١ـ.

## المبحث الثاني: أساليب موسى الطهارة الاحتسابية

### تعريف الأسلوب في اللغة والاصطلاح

الأسلوب في اللغة: «الأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، والفن، والأسلوب بالضم: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه، ويجمع أساليب، وهي: الفنون المختلفة»<sup>(١)</sup>.

الأسلوب في الاصطلاح: هو «الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، و اختيار ألفاظه»<sup>(٢)</sup>، وقيل: «عرض ما يراد عرضه من معان، وأفكار، وقضايا، في عبارات، وجمل مختارة؛ لتناسب فكر المخاطبين، وأحوالهم، وما يجب لكل مقام من المقال»<sup>(٣)</sup>.

وقد استعمل موسى الطهارة أساليب عدة منها:

**أولاً: أسلوب الحكم والموعظة الحسنة:** تستعمل الحكم بمعنى: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، وأحكم الأمر فاستحکم ومنعه عن الفساد<sup>(٤)</sup>.  
قال أبو بكر بن دريد-يرحمه الله-: «كل كلمة وعظتك، وزجرتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح، فهي حكمة»<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة(سلب) ٤٧٣/١.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٣٠٣/٢، ط، ٣، بدون ذكر سنة الطبع.

(٣) المرأة المسلمة المعاصرة، لأحمد أبا بطين، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ٥٢٣، ط، ٢، ٥١٤١٢.

(٤) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، ١٤١٥، وختار الصحاح، للرازي (مادة حكم) ٦٢.

(٥) جمهرة اللغة، لأبي بكر بن دريد، ٢٩٣.

وقال الإمام النووي-يرحمه الله-الحكمة: «عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله-تعالى-المصحوب بنفاذ البصيرة، وتحذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك»<sup>(١)</sup>.

وقد تجلت حكمة موسى عليه السلام في كثرة استفهماته قبل احتسابه كما ورد ذلك في الآيات السابقة حين استفهم عن سبب ذود الرعا الغنم عن الماء، وسؤاله الخضر عن سبب قتل الغلام، وحرق السفينية وإقامة الجدار بلا أجرة، وغير ذلك.

### ثانياً: أسلوب الحوار والمجادلة بالتالي هي أحسن:

المراد بالحوار في اللغة: «مصدر حاوره إذا راجعه في الكلام، وجاؤه»<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّلَكَ رَجُلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

الجدال والمجادلة: «المفاؤضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله: من جدلت الحبل: إذا أحكمت فتلها»<sup>(٤)</sup>.

ويراد بالحوار، والجدال في الاصطلاح: «مناقشة بين طرفين، أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجج، وإثبات حق، ودفع شهادة، ورد الفاسد من القول، والرأي»<sup>(٥)</sup>.

(١) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم /١٣٣١.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة(حور)، ٤/٢١٧.

(٣) سورة الكهف الآية (٣٧).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ٢٨/١٩٤.

(٥) التعريفات للحرجاني، مادة(جدل)، ١٠٠، وانظر: أصول الحوار وأدابه في الإسلام، للشيخ صالح بن حميد، دار المنارة، جدة، ٦، ط١، هـ ١٤١٥.

حيث إن من أسباب فعل المنكر، وترك المعروف: الخطأ، والجهل، والشهوة، والشبهة، واتباع الموى، والكبير، والعناد، فموسى عليه السلام استعمل أسلوب الحوار، والجادلة والتي هي أحسن، حتى يتصوّب المخطئ، ويعلم الجاهل، ويجلّي الحق لصاحب الشبهة، ويقيّم الحجة على المعاند، لعلمه عليه السلام أن الحوار من أنجح الأساليب في مجال الاحتساب، وقد اعتمد موسى عليه السلام في حواراته على الاستفهام بأنواعه ويتضح ذلك جلياً من الآيات الآتية: استعمل موسى عليه السلام أسلوب الاستفهام في الاحتساب لطلب الأجر كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا  
وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ الْأَنَامِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّرَائِينَ تَذُودَانِ قَالَ  
مَا حَظِبُكُمْ كَمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبْوَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾<sup>(١)</sup>، واستعمل الاستفهام للإنكار على بني إسرائيل حين طلبوا الإله ليعبدوه تقرباً إلى الله تعالى: ﴿ قَالَ أَغَيْرُ اللَّهِ  
أَبْغِيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>

كما استعمله عليه السلام لبحث سبب القول المنكر من قومه، قال عليه السلام: ﴿ أَعْجِلُّتُمْ أَمْرَ  
رَبِّكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>، ومعرفة السبب الذي منع أخاه هارون من اتباعه حين ضل القوم ﴿ قَالَ  
يَهُرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ أَلَا تَتَبَعِّنَ أَفْعَصِيَّتَ أَمْرِي ﴾<sup>(٥)</sup>، واستعمل الاستفهام عن سبب إخلاف القوم وعد الله تعالى وسيب ذلك: ﴿ قَالَ يَقُولُ أَلَمْ  
يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ  
مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي ﴾<sup>(٦)</sup>، كما استعمل عليه السلام الاستفهام في الإنكار على السامي وسبب ذلك المنكر الكبير والحرم العظيم الذي ارتكبه، ﴿ قَالَ فَمَا حَظِبْكَ

(١) سورة القصص الآية (٢٣).

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٤٠ - ١٤١).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥٠).

(٤) سورة طه الآيات (٩٣ - ٩٤).

(٥) سورة طه الآية (٨٦).

يَسِيرٌ<sup>(١)</sup>، واستعمل المعنى الاستفهام مع الخضر فَقَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكَرًا<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَحْذَثَ عَلَيْهِ أَجْرًا<sup>(٤)</sup>.

**ثالثاً:** أسلوب التعرف على المحتسب فيه: لقد ظهر أسلوب التعرف على المحتسب فيه في احتساب موسى المعنى كما في قوله تعالى: فَقَالَ مَا حَطَبُكُمَا قَاتَلَا لَا سَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الْرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَيْرٌ<sup>(٥)</sup>، قوله تعالى: فَقَالَ فَمَا حَطَبُكَ يَسِيرٌ<sup>(٦)</sup> وقوله عزوجل: فَقَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا<sup>(٧)</sup>، قوله سبحانه: فَقَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكَرًا<sup>(٨)</sup>، قوله تعالى: فَقَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَحْذَثَ عَلَيْهِ أَجْرًا<sup>(٩)</sup>.

**رابعاً:** أسلوب التعريف والتعليم: ويقصد بهما تعريف المحتسب عليه، وتعليمه الحكم الشرعي لما ارتكب من منكر، وبيان فضل ما ترك من معروف، فقد يكون جاهلاً، أو ناسياً، وقد تخلى ذلك في احتساب موسى المعنى قال تعالى: فَقَالَ فَأَذْهَبْ فِإِنَّ لَكَ فِي

(١) سورة طه الآية (٩٥).

(٢) سورة الكهف الآية (٧١).

(٣) سورة الكهف الآية (٧٤).

(٤) سورة الكهف الآية (٧٧).

(٥) سورة القصص الآية (٢٣).

(٦) سورة طه الآية (٩٥).

(٧) سورة الكهف الآية (٧١).

(٨) سورة الكهف الآية (٧٤).

(٩) سورة الكهف الآية (٧٧).

الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ  
عَاكِفًا لَتَحْرِيقَتَهُ وَثُمَّ لَتَنْسِفَتَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا<sup>(١)</sup>.

**خامساً:** أسلوب الترغيب والترهيب من الله تعالى: يظهر استعمال هذه الأساليب من قوله تعالى: «فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضِبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُمْ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ  
وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
فَأَخْلَفْتُمُ مَوْعِدِي»<sup>(٢)</sup>، «فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ غَضِبًا أَسْفًا، أَيْ: مُتَنَلِّي  
غَيْظًا وَحَنْقًا وَغَمًا، قَالَ: لَهُمْ مُوْجَحًا وَمَقْبَحًا لِفَعْلِهِمْ: يَا قَوْمَ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا،  
وَذَلِكَ بِإِنْزَالِ التُّورَةِ»<sup>(٣)</sup>.

**سادساً:** أسلوب الغلظة في القول: لقد استعمل موسى عليه السلام هذا الأسلوب مع الإسرائيли الذي تسبب في قتل موسى عليه السلام للقطبي واستعمله مع قومه عندما عبدوا العجل، ويتبين ذلك من قوله تعالى: «فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ حَابِقًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي أُسْتَنْصَرَهُ وَ  
بِالْأَمْمِ يَسْتَصْرِخُهُ وَقَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ»<sup>(٤)</sup>، وقوله عز وجل: «قَالَ إِنَّكُمْ  
قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»<sup>(٥)</sup>، وقوله سبحانه «فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضِبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُمْ أَلَمْ  
يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ  
مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ مَوْعِدِي»<sup>(٦)</sup>، «فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ غَضِبًا أَسْفًا، أَيْ:

(١) سورة طه الآيات (٩٨-٩٧).

(٢) سورة طه الآية (٨٦).

(٣) تفسير السعدي (١١ / ٥١١).

(٤) سورة القصص الآية (١٨).

(٥) سورة الأعراف الآية (١٣٨).

(٦) سورة طه الآية (٨٦).

متلئ غيضاً وحنقاً وغماً، قال لهم موجحاً ومقبحاً لفعلهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ، وذلك بإنزال التوراة»<sup>(١)</sup>

**سابعاً: أسلوب المبادرة:** تخلّي استعمال موسى عليه السلام أسلوب المبادرة بالاحتساب في دفع القبطي الذي تقاتل مع الإسرائيли ويتصحّر ذلك من قوله تعالى: «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينَ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَثَهُ اللَّهُذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُو مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُو عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ<sup>(٢)</sup>»، قوله تعالى: «فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الظَّلَلِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقَيْرٌ<sup>(٣)</sup>».

**ثامناً: أسلوب العفو:** وقد استعمل موسى عليه السلام أسلوب العفو مع القبطي الذي قاتل الإسرائيли للمرة الثانية لما استعطفه وطلب العفو منه كما في قوله تعالى: «فَلَمَّا آتَى أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ<sup>(٤)</sup> إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ<sup>(٥)</sup>»، وعفوه عليه السلام عن أخيه هارون عليه السلام وطلب العفو له من ربها، وقد بين الله ذلك في قوله تعالى: «وَالْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أَمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أَسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِثْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّلِيمِينَ<sup>(٦)</sup> قَالَ رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلَا خَيْرَ وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ<sup>(٧)</sup>».

(١) تفسير السعدي (١/٥١١).

(٢) سورة القصص الآية (١٥).

(٣) سورة القصص الآية (٢٤).

(٤) سورة القصص الآية (١٩).

(٥) سورة الأعراف الآيات (٥٠-٥١).

تاسعاً: **أسلوب التهديد والتخويف:** وهذا الأسلوب آخر اجراء يمارسه المحتسب؛

لنعي مرتكب المنكر باللسان وبليه الاحتساب باليدي، وإيقاع الفعل، فيقال له: إن لم تنته لأضربيك، أو لأوذينك، أو لأنحرن بك السلطات لتسحبك، وتعاقبك على فعلك، وينبغي أن يكون هذا التهديد والتخويف في حدود المعقول عقلاً، وشرعًا، ونظاماً<sup>(١)</sup>، وقد استعمل موسى عليه السلام هذا الأسلوب، كما فعل مع القبطي حيث إن كلامه يوحى بتهديد موسى عليه السلام له وأنه خاف منه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَى أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

عاشرًا: **أسلوب التغيير باليدي:** وقد استعمل موسى عليه السلام هذا الأسلوب في أكثر من موضع من احتسابه عليه السلام، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لِثَرِيقَتِهِ ثُمَّ لَتَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾<sup>(٣)</sup>، وعندما سقى للرعاء كما في قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الْقِلْلِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وعند عتابه لأخيه هارون عليه السلام كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخْدَى بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أُسْتَضْعَفُونِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الأمة، لعبد العزيز المسعود، ١/٥٢٥-٥٢٦.

(٢) سورة القصص الآية (١٩).

(٣) سورة طه الآية (٩٧).

(٤) سورة القصص الآية (٢٤).

(٥) سورة الأعراف الآية (١٥٠).

### المبحث الثالث

#### الدروس المستفادة من قصص موسى عليه السلام في مجال الاحتساب

- ١- تخلی في احتساب موسى عليه السلام تطبيق درجات إنكار المنكر وهي: الإنكار بالقلب والإنكار باللسان والتغيير باليد، كما ظهرت أركان الحسبة جليه في قصص موسى عليه السلام الاحتساوية، وهي: المحتسب-وآدابه، والمحتسب عليه، والاحتساب ذاته- ودرجاته، ما يجعل قصص موسى عليه السلام سراجاً منيراً يُستضاء به في مجال الحسبة.
- ٢- تخلی في قصص موسى عليه السلام أهمية طلب العلم والاستزادة للمحتسب والذي يعد من أهم صفات المحتسب، قال الشيخ السعدي -يرحمه الله تعالى: «في هذه القصة العجيبة الخلية، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثیر، فمنها: فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أھم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طولية، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم»<sup>(١)</sup>، ومن الأمور المعلومة المقررة، أن من حالات الاحتساب أن يكون الاحتساب بالتعليم، وخاصة لمن يرتكب المنكر أو يقع فيه جاهلاً، وإن جهالة المحتسب فيما يأمر به، أو ينهى عنه، قد توقعه في الخطأ.
- ٣- تبين من قصة موسى عليه السلام صفة القوة والأمانة كما في قوله تعالى ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَتِ أُسْتَئْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَئْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾<sup>(٢)</sup>، وهي من أهم صفات المحتسب.
- ٤- يستفاد من قصص موسى عليه السلام تعنى الفرضية العينية على من تفرد بالعلم بموجب الحسبة، كما فعل عليه السلام مع القبطي والسمعي للرعاء، وانحصر القدرة فيه عليه السلام.

(١) تفسير السعدي (٤٨٢ / ١) وانظر: تفسير القرطبي (١١ / ١١).

(٢) سورة القصص الآية (٢٦).

٥- تبين من قصص موسى عليه السلام وجوب التغيير باليد لمن توفرت فيه شروط ذلك، كما في قول الله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَيْ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحَرِقَنَّهُ وَلَمْ  
أَنْسِقَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾<sup>(١)</sup>.

٦- تجلت في قصص موسى عليه السلام صفة المحتسب المثالي وهي: الشفقة والرحمة كما في قوله تعالى ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾<sup>(٢)</sup> ، قال ابن كثير -يرحمه الله تعالى- في تفسيره: «فَلَمَّا رَأَاهَا  
موسى عليه السلام، رق لهما ورحمهما، قال: ما خطبكم؟، أي: ما حبركم لا ترдан مع هؤلاء؟،  
قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، وأبونا  
شيخ كبير، أي: فهذا الحال الملجيء لنا إلى ما ترى، فسقى لهما»<sup>(٣)</sup>.

٧- يستفاد من قصص موسى عليه السلام ضرورة توقف المحتسب إذا دُرِّج بالله أو تبين له سبب مقنع في ظهور ما ينكره، كما فعل موسى عليه السلام مع القبطي الثاني، ومع أخيه هارون عليه السلام .

٨- من أهم صفات المحتسب التثبت وعدم الأخذ بالظنون وقد ظهرت تلك الصفة في قصص موسى عليه السلام بين ذلك كثرة استفهماته عليه السلام قبل أن يباشر الاحتساب من أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا حَطَبُكَ يَسَّمِرِي﴾<sup>(٤)</sup> ، قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَقْتَلْتَ  
نَفْسًا رَكِيهًّا بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكَرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

٩- يستفاد من قصص موسى عليه السلام أهمية التعلم بالتطبيق العملي في حياة المحتسب قبل أن يمارس العمل في الميدان، حيث طلب موسى عليه السلام من الخضر أن يعلمه، فعلمه بالتطبيق

(١) سورة طه الآية (٩٧).

(٢) سورة القصص الآية (٢٤).

(٣) تفسير ابن كثير، ٦/٢٢٦.

(٤) سورة طه الآية (٩٥).

(٥) سورة الكهف الآية (٧٤).

العملي دون شرح نظري، كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ وَمُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾٦٦ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا ﴾٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحْكُمْ بِهِ خُبْرًا ﴾٦٨ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾٦٩ ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي قَلَّا تَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾١٠﴾.

١٠- أهمية اعتبار مالات الأمور في مجال الاحتساب إذا علم المحتسب ذلك، أو غالب على ظنه حصول المال المتوقع، ويوضح ذلك من حرق الخضر القليل للسفينة وقتله الغلام وإقامة الجدار لما يعلم من الملالات المناسبة لذلك.

١١- يستفاد من قصص موسى القليل أن المحتسب يختلف عن القاضي بكون المحتسب ينبغي أن يبادر ولو لم يستعدى، أما القاضي فيلزم أن يستعدى إليه ولا يبادر، كما ظهر ذلك في سقيه القليل للرعا، والإإنكار على بنى إسرائيل وإنكاره القليل على الخضر، وافساد الخضر للسفينة دون طلب أصحابها، وقتله الغلام دون طلب والديه، وإقامة الجدار دون طلب اليتيمين.

١٢- يستفاد من قصص موسى القليل أهمية الحوار وضرورة تفعيله في مجال الاحتساب وعدم أخذ المحتسب عليه دون ثبت وتعريف، ويوضح ذلك من كثرة حوارات موسى القليل واستفهاماته، مع الخضر القليل والرعا وسامري وهارون القليل وبني إسرائيل.

١٣- من ثمرات الاحتساب أنه يحقق الأمن الاجتماعي والفكري والسلوكي والأخلاقي والمعيشي ويظهر ذلك جلياً في احتساب موسى القليل على السقي للرعا حيث نتج بسببه أن أمن موسى القليل من القوم الظالمين، ووجد المأوى والعمل الوظيفي والزوجة، قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ أَسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْرِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخْفَضْ تَحْجُوتْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

(١) سورة الكهف الآيات (٦٦-٧٠).

٤٥) قَالَتْ إِحْدَيْهِمَا يَأَبِيتْ أُسْتَعِجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ أُسْتَعِجِرْتُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ٦٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتِي هَتَّيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَاجٌ فَإِنْ أَتَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُشْقَى عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْصَّالِحِينَ ٦٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيْمَانًا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُذْوَانَ عَلَىٰ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ١١).

والاحتساب يحمي من الانحراف الفكري بسبب الشبه، فقد قال قوم موسى عليه السلام له أجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة فمنعهم، وانطلت عليهم شبهة السامري بعبادة العجل، فأزاله موسى عليه السلام وبين لهم الحق في ذلك.

٤- تجلت أهمية التحليل بصفة الصبر للمحتسب وضرورة تمالك الأعصاب وتحمل الغيرة على الدين التي قد تفقد المسلم صوابه أحياناً، ولا تدفعه شدة كره المنكر إلى الوقوع في منكر أكبر، وقد ظهرت تلك الأهمية في اشتراط الخضر على موسى عليه السلام الصبر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ وَمُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا ٦٧﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحْظَ بِهِ خُبْرًا ٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٩﴿ قَالَ فَإِنِّي أَتَبَعْتُنِي فَلَا تَسْلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذَكْرًا ٢﴾ (٢)، لكن حرص موسى عليه السلام وصلاحه وطهارة نفسه وحبه للخير وشفقته على الغير وكراهة المنكر سبب في مجانته تحمل الموقف، وقد كان موسى عليه السلام يتحمل أقصى الأذى من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ لِمَ تُؤْذُنَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا رَأَوْا أَزْاغَ اللَّهُ فُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٣﴾ (٣)، ويصعب عليه عليه السلام تحمل رؤية المنكر يمارس، قال رسول الله عليه السلام: «رحم الله موسى لقد

(١) سورة القصص الآيات (٢٨-٢١).

(٢) سورة الكهف الآيات (٧٠-٦٦).

(٣) سورة الصاف الآية (٥).

أوذى بأكثر من هذا فصبر»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما»<sup>(٢)</sup>.

١٥ - ضرورة صبر المحتسب في مجال طلب العلم ولا يستغرب من العالم بعض التصرفات التي قد تختلف ما عنده من العلم حتى يعرف سبب ذلك؛ لأن العالم قد يفعل أو يقول مالا يراه المحتسب مناسباً لمصلحة يعرفها العالم، كما فعل الخضر مع الغلام وخرق السفينة وبناء الجدار.



(١) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب من أخир صاحبه بما يقال فيه، ح ٣١٥٠، ٨/٢٢.

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم، باب ما يستحب للعلم إذا سئل أى: الناس أعلم فيكل العلم إلى الله تعالى، ح ١٢٢، ٤٢/١٠.

## الخاتمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظمته سلطانه أحمده على ما من به على من نعم عظيمة لا تخص ولا تعد، ووفقني وأعانتي على إتمام هذا البحث العلمي المتواضع الذي أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وذخرأ لي ولوالدي وجميع من علموني ولكل من أعايني على إتمامه يوم لا ينفع مال ولا بنون.

أما بعد:

فقد خلص هذا البحث إلى النتائج والتوصيات والمقررات التالية:  
**أبرز النتائج:**

- ١- تبين أن قصص موسى عليه السلام كثيرة، وكل قصة تختلف عن غيرها.
- ٢- أبرز البحث كبير اهتمام القرآن الكريم بقصص موسى عليه السلام.
- ٣- تجلت في هذا البحث كثير من الدروس الاحتسابية الواردة في قصص موسى عليه السلام التي تناولها البحث.
- ٤- أبرز البحث أن الاحتساب من مهام الرسل -عليهم السلام- ومن أصول الدين وأسس المبنية التي لا يقوم إلا بها.
- ٥- تبين أن إتلاف موسى عليه السلام للعجل أثر صلاح حالبني إسرائيل في الدين والدنيا حيث قضاء على الشرك بذلك.
- ٦- بين البحث أن ما وضعه العلماء من شروط للاحتساب وصفات المحتسب وضوابط المنكر قد تجلت في قصص موسى عليه السلام.
- ٧- تبين في البحث أهمية التطبيق العملي والتدريب الميداني في مجال الحسبة، كما فعل الخضر في تعليم موسى -عليهما السلام-.
- ٨- تجلّى في البحث أن الاحتساب يحقق جميع أنواع الأمان -الفكري والسلوكي والمعيشي والأخلاقي وغيرها..

- ٩- تحلی في البحث أن بعض المصالح ظاهرها منكر، فعلی المحتسب أن يتثبت  
ويتحلی بصفة الحکمة.
- ١٠- تبین في البحث ضرورة وجود محتسبین في المجتمع؛ لأن ذلك أمان من الانحراف  
ومنع لظهور المنکرات.
- أبرز التوصيات: يوصي الباحث:**
- ١- بتناول قصص الأنبياء-عليهم السلام- بالبحث والدراسة في مجال الحسبة.
  - ٢- بالتركيز على تعلم أساليب الرسل-عليهم السلام- في مجال الحسبة.
  - ٣- بالحرص على استنباط الدروس الاحتسافية من قصص الرسل-عليهم السلام-
  - في القرآن الكريم وإفاده الناس بها؛ ليتوارث الأجيال ثقافة التواصي بالحق.
  - ٤- يوصي بضرورة تدريب المحتسب عملياً وملازمته لمتمرس في ميدان الحسبة.

**أبرز المقترنات:**

- ١- يقترح الباحث تناول جميع قصص موسى <sup>عليه السلام</sup> بالدراسة في جانب الحسبة.
- ٢- يقترح تخصيص دروس ومحاضرات وندوات ودورات تدريبية تتناول بيان الحسبة في  
قصص الأنبياء-عليهم السلام- عامة وفي قصص موسى <sup>عليه السلام</sup> خاصة؛ لأنها ثرية بما يعين  
على الاحتساب في جميع المواقف ولجميع المسلمين.
- ٣- يقترح إعداد دراسة علمية في موضوع احتساب الرسل-عليهم السلام-.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلی الله وسلم على سید المرسلین وعلى آله  
وأصحابه أجمعین.

## فهرس المصادر والمراجع

١. أثر الأمر بالمعروف والنهي في حفظ الأمة، لعبد العزيز المسعود، دار الوطن، ط ١٤١٣ هـ.
٢. الأحكام السلطانية، لعلي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة، وسنة الطبع.
٣. إحياء علوم الدين، محمد الغزالى، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، بدون رقم الطبعة، ١٤١٩ هـ.
٤. أساس البلاغة، محمود الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة، ١٤٠٢ هـ.
٥. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، للشيخ صالح بن حميد، دار المنارة، جدة، ط ١، ١٤١٥ هـ.
٦. البحث العلمي، د. عبد العزيز الريبيعة، مكتبة الملك فهد، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق مجموعة من الحققين، دار الهداية، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.
٨. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٢ هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سالم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ.
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن سعدي، تحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
١١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبرى، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

١٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.
١٣. جمهرة اللغة، محمد بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملائين، ط١، ١٩٨٧م.
١٤. الحسبة-تعريفها، ومشروعاتها، ووجوهاها، فضل إلهي، باكستان، نشر إدارة ترجمان الإسلام، ط٧، ١٤٢٠هـ.
١٥. الدر المنشور في التفسير بالتأثر، للإمام جلال الدين السيوطي، ط، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م.
١٦. شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
١٧. شروط المحتسب وأدابه حافظ عابد إلهي، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٦هـ.
١٨. صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغاء، كتاب الصيام، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٩. القاموس الحيط محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٦هـ.
٢٠. قواعد أساسية في البحث العلمي، د. سعيد إسماعيل صيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢١. لسان العرب، محمد بن منظور، دار صادر، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٢. محسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تعليق، الشيخ فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

٢٣. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي تحقيق: محمود خاطر،  
مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، بدون ذكر رقم الطبعة، هـ ١٤١٥.
٢٤. المرأة المسلمة المعاصرة، لأحمد أبا بطين، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع،  
الرياض، ط ٢٢، هـ ١٤١٢.
٢٥. معالم القرية في أحكام الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، تحقيق محمد  
محمود شعبان، وصديق المطيعي، مصر، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
ط ١٩٧٦، م ١٩٧٦.
٢٦. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت،  
بدون رقم الطبعة، م ١٩٨٢.
٢٧. مناهل العرفان في علوم القرآن، لحمد الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي  
وشركاه، ط ٣، بدون ذكر سنة الطبع.
٢٨. نظام الحسبة في الإسلام، لعبد العزيز بن محمد بن مرشد، رسالة ماجستير من  
المعهد العالي للقضاء، في جامعة الإمام، هـ ١٣٩٣.

البحث رقم (٦)

## معالجات التطرف في السنة النبوية

د. سعد بن عبيد الرفدي

الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية  
بكلية التربية – جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز.



## الملخص:

التَّطْرُف آفة مستشرية في المجتمعات قديماً وحديثاً؛ لذا كان محل معالجات شريعة الله تعالى التي بعث بها أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وختارهم محمد ﷺ، وقد حذر نبينا محمد ﷺ من التَّطْرُف بأقواله وأفعاله - كما سيأتي معنا في هذا البحث إن شاء الله تعالى - ، وأرشد ﷺ إلى الطريق الصَّواب في الأقوال والأعمال حتى لا يقع الإنسان في التَّطْرُف والغلوّ، ويكون ذلك سجنة للمجتمعات والأفراد.

وبما أنَّ التَّطْرُف في زماننا المعاصر أضحم وأكثر اتساعاً، وأصحابه أكثر جرأة - سواء المتشددون أو المتساهلون -؛ لذا تم العمل في هذا البحث على جمع طائفة من النصوص الحديبية الشريفة التي عالجت التطرف بنوعيه، وحصل التركيز على المعالجات من خلال مطالب أربعة: هي وأد الأفكار غير السليمة، والتنييمات النبوية على دوافع التطرف والتحذير منها، والتحذير من تقليد الأمم الأخرى في الدين والأخلاق، والتوجيهات النبوية الشريفة الآخذة بالتبسيير المنضبط.

وقد تمت الدراسة على أساس الشرح الموضوعي للأحاديث الشريفة المنتقاة لهذه الموضوعات، مع تحليل مضامينها، وذكر مقاصدها في تشخيص الإشكالية ثم المعالجة قدر الإمكان، ثم ختمت الدراسة بطائفة من النتائج والتوصيات تم تضمينها في الخاتمة.

## المقدمة

ولأن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هي الخاتمة، فإن تلك المعالجات - كما هو أيضاً حال الشريعة كلها - صالحة لكل الأوقات والأزمان، ابتداء من وقت البعثة إلى أن يأتي أمر الله، فالله سبحانه وتعالى ﴿يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْحَمِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ومن خلقه ذلك الإنسان الذي يتجاذبه الخير والشر، والانضباط والتفلت. ولأن الاستقامة لا تتحقق إلا مع الخيرة والانضباط الشرعي والاستمساك بشرعية الله تعالى، ونبذ الهوى، والتحرز من نرغات الشيطان؛ لذا حفلت النصوص الشرعية بالتوجيهات الكريمة الموجّه والآمرة والنافية والزاجرة والمرغبة، ليبقى الإنسان المسلم في حالة من التوازن والاعتدال بعون الله تعالى.

والبحث الذي أقصد إلى تحريره يتذكر على نوع معين من حالات الإنسان وهو (التطرف) الذي أجد التعريفات تحصره في جانب الغلو والتشدد، مع أن اللغة العربية تعطيه مدلولاً أوسع من ذلك كما سيأتي في التعريف بعد قليل.

كما أن التناول المعاصر للتطرف يتوجه في معظمها إلى الغلو والتشدد، وهذا في الواقع أحد الطرفين، أما الطرف الآخر فهو الإفراط والتساهل، وهو تطرف أيضاً، فيحصل بذلك أن (التطرف) بالمنظور الشمولي له يعني الخروج عن الاستقامة وحد الاعتدال، وأخص الاعتدال الشرعي فيما يخص قضايا الدين ومسائله.

وهذا هو المفهوم الذي سأعتمد في إجراء الدراسة الموضوعية على طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة المعالجة لمظاهر التطرف والانحراف تشديداً أو تساهلاً، بعون الله تعالى.

### الأهمية وأسباب الاختيار:

تكمّن الأهمية وأسباب الاختيار في الآتي:

- ١ - المرجعية الشرعية لنصوص السنة المشرفة، وبما أنها مبنية للقرآن الكريم وشارحة له، فإن معالجاتها صالحة لكل زمان ومكان.

٢- شمول المعالجات النبوية للجانبين: الوقائي والعلاجي، والتزامهما يعني السلامة من الإشكالات الحاضرة في عهد النبوة، وما يأتي بعد ذلك.

٣- تناولت المعالجات النبوية إشكالات: عبادية، وسلوكية وفُكرية وعلمية، وهذا ملحوظ شمولي آخر للمعالجات النبوية، وينبغي الاستفادة منه عند تصدي العلماء والمصلحين لمعالجة الإشكالات المستجدة.

٤- الرغبة الذاتية للباحث في إجراء دراسة موضوعية تحليلية للنصوص الحديبية ذات الصلة بمعالجات التطرف.

٥- الإسهام بإضافة عمل علمي للمكتبة الإسلامية.  
**تساؤلات البحث:**

التساؤل الرئيس للبحث هو: كيف كانت المعالجات النبوية للتطرف الفكري؟ ويتفرع عنه التساؤلات التالية:

- (أ) ما المعالجات النبوية لوأد الأفكار غير السليمة؟
- (ب) ما دوافع التطرف التي نبهت إليها السنة النبوية وحضرت منها؟
- (ت) ما موقف السنة النبوية من تقليد الأمم الأخرى في الدين والأخلاق؟
- (ث) ما التوجيهات النبوية الآخرة بالتيسير المنضبط؟

**الأهداف:**

يمكن تحديد أهداف البحث في الأمور التالية:

١. بيان موقف السنة من الأفكار غير السليمة.
٢. كشف دوافع التطرف والتحذير منها وفق التنبهيات النبوية الشريفة.
٣. إيضاح موقف السنة المشرفة من تقليد الأمم الأخرى في الدين والأخلاق

#### ٤. بيان التوجيهات النبوية الآمرة بالتيسيير المنضبط.

#### حدود البحث:

المعاجلة النبوية للتطرف واسعة، وتتطلب كَمًا كبيرًا من البحوث؛ لاستيعاب موضوعاتها على نحو مستفيض ومستوعب، ومن طبيعة البحوث المحكمة أَلَا تحتمل مثل هذه التوسعات، ولذا آثرت تحديد الموضوع في الآتي:

١. انتقاء طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة ذات الصلة المباشرة بمعالجات

التطرف، وحرصت على أَلَا تنزل درجة الأحاديث عن الحسن، فإذا نزلت بينت ذلك في الحكم على الحديث.

٢. الاقتصار على موضوعات أربعة، وهي: وأد الأفكار غير السليمة، ود الواقع

التطرف، وتقليل الأهم في الدين والأخلاق، والتيسيير المنضبط؛ لشعوري بأنَّ هذه من أهم القضايا في المعالجات من جهة، ولأنَّ مادتها العلمية تشتمل على تحديد مصادر التعلم الشرعي وكيفيته، وترتبط للوسطية كذلك.

٣. اعتماد طريقة الشرح الموضوعي للأحاديث المنتقاء في معالجات التطرف قدر الإمكان.

#### تعريف التطرف:

(الطرف) وجدره في اللغة يرجع إلى (طرف) يحمل معنى سرعة التحول، كحركة جفني العين السريعة، كما يتضمن معنى الانصراف عن الشيء<sup>(١)</sup>، ومن مدلولاته أيضًا الملل والرغبة في التغيير وعدم الاستمرار على حالة واحدة، يقال للرجل (طرف) إذا كان

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي ٢٤/٧٠، ٧٥ مادة (طرف).

لا يثبت على صحبة أحدٍ لِمَلَهٖ<sup>(١)</sup>، ومن معانيه المهمة أيضاً: الجابان المتضادان، فالطرف جانب الشيء وحده وحرفه<sup>(٢)</sup>.

وعند النظر في التعريف الاصطلاحي فإن معظم من تكلم فيه من المعاصرین يتوجه إلى الغلو والتشدد، ومن ذلك قول خالد العاڭ: "فالمتطرف في الدين هو: المتجاوز حدوده، والجافي عن أحكامه وهديه. فكل مغالٍ في دينه متطرفٌ فيه، مجف لوسطيته ويسره"<sup>(٣)</sup>. وهذا في الواقع أحد الطرفين، أما الطرف الآخر فهو الإفراط والتساهل، وهو تطرف أيضاً لأن المعنى الذي أراه دقيقاً للتطرف هو: مجاوزة حد الاعتدال<sup>(٤)</sup>، وعدم التوسيط الذي وسم الله تعالى به هذه الأمة في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال الطبرى: "وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهيب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على رحيم وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسيط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أو سلطها"<sup>(٥)</sup>. وما أكّد لي شمول مفهوم (التطرف) للتشدد والتساهل كلمة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: "التطرف: هو الأخذ

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي ٧٢/٢٤ (طرف).

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٤٤٧/٣ مادة (طرف). والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٥١٧.

(٣) عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء الكتاب والسنة، للعـاـنـدـ عـبـدـ الرـحـمـنـ، ص ١٥-١٦.

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار وآخرين ١٣٩٦/٢ (تطرف).

(٥) تفسير الطبرى ٦٢٧/٢.

بالرخص التي لا وجه لها ولا دليل عليها<sup>(١)</sup>، ولاشك أن الأخذ بهذه الرخص إنما هو تطرف نحو التفريط.

### الدراسات السابقة:

مما لا شك فيه أن المعالجات مبسوطة في المصادر الأصلية لدى شراح الحديث النبوي، وقد تم الاعتماد كثيراً على أقوالهم، بالإضافة إلى اجتهادات العلماء في المصادر العقدية القديمة منها والحديثة، وفيما يخص الدراسات المباشرة، فقد وقفت على رسالة علمية هي : "ظاهرة التطرف في المجتمع البالكستاني أسبابها وآثارها وعلاجها في ضوء السنة النبوية"،

رسالة دكتوراه أعدتها: حافظ نثار رانا<sup>(٢)</sup>، وركز الباحث فيها على مفهوم الغلو وحكمه، وتاريخه، ثم تناول مظاهر الغلو في العصر الحديث وفي باكستان على وجه التحديد، ثم تحدث عن أسباب الغلو في العصر الحديث وآثاره، وبعد ذلك تناول علاج هذه الظاهرة من خلال عناصر ثلاثة: المسؤول عن العلاج، ووسائل العلاج، وواجب المصابين بهذه الظاهرة، والواضح أن وجه الرسالة مع أنها جيدة، إلا أنها تختلف عن مراد الباحث الذي يريد أن يجعل المعالجات النبوية هي الأساس في التعامل مع التطرف.

### منهج البحث وإجراءاته:

وفقاً للمادة الأولية للبحث ظهر لي أن المنهج الاستقرائي يعين على تتبع المعالجات في الموضوعات الأربع الآنفة، ولم أطراها، وتوصيفها، ثم الانتقال إلى المنهج التحليلي لبيان مقاصدها، مع الاستعانة بالمنهج الاستدلالي في المواطن التي تستلزم ذلك.

### أبرز الإجراءات في البحث:

(١) دروس الشيخ عبد العزيز بن بارز ١٣/١٧ (المكتبة الشاملة).

(٢) منشورة على الرابط: <https://n9.cl/u84qz>

سلكت في كتابة البحث الإجراءات التالية:

١. عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها؛ بذكر: اسم السورة، ورقم الآية، وكتابتها وِفقَ الرسم العثماني.
٢. توثيق الأدلة والنُّقُول من مصادرها الأصلية.
٣. تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها؛ فإنْ كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما؛ اقتصرت عليهما بذكر اسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث، وإنْ كان في غيرهما؛ خرّجته من مظانه من كتب السنة.
٤. الحكم على الأحاديث صحةً وضعفاً، فإنْ كان أحد الأئمة نصَّ على درجة الحديث اكتفيت بحكمه، وإلا حكمت على درجته - حسب ما يظهر لي - مستدلاً بأقوال أهل العلم في ذلك.
٥. التعريف بالألفاظ الغربية التي يرد ذكرها في البحث.
٦. الإشارة إلى فقه الأحاديث، وشرح الحديث شرحاً موضوعياً.

#### خطة البحث:

- أولاً: المقدمة، وتشمل: الأهمية وسبب الاختيار، وتساؤلات البحث، وأهدافه، وحدوده، وتعريف التطرف، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وتقسيمات البحث.
- ثانياً: المطلب الأول: واد الأفكار غير السليمة.
- ثالثاً: المطلب الثاني: التنبية النبوي إلى دوافع التطرف والتحذير منها.
- رابعاً: المطلب الثالث: التحذير من تقليد الأمم في الدين والأخلاق.
- خامساً: المطلب الرابع: توجيه الأمة إلى التيسير المنضبط شرعاً.
- خامساً: الخاتمة.

## المطلب الأول

### وأد الأفكار غير السليمة

تقدّم أنَّ التطرف فعلٌ فِكْرٌ، يتبعه فعلٌ جواحٌ، وتطبيقات تبدأ صغيراً ثم لا تزال تتعاظم حتَّى يتسع الخرق على الرَّاقع، والإسلام في أُولَئِكَ أمره كان بحاجة إلى وجود دعوته أولاً، ثمَّ وجود أتباعه وبقائهم؛ لأنَّهم العناصر التي ستحمل هذه الشريعة وتبلغها، وأي تصرف غير مدروس ستنتجه عنه إشكالات كبيرة.

وهو أمرٌ فطَن له النَّبِيُّ ﷺ، فعمل على استبعاد ما يؤدِّي إليه منذ بدء الدُّعوة، ولعلَّ أَوَّل شيء عالجه النَّبِيُّ ﷺ: نزع فكرة الاستعجال من أذهان الصحابة رضي الله عنهم، فهم مؤمنون حَقًّا، ومتمسكون حَقًّا، لكنَّ يرد على الْذَّهَن أن يصل صاحبُ الْحَقِّ إلى النتيجة على الفور أو في وقت قريب للغاية، وهذا خلاف السنة الكونية، وبخاصة في مجال الأفكار وإعداد المجتمع المسلم.

وقد طرأَت فكرة الاستعجال هذه لنفْرٍ من صحابة النَّبِيِّ ﷺ في مكة - وإن لم يصرحُوا بها -، قال خباب بن الأرت رضي الله عنه: "شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعُ الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيُحباء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باشتين وما يصدِّه ذلك عن دينه، ويعشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصدِّه ذلك عن

دينه، والله أَكْبَرُ هذا الأمر حق يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله

أو الذئب على غنميه ولكنكم تستعجلون»<sup>(١)</sup>.

وبينجي أمام هذه الأحاديث الشرفية أن يتأمل فيها المرء ويتدبر، فالدعاء مُحِّ العبادة، وهو من أشرف الأمور التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه عز وجل، والصحابـة الكرام في مكة المكرمة كانوا في حالة ضعف، يتسلط عليهم كفارها بالتعذيب والتضييق والمقاطعة وغير ذلك من صنوف الحرارة، ومنهم من استشهد تحت التعذيب أمثال سمية رضي الله عنها<sup>(٢)</sup>، ولكن الرسول ﷺ لفت أنظارهم إلى الصبر والتسلية بما كان يحدث للمؤمنين في الأمم قبلهم، ثم بشرهم بانتشار الإسلام، وختـم الحديث بجملـة «ولكنكم تستعجلون»، وهنا موطن المعالجة التي نحن بصددها.

فالدعوة تتطلب إعداداً قوياً ومتيناً، معأخذ كافة أسباب التحرز وبعد عن مواطن الإشكالات قدر الإمكان، وهذا ما يفسـر المرحلة السـريـة في الدـعـوةـ التي امتدتـ ثـلـاثـ سنـواتـ<sup>(٣)</sup> على الأشهر، وليس ثـمـةـ وسـيلـةـ لـإـعـدـادـ المـتـينـ كالصـبـرـ؛ لأنـ المـرـحلـةـ التـالـيةـ بعدـ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/٢٠١) رقم (٣٦١٢).

(٢) سمية أم عمـارـ بنـ يـاسـرـ، عـذـبـهاـ آلـ بـنـيـ المـغـرـبةـ عـلـىـ الإـسـلـامـ، وـهـيـ تـأـبـيـ غـيرـهـ حـتـىـ قـتـلـوهـاـ، وـكـانـ رسولـ اللـهـ ﷺ يـمـرـ بـعـمارـ وـأـمـهـ وـأـيـهـ وـهـمـ يـعـذـبـونـ بـالـأـبـطـحـ فـيـ رـمـضـانـ مـكـةـ فـيـقـولـ: «صـبـرـاـ يـاـ آـلـ يـاسـرـ، مـوـعـدـكـمـ الـجـنـةـ»ـ، وـهـيـ أـوـلـ شـهـيـدـةـ فـيـ الإـسـلـامـ، وـجـاءـهـاـ أـبـوـ جـهـلـ بـحـرـيـةـ فـيـ قـبـلـهـاـ فـقـتـلـهـاـ، وـمـاتـ قـبـلـ المـحـرـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ. يـنـظـرـ: الـاستـيـعـابـ (٤/١٨٦٤)، وـالـإـصـابـةـ فـيـ مـعـرـفـةـ الصـحـابـةـ (٨/١٩٠).

(٣) يـنـظـرـ: السـيـرـةـ النـبـوـةـ لـابـنـ هـشـامـ /١ـ ٢٣٧ـ.

الظهور والانتشار تتطلب صبراً لا يقل عن هذا، فهناك كثرة الأعداء، وأعباء نشر الدعوة، وفتن المال وزخرف الدنيا، فلولا الصبر الأول، لما حصل الصبر الثاني.

وفي هذا المشهد لو أنَّ المسلمين اعتادوا إنْ حصل لهم إشكال دعا لهم رسول الله ﷺ، ولم يتعودوا على الصبر وتحمل المشاق، لما أمكنهم تحمل أمانة الرسالة وتبلغها.

إذاً فالحكمة من قول النبي ﷺ: «ولكنكم تستعجلون» تشير - والله أعلم - إلى رغبةٍ لدى الصحابة رضي الله عنهم في حصول النَّصر السَّريع والتَّمكين السريع بجهد يسير دون عناء، ولكن الشَّلة الكونية قائمة على أنَّ استعجال النتائج أساس الإشكال، وما جاء عاجلاً فقد سريعاً، والعرب تُكفي العجلة "أم الندامات"<sup>(١)</sup>، فهي تفقد الإنسان الكثير من ضرورات الإعداد والتهيئة، ومن كان حاله كذلك سُهُل عليه التنازل عن مكتسباته عند أول امتحان، وأحوال العرب المرتدين عقب وفاة النبي ﷺ مباشرةً خير شاهد.

فالنبي ﷺ لم يترك الدُّعاء، بل نهى عن الاستعجال في الإجابة، قال الإمام ابن بطّال: "و فيه من الفقه: أنَّ النبي ﷺ لم يترك الدعاء في ذلك على أنَّ الله أمرهم بالدعاء أمراً عاماً بقوله: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وبقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣] إلَّا أَنَّه ﷺ علم من الله أنَّه قد سبق من قدره وعلمه أنَّه يجري عليهم ما جرى من البلوى والمحن؛ ليؤجروا عليها على ما جرت عادته فيسائر أتباع الأنبياء من الصَّبر على الشدة في ذات الله، ثم يعقبهم بالنصر، والتأييد، والظفر، وجزيل الأجر، وأمَّا غير الأنبياء فواجب عليهم الدعاء عند كل نازلة تنزل بهم؛ لأنَّه لا يعلمون الغيب فيها، والدعاء من أفضل العبادة"<sup>(٢)</sup>.

(١) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدى (٢٣/٥).

(٢) شرح صحيح البخاري (٢٩٧/٨).

وقال الإمام العيني: "هذا لا يدل على أنَّه دعا لهم بل هذا يدل على أَنَّهُم لا يستعجلون في إجابة الدعاء في الدنيا، على أَنَّ الظاهر منه ترك الاستعجال في هذا الوقت ولو كان بجواب لهم فيما بعد" (١).

وفيه أيضًا: عlamة من علامات النبوة، لأنَّه عليه السلام أخبرهم بما سيكون في المستقبل، قال الإمام ابن بطال: "وفيه: علامات النبوة، وذلك خروج ما قال عليه السلام من تمام الدين، وانتشار الأمر، وإنجاز الله ما وعد نبيه عليه السلام من ذلك" (٢).

وهذه الفكرة -أعني فكرة استعجال النتائج- نوع من البعد عن الاعتدال، فهي مخالفة لمنهج النبوة، ومخالفة للسنة الكونية، وهي ارتباط الأسباب بالأسبابات في هذه الدنيا، فكان من تربية النبي صلوات الله عليه وسلم لصحابته رضي الله عنهم ولأمته أيضًا: عدم استعجال النتائج، والعمل وفق نظام الأسباب والأسبابات، مع الاعتماد على الله تعالى والتوكيل عليه، والثبات على القيم والمبادئ.

ولعل قول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقْرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٧] يتضمن نوعاً من هذا التوجيه، فمن دلالاته: "أنَّ لكلَّ خَبَرٍ أَخْبَرَ الله تعالى به من وعد أو وعيد مستقرًا في مستقبل الوقت أو ماضيه أو حاضره في الدنيا وفي الآخرة" (٣)، فلا مكان لاستعجال الأمر أو استبطائه، فكلُّ وعدٍ آتٍ في أوانه.

ويدخل في هذا الباب قضية الاستعجال في القرارات دون دراستها، وهو أمر رفضه النبي صلوات الله عليه وسلم يوم العقبة، جاء في الخبر: أنَّ العباس بن عبد الله بن نضلة الأنباري رضي الله عنه قال: "يا

(١) عمدة القاري (٢٤/١٠٠).

(٢) شرح صحيح البخاري (٨/٢٩٧).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٢/١٢٩).

رسول الله، والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ غداً على أهل مني بأسيافنا، فقال رسول

الله ﷺ: «إِنَّا لَمْ نُؤْمِرْ بِذَلِكَ، وَلَكُمْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

واقتراح الصحابي الجليل العباس بن عبدة رضي الله عنه واضح الاستعجال فيه، وربما كان دافعه

ما ورد في القصة من نداء الشيطان (أَزْبُ الْعَقَبَةِ)<sup>(٢)</sup> ينذر قريشاً بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اجتمع مع هؤلاء النَّفَرِ على حرمهم، ولأنَّه اقتراح في غير محله، بل هو خطر للغاية، لذلك لم يقبل به النبي صلوات الله عليه وسلم، وعالجها بطريقتين: الأولى: أَنَّه نَبَهُمْ إِلَى ضرورة الالتزام بالتوجيهات الشرعية في مثل هذه الأمور البالغة الخطورة وتركها لمرجعيتها، فقال صلوات الله عليه وسلم: «إِنَّا لَمْ نُؤْمِرْ بِذَلِكَ». والثانية: تقديم الحل المنطقي السريع، وهو «ارجعوا إلى رحالكم»، وفي هذا جانب تعليمي سأعرّج عليه في مطلب قادم بإذن الله تعالى.

(١) القصة رواها ابن سعد في طبقاته (١٩٠/١) ولفظه: "فانفضوا إلى رحالكم"، وإسنادها ضعيف جداً، فيه الواقدي، قال الحافظ في التقريب (ص ٤٩٨): "متروك مع سعة علمه". وأخرجها الطبراني في تاريخه (٣٦٤/٢) بإسنادين أحدهما ضعيف والآخر حسن، واللفظ له. وأخرجها الإمام أحمد في المسند (٨٩/٢٥) رقم (١٥٧٩٨)، وابن حبان كما في الإحسان (٤٧١/١٥) رقم (٧٠١١)، والطبراني في الكبير (٤٦/١٩) رقم (٩١) كلامهم من طريق محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد بن كعب بن مالك، عن أخيه عبد الله، عن أبيه وغيره بعنانها. هذا الإسناد حسن، قال الميموني في مجمع الزوائد (٦/٤٥): "رواه أحمد، والطبراني بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرخ بالسماع".

(٢) أَزْبُ الْعَقَبَةِ: هذا اسم شيطان وهو الحية. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/٤٣).

ولا يفوتي النبيه إلى أن استعجال أغلب الرّمّة رضي الله عنهم للغنيةمة وعدم الالتزام بالأمر النّبوّي يوم أحد<sup>(١)</sup> نتج عنه انقلاب الحال من نصِّ ظاهر، إلى خسارةٍ وجرح، ويلاحظ هنا أنَّ ظرف المسلمين يوم أحد كان أفضل حالاً من ظرفهم يوم العقبة الثانية، فعلى سبيل الافتراض؛ لو أنَّ أولئك النّفّر سلُوا سيوفهم وقاتلوا أهل مِنْ لما بقي منهم أحد، ولفقد رسول الله ﷺ، فقدت الدّعوة أيضًا.

**خلاصة الأمر:** أنَّ استعجال النتائج قبل تحصيل الأسباب والعدة الكافية خروج عن حدّ الاعتدال، وكذلك اتخاذ القرارات المتعجلة دون تفكير عميق ودراسة جيدة أيضاً خروج عن حدّ الاعتدال، ولو أنَّ الإنسان انتهج هذه الطريقة لأدّى به ذلك إلى التطرف حتماً، إما التساهل أو التشدد، وهذا ما يدفعني للقول: إنَّ المعالجة النّبوية لهذين الأمرين على هذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسيير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه (٤/٦٥) رقم (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "جعل النبي صلوات الله عليه على الرجال يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن حبیر، فقال: «إن رأيتمنا نخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمنا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزموهم»، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن، قد بدلت خاللهم وأسوقهن، رافعات شياجهن، فقال أصحاب عبد الله بن حبیر: الغنيةمة أي قوم، الغنيةمة، ظهر أصحابكم بما تنتظرون، فقال عبد الله بن حبیر: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلوات الله عليه؟ قالوا: والله لنأتي الناس فلننصيبن من الغنيةمة، فلما أتواهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين». وينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (٢٢١/١).

النحو الذي ورد في الحديث والخبر نبهت الصحابة الكرام رضي الله عنهم إلى التزام الاعتدال، وهو ما التزموا وساروا عليه فيما بعد<sup>(١)</sup>.

ولما انتقل رسول الله ﷺ والمهاجرون إلى المدينة المنورة، وأصبح لهم بها داراً مع الأنصار، وأمنوا بعد خوف، وصار أمر العبادة موضع تنافس بين المسلمين، وهنا بدت إشكالية أخرى خارجة عن حد الاعتدال، ويدوأها تكررت في أكثر من شخص وأكثر من حادثة ووصلت إلى حد التطبيق، أذكر رواياتها أولاً، ثم أخرج على المعالجة:

**الحديث الأول:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخْبِرُوا كَائِنَمْ تَقَالُوهَا<sup>(٢)</sup> ، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد عُنِّرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أمّا أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفتر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أمّا والله إليني لأخشاكם لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفتر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(٣)</sup> .

(١) فائدة: جاء في تفسير حدائق الروح والريحان للهرري (٣١/١٦): "قيل: العجلة من الشيطان، إلا في ستة مواضع: أداء الصلاة إذا دخل الوقت، ودفن الميت إذا حضر، وتزويع البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، وإطعام الضيف إذا نزل، وتعجيل التوبة إذا أذنب".

(٢) تَقَالُوهَا: أَيْ اسْتَقْلُوهَا، وَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ الْقِلَّةِ. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/٤٠).).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٧/٢) رقم (٦٣٥٠).

واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووحد مؤنه، واستغلال من عجز عن المؤن بالصوم (٢/٢٠١٠) رقم (١٤٠).

**الحديث الثاني:** عن مجاهد بن جبر قال: "دخلت أنا ويحيى بن جعده على رجل من الأنصار من أصحاب الرَّسُول ﷺ، قال: ذكروا عند رسول الله ﷺ مولاً لبني عبد المطلب، فقال: إِنَّهَا تقوم الليل وتصوم النهار، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لَكُنِّي أَنَا أَنَامٌ وأَصُومُ وَأَفْطُرُ، فَمَنْ اقْتَدَ بِي فَهُوَ مِنِّي، وَمَنْ رَغَبَ عَنْ سُنْتِي فَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّ لَكُلَّ عَمَلٍ شَرِّهُ<sup>(١)</sup> ثُمَّ فَتَرَهُ<sup>(٢)</sup>، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتَهُ إِلَى بَدْعَةٍ فَقَدْ ضَلَّ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتَهُ إِلَى سَنَةٍ فَقَدْ اهْتَدَى»<sup>(٣)</sup>.

(١) الشَّرِّ: النشاط والرغبة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٥٨/٢).

(٢) الفترة: أي وهنًا وضعفًا. مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح للقاري (٨/٣٣٣٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٥٧/٣٨) رقم (٢٣٤٧٤) واللفظ له، عن يحيى بن سعيد عن جرير عن منصور عن مجاهد به. قال الميشمي في مجمع الزوائد (١٩٣/١): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح".

وحاء اللفظ المفوع من الحديث عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، فأخرجه الإمام أحمد (٥٤٧/١١) رقم (٦٩٥٨)، والحارث ابن أبيأسامة في مسنده (١/٣٤٢) رقم (٢٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧) رقم (٥١)، والبزار في مسنده (٦/٣٣٧) رقم (٢٣٤٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/٢٦٦) رقم (١٢٣٦)، وابن حبان في صحيحه (١/١٨٧) رقم (١١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذى (٤/٢٤٣) رقم (٢٤٥٣)، وأبو يعلى الموصلى في مسنده (١١/٤٣٤) رقم (٦٥٥٧)، والطحاوى في شرح مشكل الآثار (٣/٢٦٩) رقم (١٢٤٢)، وابن حبان في صحيحه (٢/٦٢) رقم (٣٤٩)، وقام في فوائده (٢/٢٩) رقم (٤٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذى عقب الحديث: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه".

وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (١/٣٤٧) رقم (٧٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٣١٨) رقم (٧٧٦) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

**الحديث الثالث:** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "رَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةٍ مِّنْ قَرِيشٍ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ جَعَلَتْ لَا أَنْحَاشَ لَهَا<sup>(۱)</sup>، مَا يَبِي مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ مِنَ الصُّومِ وَالصَّلَاةِ، فَحَاجَهُ امْرَأَةٌ مِّنْ قَرِيشٍ إِلَيْهِ<sup>(۲)</sup> حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ وَجَدْتِ بْنَكَ؟ قَالَتْ: خَيْرُ الرِّجَالِ أَوْ كَخْيَرِ الْبَعْوَلَةِ، مَنْ رَجُلٌ لَمْ يَفْتَشْ لَنَا كَنْفًا<sup>(۳)</sup>، وَلَمْ يَعْرِفْ لَنَا فَرَاشًا، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَعَذَمَنِي<sup>(۴)</sup> وَعَضَّنِي بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: أَنْكَحْتَ امْرَأَةً مِّنْ قَرِيشٍ ذَاتَ حَسْبٍ، فَعَضَّلَتْهَا<sup>(۵)</sup> وَفَعَلَتْ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم فَشَكَابِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم

وأخرجها أيضًا في الكبير (٢٨٤/٢) رقم (٢١٨٦) ومن طريقه أبو ثيم في معرفة الصحابة (٦١٨/٢) رقم (١٦٧٤) من حديث جعدة بن هبيرة رضي الله عنه.

وأخرج الطبراني أيضًا في الكبير (٢٢٢/٨) رقم (٧٨٨٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. فالحديث صحيح، صححه الترمذى والم hicmiyi كما سبق.

(١) لا أنحاش لها: أي لا أكثرث بأمرها. الدلائل في غريب الحديث (١١٠٨/٣).

(٢) الكنَّةُ، امرأة ابن وامرأة الأخ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٦/٤).

(٣) الكتف: هو الوعاء، ومعنىه: أَنَّه لَمْ يَدْخُلْ يَدَهُ مَعَهَا، كَمَا يَدْخُلُ الرَّجُلُ يَدَهُ مَعَ زَوْجِهِ فِي دَوْاخِلِ أَمْرَاهَا. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٤٢٠).

(٤) العَذَمُ: أي الأخذ باللسان، وأصل العَذَمُ: العَضُّ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٢٠٠).

(٥) العضل: المنع، أَرَادَ أَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْهَا مُعَالَمَةً لِلأَزْوَاجِ لِنِسَائِهِمْ، وَلَمْ تَتَرَكْهَا تَتَصَرَّفَ فِي نَفْسِهَا، فَكَانَكَ قد منعتها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤٥٢).

فأتبته، فقال لي: «أتصوم النهار؟» قلت: نعم، قال: «وتقوم الليل؟» قلت: نعم، قال: «لكي أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمسك النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>.

**الحديث الرابع:** عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "دخلت امرأة عثمان بن مطعمون، واسمها خولة بنت حكيم - على عائشة وهي بذلة الهيئة"<sup>(٢)</sup>، فسألتها عائشة: ما شأنك؟ فقلت: زوجي يقوم الليل، ويصوم النهار، فدخل النبي ﷺ، فذكرت عائشة ذلك له، فلقي النبي ﷺ عثمان بن مطعمون، فقال: «يا عثمان، إن الرهبانية<sup>(٣)</sup> لم تكتب علينا، أما لك في أسوة حسنة؟! فوالله إني لأحشاكم الله، وأحفظكم لحدوده»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في المسند (١١/٨) رقم (٦٤٧٧) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (٦/١٩٦) رقم (٥٠٥٢) من طريق المغيرة بن مقسم الضبي عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) بذلة الهيئة: أي هيئة سيئة ردية، رثة اللبسة. ينظر: النهاية في غريب الحديث (١١٠/١)، ولسان العرب (٣/٤٧٧).

(٣) الرهبانية: هي من رهبنة النصارى. وأصلها من الرحبة: الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وتترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٨٠).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٧٠/٧) رقم (١٢٥٩١)، ومن طريقه أحمد في المسند (٤٣/٧٠) رقم (٢٥٨٩٣)، وابن حبان في الصحيح (١/١٨٥) رقم (٩) واللفظ له، والطبراني في الكبير (٩/٣٨) رقم (٨٣١٩) عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها به. وهذا الإسناد صحيح، قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٣٨٧): "إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين".

**الحديث الخامس:** عن أبي ححيفه رضي الله عنه قال: "أخي النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتَبَدِّلَةً<sup>(١)</sup>، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: فإنِّي صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نعم، ثم ذهب يقوم، فقال: نعم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطي كل ذي حقٍ حقاً، فأتى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فذكر ذلك له، فقال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: «صدق سلمان»<sup>(٢)</sup>.

وبتحليل هذه الأحاديث الشريفة نجد أمامنا طائفة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم نظرت إلى الجانب العبادي بنوع من المبالغة.

وقد أشارت الأحاديث السابقة إلى عدم الغلو في العبادة، والاقتصاد فيها، وأنَّ ما كان عليه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه هو التوسط في الأمور كلها، ففي قوله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إنَّ لكل شيء شرعة» معناه: إنَّ لكل شيء من الأعمال الظاهرة والأخلاق الباطنة طرفين: إفراطاً وتفرطاً، فالمحمود القصد بينهما<sup>(٣)</sup>.

(١) مُتَبَدِّلَة: التبدل: ترك التزين والتزيين بالمهيبة الحسنة الجميلة. ينظر: النهاية في غريب الحديث (١١١/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفقاً له (٣٨/٣)، رقم (١٩٦٨).

(٣) شرح المشكاة الكاشف عن حقائق السنن الطبي (١١ / ٣٣٧٤).

كما أوضحت الأحاديث بخلافه أنه ليس المراد ترك الأفضل والأكمel في العبادة، بل المقصود الاعتدال، حتى لا يؤدي التشدد والتعمق إلى ترك الأفضل، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن المني أَنَّه قال: "ليس المراد منع طلب الأكمel في العبادة، فإِنَّه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلـي الليل كله ويغـالـب النوم إلى أن غـلـبـتـه عـيـنـاهـ في آخر الليل فـنـامـ عن صـلـاةـ الصـبـحـ فيـ الجـمـاعـةـ، أوـ إـلـىـ أنـ خـرـجـ الـوقـتـ المـخـتـارـ، أوـ إـلـىـ أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة"<sup>(١)</sup>.

ويتحلى المنهج النبوـيـ الشـرـيفـ فيـ قـوـلـهـ ﷺ: «فـمـنـ رـغـبـ عـنـ سـنـتـيـ فـلـيـسـ مـنـيـ»، وـمـؤـدـاـهـ الـاعـتـدـالـ وـالـتوـسـطـ، فـلـاـ إـفـرـاطـ وـلـاـ تـفـرـيطـ، قـالـ الإـمـامـ النـوـويـ: "وـفـيهـ دـلـيـلـ عـلـىـ الحـثـ عـلـىـ الـاقـتـصـادـ فـيـ الـعـبـادـةـ وـاجـتـنـابـ التـعـمـقـ، وـلـيـسـ الـحـدـيـثـ مـخـتـصـاـ بـالـصـلـاـةـ؛ بـلـ هـوـ عـاـمـ فـيـ جـمـيعـ أـعـمـالـ الـبـرـ"<sup>(٢)</sup>.

والذـيـ تـدـلـ عـلـيـ النـصـوصـ الـآـنـفـةـ هوـ أـنـ الـمـعـالـجـةـ النـبـوـيـةـ حـصـلـتـ لـهـمـ سـوـاءـ لـأـلـئـكـ النـفـرـ الـثـلـاثـةـ الـذـيـنـ يـشـعـرـ بـالـحـدـيـثـ أـكـمـ هـمـوـ بـالـتـشـدـيدـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ وـلـمـ يـفـعـلـواـ؛ لـأـنـ الـخـبـرـ وـصـلـ إـلـىـ النـبـيـ ﷺـ فـيـ الـوقـتـ ذـاـتـهـ، أـوـ لـلـدـيـنـ شـدـدـوـاـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ بـالـفـعـلـ، وـمـنـهـمـ: عـشـمـانـ بـنـ مـظـعـونـ، وـعـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ، وـعـبـدـ اللهـ بـنـ رـوـاـةـ، وـعـبـدـ اللهـ بـنـ عـمـرـوـ بـنـ عـاصـ، وـأـبـوـ الـدـرـدـاءـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ، فـكـانـتـ الـمـعـالـجـةـ النـبـوـيـةـ وـفـقـ الـآـتـيـ:

- المبادرة إلى وأد الفكرة كما هو ظاهر في حديث النفر الثلاثة، وكان ذلك على

نـحـوـ مـبـاـشـرـ لـلـنـفـرـ الـثـلـاثـةـ، كـمـاـ سـيـقـ فـيـ الـأـحـادـيـثـ السـابـقـةـ.

(١) فـتـحـ الـبـارـيـ لـابـنـ حـجـرـ (٩٤/١).

(٢) شـرـحـ النـوـويـ عـلـىـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ (٦/٧٠-٧١).

- المسارعة إلى منع استمرارية الخطأ، فالنبي ﷺ بادر إلى مخاطبة النّفر الذين شرعوا في تطبيق فكرهم المتشددة، ذات الصبغة الراهبانية، ولم يقبل استمرارها مطلقاً، بل حذر من مغبة المداومة عليها، فنبه إلى أنَّ من كُتِبَتْ عليهم الراهبانية لم يستطعوا القيام بها، وكذلك غيرهم سيقعون في الإشكالية نفسها، ثم إنَّ الخروج عن جادة الاستقامة سيوصل قطعاً إلى التطرف تشدداً أو تساهلاً، وكلا الأمرين ذميم.

- تقىدم القدوة من نفسه ﷺ، سواء بذكر أعماله ﷺ الدالة على الوسطية وعدم التشدد والمغالاة، أو بالتصريح بذكر القدوة كما في حديث عثمان بن مظعون

﴿وَقَوْمٌ﴾

- لفت أنظار الصحابة رضي الله عنهم إلى ضرورة التعلم ومعرفة الحكم الشرعي في مثل هذه الأمور الدينية، فهذه الأمور لا تقبل الرأي المجرد، بل لابد فيها من المستند الشرعي، وإنما خرجت إلى حدّ الغلو والتشدد، ومن مظاهرها الراهبانية التي صرَحَ النبي ﷺ بفرضها كما في حديث عثمان بن مظعون، وفي عموم قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] توجيه كريم للصحابة وللأئمة من بعدهم على ضرورة الرجوع إلى أهل العلم قبل الشروع في مثل هذه الأعمال التي لا مساغ فيها للرأي المجرد.

- تأكيد النبي ﷺ على وسطية الإسلام، وبَدَا ذلك في إخباره عن نفسه: «لَكُنِّي أَصُومُ وَأَفْطُرُ، وَأَصْلِي وَأَنَامُ، وَأَمْسِي النِّسَاءُ، فَمَنْ رَغَبَ عَنْ سُنْتِي فَلَيَسْ مَنِّي»، وكذلك في تصديقه لسلمان الفارسي رضي الله عنه الذي قال: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقّاً، ولنفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، ولأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ».

- توجيه النبي ﷺ هؤلاء الصحابة الكرام والأمة من بعدهم إلى ضبط نوازع النفس، وحملها على الحق، مع التحذير البين جداً من مجازاتها، وذلك حلي في قوله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ثُمَّ فَتَرَةً»، فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضلَّ، ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى». ● تعليم النبي ﷺ أمهاته أنَّ الإنسان في الدين بين أمرين لا ثالث لهما: إِما السنة والاهتداء، أو البدعة والضلالة، ونحن نجد مصداق ذلك في حال المسلمين، فالخوارج مالوا إلى البدعة فضلوا<sup>(١)</sup>، والمعتزلة أيضاً ابتدعوا في العقيدة فضلوا<sup>(٢)</sup>، والرافضة أكثروا من الابداع حتى خرج كثير منهم عن دين الله تعالى أو صاروا قاب قوسين أو أدنى منه<sup>(٣)</sup>، وهكذا الأمر دواليك مع عامة الفرق القديمة والحديثة التي خرجت عن السنة إلى البدعة.

هذا ما يتعلق بالمعالجة، ولكن بشأن تحليل التوجه المتشدد لدى هؤلاء الصحابة الكرام يمكن أن يقال:

- إنَّ النفر الثلاثة لم يتَّبعُوهُا إلى أنَّ النبي ﷺ في كلِّ أحواله الدينية مشرعٌ، ومن ثم فالنظر إلى عبادته على نحوٍ منفرد، وإلى خصوصية النبي ﷺ في أنَّ الله غفر له ما

(١) ينظر: الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، للصلabi، ص ٥٢ وما بعدها.

(٢) ينظر: كتاب (الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار) للعمري، نشر مؤسسة أضواء السلف بالرياض.

(٣) ينظر: السنة للخلال ٤٩٣/٣ ونقل في هذا الموضوع تكفير الإمام أحمد لشاتم أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهما. ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٧٤/٢٨ ، ، ٥٠٠

تقديم من ذنبه وما تأخر بمعزل عن حالة التشريع؛ نظرة غير سليمة، وهي منشأ الإشكال.

حينما يخطو الإنسان الخطوة الأولى نحو التشدد فإنه لن يتوقف عندها، بل سينطلق منها إلى الثانية، وهي إشكالية كذلك، وهذا ما صرّح به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: «رَدَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى عُثْمَانَ بْنَ مَطْعُونٍ التَّبَّاعِ<sup>(۱)</sup>، وَلَوْ أَذْنَ لَهُ لَاخْتَصِنَا»<sup>(۲)</sup>. ولا يخفى أنَّ الاختلاء محظوظ في الإسلام، ولكن ربما لم يكن هذا الحكم معلوماً في ذلك الوقت، إلَّا أنَّ الذي يهمنا هو أنَّه خطر على الأذهان في وقت مبكر، وهي خطوة أشد من سابقتها.

ولا يخفى أنَّ التربية النبوية الشريفة، مع الاستعداد التام لدى الصحابة للانقياد والاتباع، وأدَّت تلك الأفكار والتصرفات في مهدها، واحتفت فكرتها طوال وقت النبوة من مجتمع الصحابة، ولكنها ظهرت في آخر عهد النبوة لدى شخص أسلم ولم يكن له حظ من التربية النبوية، هذا الشخص ظهر عليه التعلم، حتى إنَّه تطاول على مقام النبوة، جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «بَعَثَ عَلَيْهِ أَبِيهِ طَالِبًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَبِيَّةٍ<sup>(۳)</sup> فِي أَيَّامِ مَقْرُوْظٍ<sup>(۴)</sup>، لَمْ تَحْصُلْ مِنْ تَرَابِهَا، قَالَ: فَقُسِّمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عَيْنِيَّةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدَ الْخَلِيلِ، وَالرَّابِعُ: إِمَّا عَلْقَمَةَ، إِمَّا عَامِرَ بْنَ الطَّفِيلِ،

(۱) التَّبَّاعُ: الانقطاع عن النساء وترك النكاح. النهاية في غريب الحديث والأثر (۹۴/۱).

(۲) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يكره من التباع والخصاء (۷/۴۰۷۳)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجود مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (۲/۱۰۲۰) رقم (۱۴۰۲).

(۳) ذُهَبِيَّةٍ: هي تصغير ذهب. النهاية في غريب الحديث والأثر (۲/۱۷۳).

(۴) أَدْمَ مَقْرُوْظٌ: أي مدبوغ بالقرظ وهو ورق السلم. النهاية في غريب الحديث والأثر (۴/۴۳).

فقال رجل من أصحابه: كَنَا نَحْنُ أَحْقَ بِهَذَا مِنْ هُؤُلَاءِ، قال: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّجَّيَ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا تَأْمُونُنِي وَأَنَا أَمِينٌ مَّنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبْرُ السَّمَاءِ صِبَاحًاً وَمَسَاءً»، قال فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشر الجبهة، كَثُ اللحية، مُلْوَقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزارِ، فقال: يا رسول الله، اتقِ الله، قال: «وَيْلَكَ، أَوْلَى سَتَ أَحْقَ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنْ يَتَقَبَّلَ اللَّهُ»، قال: ثمَّ وَلَى الرَّجُلُ، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، أَلَا أَضْرِبُ عَنْكَهُ؟ قال: «لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يَصْلِي»، فقال خالد: وَكُمْ مَّنْ مُصَلَّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُمِرْ أَنْ أَنْفَبَ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا أَشْقَ بَطْوَنَهُمْ»، قال: ثمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقْفَفٌ، فقال: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِي»<sup>(١)</sup> هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا<sup>(٢)</sup>، لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمَيَةِ، وَأَظْنَاهُ قَالَ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتَلَنَّهُمْ قَتْلًا مُّهُودًا»<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث بيان جواز قتال الخوارج؛ لِأَنَّهُمْ غَلَوْ وَتَشَدَّدُوا، وَهَذَا الْغَلُوُّ وَالتَّشَدِّدُ يَؤْدِي إِلَى مفاسدٍ كَبِيرَةٍ، مثَلُ شَقَّ عَصَمِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَفْكِ دَمَائِهِمْ، وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، قال الإمام ابن بطال: " قال المهلب وغيره: أجمع العلماء أنَّ الخوارج إذا خرجوا على الإمام العدل وشقوا عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف؛ لأنَّ قتالهم واجب، وأنَّ دماءهم هدر، وأنَّه لا يتبع منه زمامهم ولا يجهز على جريتهم. قال مالك: إن خيف منهم عودةً أجهز على جريتهم وأتبَعَ مدبرهم، وإنما يقاتلون من أجل خروجهم على الجماعة"<sup>(٤)</sup>. والخوارج إنما

(١) ضِئْضِي: أي أصله ونسليه وعقبه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٩/٣).

(٢) رَطْبًا: أي ليَنَا لا شدة في صوت قارئه. النهاية في غريب الحديث (٢٣٢/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء (٤) ١٣٧، رقم (٣٣٤٤)، واللفظ له،

ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢) ٧٤١، رقم (١٠٦٤).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٨٤/٨).

صاروا إلى ما صاروا إليه بالغلو في فهمهم لنصوص الكتاب والسنة، فجاءت المعاجلة النبوية بقتالهم وكف شرّهم حتى لا يؤدي هذا الغلو إلى مفاسد أكبر.

ولعلَّ سؤالاً يرد هنا: لماذا لم يستوقفه النبي ﷺ ويحاوره كما هو شأنه في كثير من المواضيع، فلعلَّ الإجابة عنه -والله أعلم- وفق الآتي:

- استغلَّ هذا الرجل المقوله التي أعقبت تقسيم الذهبيَّة، فأفصح عمما في صدره بعد سماعه لبيان النبي ﷺ، فدلَّ ذلك على أنَّه مُتعنتٌ ومتعلم، وليس مستعداً للتراجع عن رأيه.
- النقاش مع هذا الرجل ربما كان سيتفرع عنه حوارات أخرى لا تحمد عقباها، ولذا -والله أعلم- أغليظ له النبي ﷺ الجواب، وقطع مادة الكلام في هذا الأمر.
- يدلُّ الحديث على أنَّ الرَّجُل أراد فقط أن يسجل موقفاً ويظهر أفضليته على الآخرين بهذه المقوله، ولم يتأثر برد النبي ﷺ بل سارع بالمعادرة في مظهر يشعر بسوء أدبه مع النبي ﷺ، أي: أنَّه أساء قولًا وفعلاً، وهذا ما دفع خالد بن الوليد رضي الله عنه للاستئذان في قتله، والله أعلم.
- يظهر من الحديث تعليم النبي ﷺ لأمته ألا يهدروا الوقت مع هذه الفئة من الناس، إذ لا نتيجة ترجى منهم، بل وجّه رضي الله عنه إلى الحسم الشديد إن هم أظهروا الخروج وشق عصا الطاعة، وعدم الرأفة بهم.

وقد دلت الأحداث التي وقعت أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعد ذلك أثُم عامل هدم وافتراق للأمة، وأشعلوا فتناً عظيمة، تضمنتها كتب التاريخ، وما تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في وقتنا الحاضر إلا امتداد للفكر الخارجي، على زيادة سوء فيه. ولكن تجدر الملاحظة أنَّ هذه الدعوات الخارجية تجمع أصحاب الفكر مع المخدوعين، وقد دلت محاورة عبدالله بن عباس رضي الله عنه لأهل حرواء على أنَّ أصحاب الفكر

لا يتراجعون، بينما المخدوعون تراجعوا وقبلوا الحق<sup>(١)</sup>، ولا شك عندي أنَّ النَّبِيَّ ﷺ تعامل مع صاحب الفِكْر بهذه الطريقة، ولو كان مخدوعاً أو متأثراً ظاهرياً بفكرةٍ لكان الأمر مختلفاً والله أعلم، فمثل هذا النوع يرجى صلاحه.

---

(١) قصة محاورة ابن عباس رض للحرورية أخرجها الإمام أحمد (٢٤/٥) رقم (٢٨١١) مختصرة، والنسائي في الكبير (٤٨٠/٧) رقم (٨٥٢٢)، والطبراني في الكبير (٢٥٧/١٠) رقم (١٠٥٩٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤١/٦): "رواه الطبراني، وأحمد ببعضه، ورجحهما رحال الصحيح". وانظر: الطبقات الكبير لابن سعد (٢٣/٣).

## المطلب الثاني

### التَّنْبِيَهُ الْبَبُويُّ إِلَى دَوْافِعِ التَّطْرُفِ وَالتحذير منها

تضمن المطلب الأول إشارات إلى بعض دوافع التطرف وهي التعلم وحب الظهور، وهي مستنبطة من دلالات الأحاديث الشريفة، ولكن بين أيدينا أحاديث شريفة تُنصُّ صراحة على بعض تلك الدوافع، وأذكر منها على سبيل المثال أربعة أحاديث:

**الحديث الأول:** حديث أبي جحيفة عبد السوائي رض قال: "لغط قومٌ قرب النبي ﷺ، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله، لو بعثت إلى هؤلاء بعض من ينهاهم عن هذا، فقال: «لو بعثت إليهم فنهيهم أن لا يأتوا الحجـون لأنـاهـ بـعـضـهـمـ وإنـ لمـ يـكـنـ لـهـ بـهـ حاجـةـ»<sup>(١)</sup>.

والمتأمل في هذا الحديث يلحظ أمرين يسببان التطرف عند الإنسان:  
**الأول:** التحاور الذي لا يوصل إلى نتيجة، فكلمة (لغط) تدل في أصلها على الكلام غير المفهوم<sup>(٢)</sup>، والذي يظهر -والله أعلم- أن طبيعة الكلام الدائر والذي سمـاهـ أبو جحيفة "لغطاً" لم يكن ذا وجهة محددة، وإنـماـ هوـ مرادـهـ وـتجـاذـبـ غيرـ مـفـيدـ ولاـ مـفـهـومـ ولاـ بـيـنـ، وهذا حاصل عند العديد من المتناقشين، يتراوـدونـ الكلـامـ دونـ فـائـدـةـ تـذـكـرـ.

**الثاني:** نزوع النفس إلى المخالفة وطلب المنوع، ويظهر -والله أعلم- أن النبي ﷺ أراد أن ينـبـيـ الأـمـةـ إلىـ أمرـ مـنـ يـكـثـرـ النـقاـشـ بلاـ هـدـفـ، وليسـ لـدـيـهـ غـاـيـةـ مـقـصـودـةـ لهاـ مـنـفـعـةـ

(١) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (١/٥٧) رقم (٦٩)، والطبراني في الكبير (١٨/٨٦) رقم (١٥٩)، والخطابي في العزلة (ص٥٨)، وأبو ثعيم في الحليلة (٤/٣٤٧) واللفظ له، كلهم من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة. في إسناده الأعمش وقد عنـهـ، وقال الهيثمي في جمع الرواـئـدـ (١٧٦/١): "رواه الطبراني، رجالـهـ رجالـ الصـحـيـحـ".

(٢) انظر: لسان العرب ٧/٣٩١ مادة (لغط).

شرعية، ثم يتطبع بهذا الخلق، وهو خلقٌ يؤدّي لا محالة إلى سلوك السبل البعيدة عن الجادة والاستقامة.

وإن كان الصحابة يستدركون على أنفسهم ويبادرون بالرجوع والتخلي عمّا لا يرضاه الرسول ﷺ؛ فإنَّ النَّاسَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَيُسَاكِنُونَ كَذَلِكَ، بل إنَّ واقع الحال اليوم يؤكد أن هذين الأمرَيْنِ: الثرثرة غير المقيدة ولغير ما غاية، والتزوع إلى المخالفَة؛ سببان رئيسان للانحراف الفكري، ومن ثم التطرف غلوًّا أو تفريطًا.

**الحديث الثاني:** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لِتَباهُوا بِهِ الْعُلَمَاءُ، وَلَا لِتَمَارِوا بِهِ السُّفَهَاءُ، وَلَا تُخْبِرُوا بِهِ الْجَاهِلُونَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَالنَّارُ" (١).

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (١٧٠) رقم (٤٢٥)، وأبن حِيَّانَ كما في الإحسان (١/٢٧٩) رقم (٧٧) من طريق يحيى بن أبيوب، عن ابن جريج، عن أبي الزبير عن جابر به. قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص٧٢): "أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد صحيح". وقال البوصيري في مصباح الرجاجة (٣٧/١): "هذا إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم".

وحاء الحديث عن جمِيع من الصحابة رضي الله عنهم، فأخرجه الدارمي (١/٣٧٤) رقم (٣٧٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه الترمذى (٤/٣٩٢) رقم (٢٦٥٤) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (١/١٧٠) رقم (٢٥٣) بنحوه.

وأخرجه أيضاً (١/١٧٤) رقم (٢٥٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه أيضاً (١/١٧٥) رقم (٢٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه البزار في مسنده (١٣/٤٨٧) رقم (٧٢٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه.

وفي الحديث تحذير شديد من العمل لغير الله تعالى، وهو سلوك غير سبيل المؤمنين، فالرياء محبط للعمل، ويستحق تاركه العذاب؛ لأنَّه صرف شيئاً من العبادة لغير الله تعالى فاستحقَ بذلك النار، وقد جاء الكتاب والسنّة بالتحذير من ذلك والتَّشديد فيه<sup>(١)</sup>.

واللمارة تعني المجادلة وال الحاجة على سبيل التشكيك، لا على سبيل طلب الحق<sup>(٢)</sup>، فكأنَّ هذا الرجل حينما يماري السفهاء يقول لهم: "أنا عالم، وأنتم لستم بعالِمين، وأنا خيرٌ منكم"<sup>(٣)</sup>.

لفظة (يُباهي) جاء بدها في لفظ آخر للحديث: (يُجاري) وبين اللفظين معنى مشترك وهو المفاحرة والمغالبة والمراءة<sup>(٤)</sup>.

والمراد بـ «يصرف وجوه الناس إليه»: جعل العلم وسيلة لتحصيل المال والجاه، وفيه معنى حب الرئاسة والتعاظم على الناس وبخاصة العوام أو المربيدين<sup>(٥)</sup>. وهذه المعانٰي تنطوي على جملة دلالات كلها من جنس التطرف:

= وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وأسانيدها كلها لا تخلو من كلام، لكن بكثرة طرقها يقوى بعضها بعضاً.

(١) ينظر: شرح حديث «ما ذهبَان جائعان»، وجامع العلوم والحكم كلاهما للحافظ ابن رجب - رحمة الله - فقد توسيَّع في ذكر الأدلة وأقوال السَّلْف في ذلك.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصايِح (٦٨١/٢).

(٣) المفاتيح في شرح المصايِح للمظهري (١/٣٢١).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٢٦٤)، وتأج العروس للزبيدي (٣٧/٢٤٠-٢٤١). مادة (بجو).

(٥) انظر: المفاتيح شرح المصايِح للمظهري (١/٣٢١).

فالماء المقصود في هذا الحديث معصية لا ريب، فـ(الأننا) البغيضة - وهي فاشية عند كثير من الناس اليوم - ظاهرة فيها: أنا أعلم، أنا أفضل، أنا خير، كل هذه المعاني تُنطِّقُ بها حاُلُ الذي يماري السفهاء الذين ليس لديهم عِلْم<sup>(١)</sup>، وهو تصرف لا تقبله الشريعة مطلقاً، فالعلم لا يبرر تفضيل النفس على الآخرين، بل يعلّم التواضع ولبن الجانب والإحسان في التعليم، ورسولنا ﷺ خير قدوة.

وتعود (الأننا) البغيضة للظهور مرة أخرى عند (التباهي) بالعلم، وهنا ثلاثة أخلاق ردية: الكبير، والفخر، والرياء، وكلها تُنمُّ عن إشكالية فكرية شديدة لدى طالب العلم هذا، فهو لا يريد بعلمه وجه الله تعالى، وإنما يتعلم لحظ نفسه، ولتحصيل مكانة اجتماعية في الدنيا وسمعة بين الناس، وهذا نوع من المعاصي الذي يستحق فاعلها العقوبة إن لم يتبع منها.

وتظهر الإشكالية الفكرية أيضاً في مقصد هذا الإنسان من طلب العلم: «يصرف وجوه الناس إليه»، فـما تَعَلَّمَ إِلَّا لغايات دنيوية: المال والرياسة وخدمة الأتباع وغير ذلك. والذي يبدو من هذا الحديث الشريف أنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَوَرَ حالة فكرية لدى أشخاص من أمته يطلبون العلم الشرعي على هذا النحو، الذي هو تطرف فكري باعتباره خروجاً عن حد الاستقامة، ابتدأ بفساد نية هؤلاء الأشخاص، وترتب عليه اخترافات أخرى عديدة، مثل: الرياء، والكبير، والتفاخر، والتَّعَلَّم، والتَّعَاظُم، وتحقير العوام، وتصيد أموال الناس بغير حق.

وجاءت صورة المعاجلة النبوية الشريفة من جهتين - والله أعلم -:

(١) انظر: المصدر السابق (٣٢١/١).

**الأولى:** تصوير الحالة الرديئة لهذه الفئة من الناس، وهي حالة قديمة متتجددة، بل كثيرة في واقعنا المعاصر، فهم متطرفون منحرفون سيئوا الأخلاق، تقبلاًًاً هذه الحال، وتغييراً منها، لعلهم يرجعون عنها، وليلفظهم المجتمع المسلم ولا يقيم لهم وزناً إن هم بقوا على تلك الحال.

**الثانية:** توعدهم بالنار، قال الإمام الطبرى: "هذه وجوه ليس في شيء منها له رضى -يعنى الله تعالى-، ولا هو مما أقرَّ به ولا ندب إليه، بل زجر عنه ونهى، فحظ طالبه منه التقدم على معصية الله، والمتقدم على معصية الله النار أولى به، إن لم يعف الله جل ثناؤه عنه بفضله" (١).

وقال الإمام الفيومي: "فمن يطلب بالعلم الرياسة على الخلق، والتعاظم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويختضعوا له ويصرفوا إليه وجوههم، وأن يُظهر للناس زيادة علمه على العلماء أو ليعلوا به عليهم ونحو ذلك، فهذا وعيده النار؛ لأنَّ قصداً التكبر على الخلق في نفسه حرم، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان" (٢).

وربما يقال: لماذا كانت المعالجة بهذه الشدة: التصوير الذي يكشف رداءة حال هؤلاء، والوعيد بالنار؟

فالجواب -والله أعلم-: لأنَّ هذه الفئة عرفت مما تعلمته أنَّ الإخلاص شرط عمل كل مسلم، وأنَّ خلق العلماء التواضع ولين الجانب، وأنَّ هذه الأخلاق التي وقعوا فيها واستمرؤوها محرمة، ومع ذلك لم يعملا بما علموا، بل اتبعوا أهواءهم، وفضلوا الدنيا على الآخرة، فكان التشديد بحقهم أليق، لعله يكون لهم رادعاً وصارفاًً عما هم فيه.

(١) تحذيب الآثار للطبرى (٨٠٣/٢).

(٢) فتح القريب الجيب للفيومي (٣٧/٢).

وأيضاً يقال هنا: هذا النوع من المخالفات والانحرافات تتشربها النفوس حتى تراها حسنة، فلا يرجع صاحبها عنها إلا من تداركته رحمة الله، وإذا نظرنا إلى مجريات تاريخ المجتمعات الإسلامية وما ظهر فيها من اتجاهات وفرق منحرفة لوجدنا حظ منظريها وعرايبها من هذا الحديث كبير والعياذ بالله.

**الحديث الثالث:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خطبنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم فقال: «أيّها النّاسُ، قد فرض اللّه عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحِجُّوْا»، فقال رجلٌ: أَكُلُّ عَامَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ فَسَكَّتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلوات الله عليه وسلم: «لَوْ قُلْتَ: نَعَمْ، لَوْ جَبَتْ، وَلَا إِسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذُرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤْلَهُمْ، وَاحْتَلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمْرَتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا إِسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث ما يدل على كراهة المسائل وذمّها، ولكن بعض الناس يزعم أن ذلك كان مختصاً بزمن النبي صلوات الله عليه وسلم لما يخشى حينئذٍ من تحريم ما لم يحرم، أو إيجاب ما يشق القيام به، وهذا قد أمن بعد وفاته صلوات الله عليه وسلم، ولكن ليس هذا وحده هو سبب كراهة المسائل، بل له سبب آخر، وهو الذي أشار إليه ابن عباس رضي الله عنه بقوله: "ولكن انتظروا، فإذا نزل القرآن، فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وحدتم تبيانه"<sup>(٢)</sup>. ومعنى هذا: أن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لابد أن يبيّنه الله تعالى في كتابه العزيز، ويبلغ ذلك رسوله عنه، فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال، فإن الله تعالى أعلم بمصالح عباده منهم، فما كان فيه هداياتهم ونفعهم، فإن الله لا بد أن يبيّنه لهم ابتداء من غير سؤال، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ﴾

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (٩٧٥/٢) رقم (١٣٣٧).

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/٢٠) وإسناده ضعيف مسلسل بالضعفاء، لكن معناه صحيح، لذلك استدل به الحافظ ابن رجب في أكثر من موضع من كتبه، والله أعلم.

**لَكُمْ أَن تَضِلُّوا** ﴿النساء: ١٧٦﴾ [١]، وحيثُدِ فلا حاجة إلى السؤال عن شيء، ولا سيما قبل وقوعه وال الحاجة إليه، وإنما الحاجة المهمة إلى فهم ما أخبر الله به ورسوله، ثم اتباع ذلك والعمل به، وقد كان النبي ﷺ يسأل عن المسائل، فيحيل على القرآن<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً: أن المنهي عنه كثرة السؤال، أو التكلف والتتطع في الأسئلة والتطرف فيها، والاختلاف عليه ﷺ؛ لأن الاختلاف عليه ﷺ موجب للهلاك ولو من غير كثيرة، وليس المقصود ترك الأسئلة بالكلية<sup>(٢)</sup>، فإن السؤال من أجل العلم والعمل له مشروع وقد قال تعالى: **﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الْذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل: ٤٣].

ويقرر الحديث الشريف هنا الصفة التشريعية للنبي ﷺ، ومقتضها أنه ﷺ سيبين كل ما يحتاج إليه من أمر الشريعة وفق أمر الله تعالى، حيث يقول سبحانه: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُرِدُ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [النحل: ٤٤]، وعليه فإن هذا الحديث يتبّه الأمة إلى جملة من أسباب التطرف والانحراف عن الجادة، ومن ثم الهلاك، وهي -والله أعلم-

١. الاستعجال على النبي ﷺ، ذلك أن التشريع ينزل من الله سبحانه وتعالى بلسان عربي مبين، والرسول ﷺ يبلغه، وهو ظاهر الحكم والتوجيه فيما نزل فيه، وبما أن خطاب الحديث الشريف عام لجميع الأمة، ففيه تبيّه إلى أنه من شأن بعض النفوس أن تتطلع إلى تفاصيل إضافية، أو افتراض قضايا لم تقع، أو لا يحتملها النص والتوجيه الشرعي، فيحصل لديها دافع الاستعجال والإكثار من التساؤلات، وهو أمر لا ينبغي للمسلم أن يقع فيه بحضوره للنبي ﷺ؛ لما قد يؤدي إليه من

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (ص ٢٢٤).

(٢) ينظر: طرح التشريب (١١٧/٢)، مرقة المفاتيح (٥/١٧٤٠).

التشديد، ولما قد يُظن أنَّ في التشريع شيءٌ من النقص، فإذا وردت هذه الخواطر على الأذهان كانت سبباً في التطرف والانحراف.

والذى يظهر لي -والله أعلم- أنَّ هذه الصورة لا تخص المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم -وإنْ كان الخطاب يشملهم- فقد تبيَّنَ من التربية التَّبَوَّةَ وما أخبرت به سيرتهم العطرة أَهْمَّ كأنوا بعيدين عن ذلك، ولكن يأتى الصحابي من القبائل العربية خارج المدينة وهو مسافر فيكثر السُّؤال، أو يسأل عن أمرٍ تشريعيٍ يؤدِّي إلى التشديد كما في الحديث السابق، حيث قال الصحابي: "أَفِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟"، فجاء التوجيه التَّبَوَّيُّ الشَّرِيفُ بالمنع من هذه التساؤلات، لما تؤدي إليه من تشديد ومن ثم عجز عن القيام بالأمر، وإنما الدين يسر.

وربما كان من مقاصد الحديث الشريف -والله أعلم- قطعُ ألسنة المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام، ولا يريدون الخير للمسلمين، ولا يبعد من مثل هؤلاء أن تصدر عنهم تلك السُّؤالات غير المشروعة، أو الاختلافات على النَّبِيِّ ﷺ، وينسحب الأمر على كُلِّ من يأتي بعد الرَّعيل الأول، فالحديث مانع لهم من التساؤل والاختلاف المؤدي إلى التشكيك، وهو الذي دأبت عليه فرقة الخوارج وبخاصة نافع بن الأزرق الذي كان يتعَمَّدُ السُّؤال عن المتشابه<sup>(١)</sup>، وكذلك صَبَيْغُ بْنُ عِسْلٍ الذي أكثر من السُّؤال عن القدر<sup>(٢)</sup>،

(١) له مسائل عن ابن عباس في غريب شعر العرب ومتشابه القرآن، مطبوع باسم: "مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس ﷺ"، روایة أبي بكر الحنفي وأبي طاهر العلاف، تحقيق الدكتور أحمد الدالي، نشر مؤسسة الحفآن والجايي بقبرص عام ١٤١٣هـ.

(٢) قصة صبيغ وسؤاله عن القدر أخرجها الإمام مالك في الموطأ (٤٥٥/٢) رقم (١٩) بإسناد صحيح، والقصة مشهورة في كتب العقيدة.

وتتابع أهل الأهواء من بعدهم على هذا المنوال، فتطرقوها بُعداً عن الشريعة: إِنَّمَا غلوأً كحال  
الخوارج، أو تغريطاً كحال ابن عربي وأشباهه.

٢. الاعتراض على التشريع، وهذا مفهوم من قول النبي ﷺ: «كثرة اختلافهم على  
أنبيائهم»، قال علي بن أحمد الحزالي: «الاختلاف: انتقال من الخلاف وهو تقابل

بين اثنين فيما ينبغي انفراد الرأي فيه<sup>(١)</sup>، وهنالك حادثة على عهد النبي ﷺ  
تؤوي بالاعتراض، ففي حديث أبي هريرة رض: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قُضِيَ فِي امْرَاتِيْنَ  
مِنْ هَذِيلِ اقْتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا أُخْرِيَ بِحَجْرٍ فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَقُتِلَتْ  
وَلَدُهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُضِيَ أَنَّ دِيَّهَا مَا فِي بَطْنِهَا عُرِّهَ،  
عَبْدٌ أَوْ أَمَّةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي عَرِّمَتْ: كَيْفَ أَغْرِمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ لَا شَرِبَ وَلَا  
أَكْلَ، وَلَا نَطِقَ وَلَا اسْتَهَلَ، فَمَثَلَ ذَلِكَ يُطَلَّ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ  
إِخْوَانِ الْكَهَانِ»<sup>(٣)</sup>.

٣. التعتن والتقطع<sup>(٤)</sup>، وهو أَمْرٌ أَكْرَمَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى الصَّحَابَةُ بِالْبَعْدِ عَنْهُ، وَالَّذِي  
يُظَهِرُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّرَ مِنْهُ حِرْصًا مِنْهُ عَلَى صَاحِبَتِهِ الْكَرَامِ وَعَلَى  
سَلَامَةِ دِينِهِمْ، وَتَخْوِيفًا لِلْأَمَّةِ عَمومًا مِنَ الْوَقْوعِ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ

(١) فيض القدير للمناوي (٤/٣).

(٢) (يُطَلَّ) أي: يُهدر. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٣٦/٣. وفي المكتبة الشاملة (بطل) بالياء وهو خطأ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الكهانة (١٣٥/٧) رقم (٥٧٥٨) واللفظ له،  
ومسلم في صحيحه، كتاب القسامه والمحاربين، باب دية الجنين، ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه  
العمد على عاقلة الجاني (١٣٠٩/٣) رقم (١٦٨١).

(٤) انظر: شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣٥، ١٣٩).

شدّدوا على أنفسهم في قصة البقرة، وتنطعوا وعاجزوا في الأسئلة، فشدد الله تعالى عليهم حتى كاد أن يعجزهم، وتلاعبوا بعد ذلك في الأحكام وتحايلوا عليها، وهذا باب واسع من أبواب الاختلاف على الأنبياء، فكانت النتيجة العقوبات القاسية: اللعن، والمسخ، والقتل.

وأما المعاجلات النبوية فيمكن إيضاحها -والله أعلم- في الآتي:

أ. التنبية إلى مقام النبوة، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ مشرع، ولا يخفى أنَّ الشريعة كانت تأتي من حممة وفق نزول القرآن الكريم الذي فيه العام والخاص، والمطلق والمقيّد<sup>(١)</sup>، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك، فيجب الإيمان بأنَّ الشريعة ستكمّل في الحين الذي قدّره الله تعالى، وقد تم ذلك بنزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، كما قرر النبي ﷺ الصحابة على كمال تبليغه في حجة الوداع، وأشهد الله تعالى عليهم: «ألا هل بلغت، قالوا: نعم، قال: اللهم

(١) (المطلق) هو: "التناول لواحد لا يعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه". و(المقيّد) هو: "التناول لمعين، أو لغير معين موصوف بأمرٍ زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه". [روضة الناظر لابن قدامة ص ١٠١ ، ١٠٢].

أشهد»<sup>(١)</sup>. ومن ثم لا ينبغي أن يتعجل أحد شيئاً لم يرد فيه توجيهه، وإنما عليه التروي، والوثوق بكمال تبليغ النبي ﷺ.

والذي يظهر -والله أعلم- أن فكرة التعجل عموماً تحمل في طياتها سوء ظن، وربما انطوت على جانب - ولو يسير - من التباكي بالسؤال الذي يأتي لغير حاجة، لاسيما مع وجود اليهود في المدينة المنورة الذين كانوا يأتون ويتساءلون لغرض التعجيز أو التنطع أو الإساءة، فربما خشي النبي ﷺ على أحد من المسلمين أن يتأثر بطريقتهم، فمنع ذلك وحذر منه.

ب. التذكير بحالات الإلحاد في الأمم السابقة التي اختلفت على أنبيائها، ويُلمح من اقتران ذكر كثرة المسائل، والاختلاف على الأنبياء، أنَّ كلَّ واحد منهما مهلك من جهة، وأنَّ أحدهما يؤدِّي إلى الآخر من جهة أخرى، فتلك الأمم كانت تقف في وجه الأنبياء وتعارضهم بكثرة المسائل التي لا تعنيهم ولا يمكن الوصول إليها وبخاصة مسائل الغيب وصفات رب تبارك وتعالى وأحوال يوم القيمة<sup>(٢)</sup>، مصحوباً بالعزم على مخالفته، ومثل هذه الحالة تستحق العذاب العاجل والآجل وفق ما يقدره الله سبحانه وتعالى.

ومن شأن هذا التذكير والتحذير، أن يبتعد مجتمع الصحابة أولاً ثم الأمة المسلمة من بعدهم عن مثل هذه الطريقة المهلكة التي ينشأ عنها الافتراق وفساد الاعتقاد.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام مني (١٧٦/٢) رقم (١٧٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامية والمحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال

(٢) رقم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رض.

(٣) انظر: السراج المنير للعزيري (١٦٨/٣)، وشرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣٥).

وقد نبه المناوي أنَّ هذا الحديث الشريف، لا يشمل اختلاف الأئمة المحتهدين في الفروع، فإِنَّهُمْ جمِيعاً مُتَّبعُونَ للكتاب والسنة، ومجتهدون في فهم دلالات النصوص والقياس عليها، وهذا الفهم وتلك المقاييس المستندة إلى النص الشرعي يحصل فيها الاختلاف، ولا ضير فيه بِإِذنِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>، وإنَّما هو من التوسيعة على هذه الأُمَّة، وأدَلَّ شاهد على ذلك أداء بعض الصحابة لصلة العصر في الطريق إلى بنى قريظة، وآخرون صَلَوَهَا في بنى قريظة بعد فوات وقتها، وما لامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا منهم، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه: "قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ: «لَا يُصَلِّيَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرِيزَةٍ»، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الْطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَصْلِي حَتَّى نَأْتِيهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نَصْلِي، لَمْ يُرِدْ مَنْكُمْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ لِلَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُعْنِفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ"<sup>(٢)</sup>.

**الحديث الرابع:** حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: "أَنَّ نَفَرًا كَانُوا جَلُوسًا بِبَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ كَائِنًا فَقِيَءَ فِي وَجْهِهِ حَبُ الرَّمَانِ، فَقَالَ: «بِكَذَا أَمْرَتُمْ؟ أَوْ بِكَذَا بَعْثَمْ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بِعِصْمِهِ بَعْضَهُ؟ إِنَّمَا ضَلَّتِ الْأُمَّةُ قَبْلَكُمْ فِي مَثْلِ هَذَا، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مَمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ، انْظُرُوا الَّذِي أَمْرَتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوهُ بِهِ، وَالَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»<sup>(٣)</sup>. والخوار الذي دار بين الصحابة رضوان الله عليه كان في مسألة القدر، والإشكالية التي يمكن عزوها إلى التطرف تظهر -والله أعلم- في الآتي:

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (٢١٠/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حدثني خليفة (٨٢/٥) رقم (٤٠٠١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١/٤٣٤) رقم (٦٨٤٥) واللفظ له، وابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب في القدر (١/٦٣) رقم (٨٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/٧٩) رقم (١٣٠٨). قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/١٤): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات".

١. الخوض فيما لا يدركه العقل، فالصحابة رضي الله عنهم - وبعض الروايات تتحدث عن أربعين منهم - خاضوا في مسألة القدر هذه، والقدر المستقبلاً من الغيب الذي خفي عنا ، لذا استوقف النبي صلى الله عليه وسلم الجارية التي قالت: "وفينا نبيٌّ يعلم ما في غَدِّ" ، فقال لها: "لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين" <sup>(١)</sup> ، وقد نصّت الآيات الكريمة على أن هنالك قضايا غيبية كثيرة أخبر الله تعالى أنَّه خلقها وقدرها وأخفى علمها، منها مفاتح الغيب الخمسة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ وِلْدَهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّا ذَا عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّا ذَا تَكُُسِبُ غَدَّاً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]

٢. خروج الحوار عن المنهج الشرعي، فالنقاش كما يظهر من محمل روایات الحديث الشريف خرج عن حد النقاش المفيد إلى التنازع، وهو ما صرحت به بعض ألفاظ الحديث، أي أنهم وصلوا إلى حد التنازع والخصومة، وكانت آيات القرآن الكريم هي مستند كل طرف من أطراف النزاع، جاء في بعض الروايات: "هذا ينزع آية، وهذا ينزع آية" <sup>(٢)</sup>، فبدت آيات القرآن الكريم متعارضة، وهذا ما يفسر قول النبي ﷺ: «أن تضرروا كتاب الله ببعضه ببعض»، ومثل هذه الطريقة مفضية إلى ما هو أشد: أن يصير بعض أطراف النزاع إلى الجحود؛ لأنَّ الكلام كله في شيءٍ مما استأثر الله تعالى بعلمه، ولا سبيل للعقل إليه كما تقدم، وهذا ما وقع للقدرية فيما بعد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإِنَّ الْقَوْمَ تَنَازَعُوا فِي عِلْمٍ فَعَلَّمَ اللَّهُ سَبَّاحَهُ وَتَعَالَى مَا فَعَلَهُ، فَأَرَادُوا أَنْ يَشْتَبِئُوا شَيْئًا يَسْتَقِيمَ لَهُمْ بِهِ تَعْلِيلٍ فَعَلَهُ بِمَقْتَضِي قِيَاسِهِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب صلاة الخوف (١٥/٢) رقم (٩٤٦).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١٧٧/١).

سبحانه على المخلوقات، فوقعوا في غاية الضلال؛ إِنَّمَا بِأَنَّ فَعْلَهُ مَا زَالَ لَازِمًا لَهُ، وَإِنَّمَا بِأَنَّ الْفَاعِلَ اثْنَانٌ؛ وَإِنَّمَا بِأَنَّهُ يَفْعُلُ الْبَعْضَ، وَالْخَلْقُ يَفْعُلُونَ الْبَعْضَ، وَإِنَّمَا بِأَنَّهُ مَا فَعَلَهُ لَمْ يَأْمُرْ بِخَلْفِهِ، وَمَا أَمْرَ بِهِ لَمْ يَقْدِرْ خَلْفَهُ وَذَلِكَ حِينَ عَارَضُوا بَيْنَ فَعْلَهُ وَأَمْرِهِ، حَتَّى أَقْرَرَ فَرِيقٌ بِالْقَدْرِ وَكَذَبُوا بِالْأَمْرِ، وَأَقْرَرَ فَرِيقٌ بِالْأَمْرِ وَكَذَبُوا بِالْقَدْرِ، حِينَ اعْتَقَدُوا جَمِيعًا أَنَّ اجْتِمَاعَهُمَا مَحَالٌ، وَكُلُّ مَنْهُمَا مُبْطَلٌ بِالْتَّكْذِيبِ بِمَا صَدَقَ بِهِ الْآخِرُ<sup>(١)</sup>.

ويمكن بيان المعالجة النبوية لهذه المسألة -والله أعلم- في الآتي:

أ. التذكير بما يجب على المسلم فعله أو تركه في مسائل الغيب، وعدم الخوض فيما ليس من شأنه، ويظهر ذلك من قوله ﷺ: «بَهْذَا أَمْرَتُمْ؟ أَوْ بَهْذَا بَعْثَمْ؟»، فالالأصل في المسلم التسليم لأمر الله تعالى، وإن ظهر له شيء من حكمه تقدير الله ذلك فذلك خير، وإن لم يظهر له فليس له أن يتعمق وينقب؛ لأنَّه لن يستطيع إلى ذلك سبيلاً، يقول الإمام ابن بطة: "فَلَا يَنْبَغِي لِلْمَخْلُوقِ التَّطْلُعُ إِلَى مَا لَا سَبِيلٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ فَلَا يَسْأَلُ عَنِ الْحِكْمَةِ فِي الْقَدْرِ وَسِرِّ اللَّهِ فِيهِ فَالْوَاجِبُ إِلَيْهِ إِيمَانُ وَالشَّتَّلِيْمِ وَرَدُّ مَا اسْتُشْكُلَّ مِنْ حُكْمِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دُونَ أَنْ يَجْهَدَ نَفْسَهُ

لِلْسُّؤَالِ عَنِ الْحِكْمَةِ وَالسِّرِّ فِيهِ"<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا منهج السلف رضوان الله عليهم: الإمساك عن مسائل القدر، ولما أراد الحسن البصري رحمه الله - وهو من كبار التابعين - أن يشرح مسائل القدر ويتعرض لأوثنك المحادلين فيه: "لامه أهل العلم؛ لأنهم -والله أعلم- خافوا أن يكون في ذلك تقويةٌ مَا لبدعة القدرية مما

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١٦٧/١).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٢٥/٣).

يجُرّ كثيراً من النَّاس إلى مقالتهم، وفوق ذلك رأوا أَنَّ في الشرح والتفسير خالفةً لصنيع الكتاب والسنة من الإجمال، وأنَّه رِمَّاً أَدَى إلى الاختلاف والافتراق في الدين، فَكَفَّ رحْمَةُ الله تعالى عن ذلك<sup>(١)</sup>.

بـ. بيان المنهج الشرعي في التعامل مع آيات القرآن الكريم، وهو المنهج التكاملي التوافقي، جاء في بعض ألفاظ الحديث: «وَإِنَّمَا نَزَّلَ كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضَهُ بَعْضًا»، وأَمَّا الطريقة التي شاهدها النَّبِيُّ ﷺ وأغضبته فقد كانت معارضة آية بآية، وهذا هو مفهوم (الضرب)، ونتيجة مثل هذا النقاش -لو استمرّ- الإيمان ببعض الآيات، وتعطيل بعضها الآخر، وربما جحود شيء من معاني الآيات القرآنية الكريمة<sup>(٢)</sup>، وربما تطور الأمر أكثر من ذلك فصار هذا قَدَرِيًّاً وذلك حَبْرِيًّاً، ولذا منع النَّبِيُّ ﷺ من النقاش، فمظهر الغضب الذي بدا على محياه ﷺ، وسؤاله الإنكارى؛ يفيدان ذلك بوضوح.

تـ. بيان المنهج الشرعي في الفهم والتعلم، وهذا تابع في بعضه لمنهج التعامل مع آيات القرآن الكريم، ويضاف هنا أَنَّ ذلك التعامل ينبغي أن يكون عن علمٍ تامٍ وفهمٍ دقيق، وعن عدم العلم بالشيء، وخصوصاً في مثل قضايا القدر وعموم العبيبات؛ يتوقف الإنسان، ويسأل العالم به، جاء في بعض الروايات: «مَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا لَا، فَكُلُّهُ إِلَى عَالِمِهِ»، وكأنَّ النَّبِيُّ ﷺ يعاتبهم أن لم يرجعوا إليه ويسألهونه عمما جرى بينهم، فإذا ما أُنْبَرُ لهم به أو يصرفهم عنه، وفق المصلحة الشرعية ومقتضى الحكمة، والأظهر هنا -والله أعلم- الصرف عن هذه المسائل؛ لأنَّه لو كان هنالك مصلحة شرعية في الشرح والتفصيل لبادر إليه

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله للملجمي (٦٩/٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٨٥/٢).

المصطفى ﷺ وما تأخر عنه، فعدم تعرضه لذلك يؤكد أنَّ المصلحة الشرعية في  
الاشتغال بما أُمر به الإنسان، دون الذي لم يُؤمر به، والله أعلم.

### المطلب الثالث

#### التَّحْذِيرُ مِنْ تَقْليِدِ الْأَمْمِ فِي الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ

سبق معنا قضيتين حذر النبي ﷺ فيما أمرته من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة، وهما: ضرب كتاب الله تعالى ببعضه البعض، والاختلاف على الأنبياء، وفيما تقدم غنية عن الإعادة في هاتين القضيتين، وسأورد هنا ثلاثة أحاديث أخرى تحذر صراحة من اتباع طرفيات الأمم الأخرى في الدين والأخلاق، وهي:

**الحديث الأول:** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَتَتَّبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَيْرًا بِشَيْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسْلَكْتُمُوهُ». قلنا: يا رسول الله أليهود والنصارى؟ قال «فَمَنْ؟»<sup>(١)</sup>.

من الواضح جداً أن معرفة النبي ﷺ بطابع النفوس تصل إلى حد الإعجاز النبوى، وهذه الصورة المرسومة في هذا الحديث الشريف إنما هو حديث عن طبع التقليد والتغيير الذي يقع للأمم حينما لا تلتزم بثوابتها وقيمها، وربما يكون في بعض الحالات نزوعاً إلى عادة قديمة مع غياب المعرفة الشرعية الدقيقة في الأمر، كما في حديث الحارث بن مالك أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: "لما افتتح رسول الله ﷺ مكة خرج بنا معه قبل هوازن، حتى مررنا على سدرة الكفار، سدرة يعكفون حولها ويدعونها ذات أنواط، قلنا: يا رسول الله، أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إله السنن، هذا كما قال بني إسرائيل موسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ﴾ قال إِنَّكُمْ قَوْمٌ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٤/١٦٩) رقم (٣٤٥٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٤/٢٠٥٤) رقم (٢٦٦٩).

تَجْهَلُونَ ﴿الأعراف: ١٣٨﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ لَتَرْكِبُنَّ سَنَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب: "فالتشبه بالمرتكبين والمغضوب عليهم والضالين من أهل الكتاب منهى عنه ولا بد من وقوعه في هذه الأمة كما أخبر به الصادق المصدوق <عليه السلام...".

قال ابن عيينة: "كان يقال من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى". ووجه هذا: أنَّ الله ذم علماء اليهود بأكل السحت، وأكل الأموال بالباطل والصد عن سبيل الله، وبقتل النبيين بغير حق، وبقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، وبالتكبّر عن الحق وتركه عمداً خوفاً من زوال المأكل والرياسات، وبالحسد وبقسوة القلب، وبكتمان الحق، وتلبيس الحق بالباطل، وكل هذه الخصال توجد في علماء السوء من أهل البدع ونحوهم، ولهذا تشبهت الرافضة باليهود في نحو من سبعين خصلة، وأمّا النصارى فذمّهم الله بالجهل والضلال، وباللغو في الدين بغير الحق، ورفع المخلوق إلى درجة

(١) أخرجه الإمام الشافعي في السنن المأثورة (ص ٣٣٨) رقم (٤٠٠)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٦٨٢/٢) رقم (١٤٤٣)، والحميدي في المسند (٩٨/٢) رقم (٨٧١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٨/٢١) رقم (٤٠١٥٨)، وأحمد في المسند (٣٦/٢٢٥) رقم (٢١٨٩٧)، والترمذى في الجامع (٤٩/٤) رقم (٢١٨٠)، والنمسائي في الكبرى (١٠٠/١٠) رقم (١١١٢١)، وابن حبان كما في الإحسان (٦/٧٤) رقم (٤٩٠٠) واللفظ له، وإنسناه صحيح، قال الترمذى: "هذا حديث حسن صحيح".

لا يستحقها، حتى يدعى فيه الإلهمية، واتباع الكبراء في التحليل والتحريم، وكلّ هذا يجد في جهال المسلمين المتسبّبين إلى العبادة من هذه الأمة"<sup>(١)</sup>.

قلتُ: وإنما ذمَّ الله تعالى اليهود والنصارى لوقوعهم في الإفراط والتغريط، لذلك نهى الله تعالى عن اتباع سبيلهم حتى لا يقع المسلمون بما وقعوا فيه، وهذا وصفهم الله تعالى في كتابه بأَكْثَمْ أَمَّةً وسَطَا، حيث قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَمْ أَمَّةً وَسَطَا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدواً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وما لا شك فيه -والله أعلم- أنَّ الحديث الشَّرِيف يصور أخطر حالات التطرف عند الإنسان، وهي التقليد العام الأعمى، وتمثل في حالة التغريط في المعتقدات، وفي الأخلاق، بل يستعرق كذلك التصرفات السلوكية العادبة التي من المفترض أن يكون لكل إنسان سمتٌ خاصٌّ به، وكل ذلك ناشئ عن الإعراض عن الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "من أعرض عن الكتاب وعارضه بالمعقولات، لا بد له من كتمان أو كذب أو تحريف أو أمية، مع عدم علم، وهذه الأمور كلها مذمومة، دل ذلك على أنَّ هؤلاء مذمومون في كتاب الله، كما ذمَّ الله أشباههم من أهل الكتاب، وأنَّ هؤلاء وأمثالهم دخلوا في قوله ﷺ الذي ثبت عنه في الصحيح، الذي قال فيه: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حدو القدة بالقدة، حتى لو دخلوا حجر رض لدخلتموه»"<sup>(٢)</sup>.

(١) الحكم الجديرة بالإذاعة (ص ٤٣-٤٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/٢٢٧).

وتأتي المعالجة النبوية من خلال إنكار هذه الحالة المزرية وتعير أهلها وتوبخهم، وتقبيح فعلهم<sup>(١)</sup>، الأمر الذي يعني النهي عن اتباع الأمم الأخرى غير المسلمة أو التشبه بهم، فالحق والباطل لا يجتمعان، ومن مال بهوا إلى تلك الأمم وشرائعها وأخلاقها فلابد أن يترك دينه بقدر ذلك الميل.

وَذِكْرُ النَّبِيِّ ﷺ لـ «جُحْرُ الضَّبِّ» إِنَّمَا هُوَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّوْبِيخِ مِنْ جَهَّةِ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي تَصْوِيرِ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، قَالَ الْإِمَامُ الْمَنَawi: "وَخَصَّ جُحْرُ الضَّبِّ لِشَدَّةِ ضَيْقِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا لَا قَتْفَائِهِمْ آثَارُهُمْ وَاتِّباعُهُمْ مِنْاهُجُهُمْ لَوْ دَخَلُوا فِي مَثْلِ ذَلِكَ الضَّيقِ الرَّدِيءِ لَوَاقِفُوهُمْ" <sup>(٢)</sup>.

وما هذا النهي وذاك التقبيح إلا لتبقى الأمة المسلمة محافظة على صبغتها وشخصيتها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ وَ عَلِيِّدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وتبقي لها الريادة والمكانة الرفيعة بين الأمم.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحديث يتناول الأغلب من أفراد أمَّةِ الإسلام، ولا يشمل الجميع، فالطائفة المنصورة تسلم من ذلك كله، يقول النبي ﷺ: «لَا تزال طائفةٌ مِّنْ أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ، لَا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» <sup>(٣)</sup>.

**الحديث الثاني:** حديث أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها: "أَنَّ أَمَّ حَبِيبَةَ وَأَمَّ سَلَمَةَ ذَكَرْتَا كَنِيسَةَ رَأَيْنَاهَا بِالْحَبْشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرَ، فَذَكَرْتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (٤٦٥/٣).

(٢) فيض القدير للمناوي (٢٦١/٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ «لَا تزال طائفةٌ مِّنْ أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ» (١٥٢٣/٣) رقم (١٩٢٠).

أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور،

فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة<sup>(١)</sup>.

في الحديث إشارة للنهي عن اتخاذ القبور مساجد، وعن التصوير؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى الغلوِّ فيها مستقبلاً، قال الإمام ابن بطال: "فيه نهيٌ عن اتخاذ القبور مساجد، وعن فعل التصوير. قال المهلب: وإنما نهى عن ذلك -والله أعلم- قطعاً للذرعية، ولقرب عبادهم الأصنام، واتخاذ القبور والصورة آلة"<sup>(٢)</sup>.

و(التوحيد) هي القضية الرئيسية في هذا الحديث الشريف، حتى وإن لم تذكر على نحو صريح، ولكن الحديث يتناول مشهداً رأته أمهات المؤمنين أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما بأرض الحبشة، رأتا كنيسة فيها تصاوير، والمعهود في الكنائس أن توضع فيها صور يزعمون أنها لعيسى وأمه مريم عليهما السلام، بالإضافة إلى تماثيلهما، وكذلك صور لرجال عندهم يسمونهم (قديسين)، والمعارف عندهم عند الدُّخول إلى الكنائس الركوع أمام تلك التصوير والتتماثيل على هيئة الخناءة الرأس، وهو نوع من العبادة لغير الله تعالى، فهؤلاء جمعوا بين عدة أمور تدل على التطرف المؤدي إلى الكفر والعياذ الله تعالى:  
 أولاً: اتخاذ تلك التصوير المحرمة، وكان الغرض أن "يأتيسوا بِرُؤْيَةِ تِلْكَ الصُّورِ ويتذَكَّرُوا  
 أفعالم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله عند قبورهم"<sup>(٣)</sup>، حتى دخلهم بعد

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: هل تتبش قبور مشركي الجاهلية ويُتَخَذُ مَكَانُهَا مساجد (١/٩٣) رقم (٤٢٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد وموضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (١/٣٧٥) رقم (٥٢٨).

(٢) شرح صحيح البخاري (٢/٨٢).

(٣) عمدة القاري للعیني (٤/١٧٤).

حين تعظيم هؤلاء، ثم لما تقادم عليهم العهد عبدوهم من دون الله، فكانت التصاویر، وهي حرمّة ابتداءً، ذريعة إلى حرمّ أعظم وهو الكفر بالله تعالى.

ثانياً: التخاذ واسطة بين هؤلاء وبين الله تعالى، ويظهر ذلك من الاستعانة بتلك التصاویر في بداية الأمر؛ لتكون دافعاً لهم على العبادة والاجتهاد، وهو خطأ وانحراف عقدي بحد ذاته، وهذا هو سبب ضلال المشركين وكل من شاكلهم على هذه الحال، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَتَخْذُلُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلَيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

ثالثاً: تغليب الأهواء على شرع الله تعالى، فالتخاذ التصاویر إنما هو من اتباع المهوی، وبناء القبور على المساجد كذلك اتباع لل فهوی، وعدم الرجوع إلى شريعة الله تعالى والالتزام بها اتباع لل فهوی أيضاً، وما زال لهم الحال في اتباع فهوی حتى خرجو عن التوحيد إلى الكفر، نسأل الله السلامة والعافية.

**وتبدو المعالجة النبوية -والله أعلم- فيما يأتي:**

١. تحريم تصویر الآدميين على سبيل التعظيم، وجمهور العلماء على تحريم ذوات الأرواح مطلقاً<sup>(١)</sup>؛ لعموم الحديث الشريف: «لَعْنَ النَّبِيِّ ﷺ الْوَالِيَّةَ وَالْمُسْتَوْثِيَّةَ وَأَكْلَ الرِّبَّا وَمُوكِلَةَ، وَهَنَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَكَسْبِ الْبَغْيِ، وَلَعْنَ الْمُصَوَّرِينَ»<sup>(٢)</sup>، وأحاديث أخرى. والحديث الذي بين أيدينا يشير -والله أعلم- إلى إحدى حِكم تحريم تصویر الآدميين

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠٢/١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنکاح الفاسد (٦١/٧) رقم (٥٣٤٧) من حديث أبي جحيفة رض.

لأجل التعظيم، وبخاصة ما كان على هيئة التمايل، وهي سد ذريعة عبادة هذه التصاوير من دون الله تعالى.

٢. تحريم اتخاذ المساجد على القبور، فقد وصف النبي ﷺ فاعلي ذلك بأنهم «شارار الخلق»، وإنما سُمُوا بذلك لضلالهم، وسَنَّهم ملن بعدهم الغلو في قبور صالحهم، حتى أفضى بهم ذلك الغلو إلى عبادتها، وهو عامٌ فمن فعل فعلهم من هذه الأمة، وأي زجر وأي تغليظ وتقرير وتعيير أبلغ من هذا؟! (١).

وما يرد على الدهن في تحريم اتخاذ المساجد على القبور، أنَّ المسجد للعبادة، فإذا كان مبنياً على قبر يعتقد العامة في صاحبه أنَّه صالح أو مبارك؛ فإنَّ هذا التجاوز يحصل في الانحراف العقدي، ويجعل عبادة الناس لتلك القبور وتعظيمها ميسراً، لذا كان التحريم والزجر، واللعن كما سيأتي في الحديث التالي.

**الحديث الثالث:** عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: "لَمَّا نَزَّلَ بِرْسُولُ اللَّهِ ﷺ، طَفِيقٌ يَطْرُحُ خَمِيسَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا أَعْتَمَ إِلَيْهَا كَشْفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذِيلُكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اخْتَدُوا قُبُورَ أَنْبِيَاءِهِمْ مَسَاجِدٍ». يُحَدِّرُ مَا صَنَعُوا" (٢).

وهذا الحديث مماثل للحديث الثاني، فإنه يتعلّق بتوحيد الله تعالى ومنع الشرك. وتحلّى صورة النهي في التحذير من البناء على القبور وتصوير الصور من أجل سد الطرق الموصولة إلى التشدد والغلو، فيقعوا فيما حرم الله تعالى من الشرك، قال الإمام

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسim (ص ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل (٤/١٦٩). رقم (٣٤٥٣-٣٤٥٤).

القسطلاني: "فَحَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ مَثْلِ ذَلِكَ سَدًا لِلنَّذِيرَةِ الْمَوْدِيَّةِ إِلَى ذَلِكَ<sup>(١)</sup>"، وهو الغلو في تعظيم هذه القبور والوقوع في الشرك، فتظهر معالجة النبي ﷺ لهذا الموقف ابتداءً قبل أن تقع فيه أمهاته، والتحذير من اتخاذ سبيل من غلو في تعظيم صالحهم من اليهود والنصارى. وقد علم النبي ﷺ أنَّ الأُمَّةَ تَعْظِمُ مَا لَهُ مِنَ الْخَصَائِصِ الَّتِي امْتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِهَا، فهو خليل الرحمن، وهو رسول الله، وهو المبعوث رحمة للعالمين، وهو أكمل النَّاسِ خُلُقاً، وقد أُمِرُوا بِغَضْبِ الصَّوْتِ عَنْدَ مُنَاجَاتِهِ، وَإِجَابَتِهِ إِذَا دَعَاهُمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ السَّجَادَاتِ الَّتِي تَدْفَعُ بَعْضَ النَّاسِ إِلَى تَجاوزِ الْحَدِّ الشَّرِعيِّ فِي التَّعْظِيمِ وَالاحْتِرامِ.

وَبِمَا أَنَّ نَوْاعِزَ النَّفُوسَ نَحْوَ الْمُبَالَغَةِ مُتَوَاتِرٌ بَيْنَ بَنِيِّ الْإِنْسَانِ لَدِيِّ الْأَمَمِ السَّابِقَةِ مِنْهَا وَالْمُلَاقَةِ، وَلَدِيِّ فَتَاتَاتِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لَذَا عَالَجَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ الْأُخِيرَةَ قُبْيلَ وَفَاتِهِ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ، فَشَدَّدَ النَّهْيَ وَالْتَّحْذِيرَ، وَذَكَرَ صَنْعَ الْأَمَمِ السَّابِقَةِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالتَّقْبِيحِ، وَصَرَّحَ بِلَعْنَتِهِمْ، وَالْمَلَوْنَ مُطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

وَالْغَايَا مِنْ ذَلِكَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- مَنْعُ الْوَسَائِلِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى الشَّرِكِ، فَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَنْ يَعْدُوا قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنْ فَكْرَةُ التَّعْظِيمِ مَعَ الْحَمَاسَةِ وَارْدَةٌ عَنْ جَيلِ التَّابِعِينَ، فَقَدْ قَالَ فَتَّى حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنه: "يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وَصَحْبَتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَكَيْفَ كَتَمْتُمْ تَصْنِعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَنَا بِنَجَاهِدِهِ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكَنَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَلَحْمَلَنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا"<sup>(٢)</sup>، وَلَا

(١) إرشاد الساري للقسطلاني (٤٣٠/١).

(٢) أخرجه ابن هشام في سيرته (٢٣١/٢) والإمام أحمد في المسند (٣٥٨/٣٨) رقم (٢٣٣٣٤)، والموزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٣٣/١) رقم (٢١٥)، والطبراني في تفسيره (٢١٥/٢٠) قال محققو المسند: "حديث صحيح".

يزال بالنّاس النزوع إلى المبالغة والتطرف حتى يأتي مَن يبدأ بتعظيم القبر، ومع جريان الأيام يعتاد الناس ذلك مع ازدياد المبالغة حتى يصلوا حتماً إلى الشرك، وقد وقع ذلك مما نراه اليوم لدى المتصوفة الغلاة، ولدى الشيعة الرافضة وغيرهم من أهل المبالغات البدعية، والإحداث في الدِّين ما ليس منه.

وهنالك معالجة أخرى تتمثل في (لن عن تلك الأمم) التي اخْتَذَت قبور الأنبياء مساجد، واللَّعن يجعل المسلم يتوقف عند حدود النُّصوص الشرعية، ويستذكر حقائقها ودلائلها، فهو ابتداءً لا يريد أن يقع في دائرة اللَّعن هذه التي تجعله مع الكفارة في دائرة واحدة، كما أنه يستحضر ما علم من الشَّرِيعَة أنه ليس عند قبر النَّبِيِّ ﷺ مصلحة من مصالح الدِّين وقربة إلى رب العالمين إلا وهي مشروعة في جميع البقاع، فلا ينبغي أن يكون صاحبها غير معظم للرَّسُول ﷺ التعظيم النام والمحبة التامة إلا عند قبره، بل هو مأمور بهذا في كل مكان<sup>(١)</sup>، ولذا كان من سمات السَّلْف الصَّالِح وكل من سار على هديهم أن يستقبلوا قبر النَّبِيِّ ﷺ بالسَّلام فقط، وإذا ما أرادوا الدُّعاء التفتوا إلى القِبْلَة<sup>(٢)</sup>.

(١) الإختنائية لابن تيمية (ص ٣٦٥).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٤٤٤/٢).

المطلب الرابع

## توجيه الأمة إلى التيسير المنضبط شرعاً

من كمال الشريعة، التيسير على العباد، ودفع المشقة عنهم، نصّ على ذلك كتاب الله تعالى، حيث يقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقد تواترت كلمات العلماء والجتهدين في بيان تيسير الشريعة الإسلامية، وبخاصة عند حديثهم عن الرّحمة والعزم في العديد من الأحكام الشرعية، وعُرف ذلك من عمل النبي ﷺ، وفيما يخص النص على التيسير في السنة المشرفة فاختار من جملة ما ورد فيها؛ الأحاديث الآتية:

**الحاديـث الأول:** عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "ما حُبِّرَ رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أمرین، أحدهما أيسر من الآخر، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً، كان أبعد الناس منه"<sup>(١)</sup>.

الحاديـث فيه إـشارة إلى التـيسير عـلى النـاس وـعدم الغـلو والتـشدـيد، وهذا التـيسير مـشروعـاً  
بـأـلـا يـكـون إـثـماً، فـإـذـا كـان إـثـماً كـان النـبـي ﷺ أـبـعـد النـاس عـنـه، قـال الإـمام اـبـن بـطـّـالـ: "ما لـم  
يـكـن إـثـماً فـي أـمـور الدـين، وـذـلـك أـنَّ الغـلو فـي الدـين مـذـمـومـ، وـالتـشدـيد فـيـه غـير مـحـمـودـ" (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦٠)، ومسلم في صحيحه -واللفظ له-، كتاب الفضائل، باب مبادرته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله (٤/١٨١٣) رقم .(٢٣٢٧)

(٢) شرح صحيح البخاري (٤٠٥/٨).

والحديث هنا يعالج هذه الإشكالية وهي العلوّ التي تمثل الجانب الأكبر من التطرف بين الناس، وقد تقدم معنا التحذير من مظاهر عديدة كان الغلو والتشدد سبباً إليها، وربما أوصل إلى الكفر.

والمعالجة النبوية هنا تكمن في التيسير المنضبط، فقد كان النبي ﷺ مقصوداً من الصحابة بالمشورة والتوجيه والإرشاد، ويبدو من ظاهر كلام أم المؤمنين عائشة أنَّ الصحابة كانوا يعرضون عليه أموراً فيها اختيارات، فيختار النبي ﷺ الأيسر لهم الذي لا يوقعهم في الحرج، فعلى سبيل المثال: في قصر الصلاة في السفر حال الأمن، قال ﷺ:

«صدقَ اللَّهُ بِمَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبِلُوا صِدْقَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

ومع حالة التيسير العامة التي انتهجها النبي ﷺ وعلّمها أمته، تنبأنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى تقييد هذا العام بعدم المخالفنة الشرعية، يقول الإمام ابن بطال: "ما خَيَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكِتَابَ أَصْحَابُهُ بَيْنَ أَنْ يَخْتَارَ لَهُمْ أَمْرَيْنِ مِنْ أَمْرَيْنِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الْمُشُورَةِ وَالْإِرْشَادِ إِلَّا اخْتَارَ لَهُمْ أَيْسَرَ الْأَمْرَيْنِ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ فِي الْأَيْسَرِ إِثْمٌ؛ لَأَنَّ الْعَبَادَ غَيْرَ مَعْصُومِينَ مِنْ ارْتِكَابِ الْإِثْمِ"<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا الباب كان النبي ﷺ يمنع الصحابة من التشديد على أنفسهم، ومثال ذلك منعه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه من مواصلة الصيام، قال: "أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكِتَابَ أَيْقُولُ: وَاللهِ لَا أَصُومُنَّ النَّهَارَ، وَلَا أَقُومَنَّ اللَّيلَ مَا عَشْتُ". فقلت له: قد قلت به بأبي أنت وأمي، قال: «إِنَّكَ لَا تُسْتَطِعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعْشَرَ أَمْثَالَهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ»، قلت: إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قال: «فَصُمْ يَوْمًا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها (٤٧٨/١) رقم (٦٨٦).

(٢) شرح صحيح البخاري (٤٠٥/٨).

وأفطر يومين»، قلت: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَصُومُ يَوْمًا، وَأَفْطُرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامٌ دَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ»، فَقَلَتْ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(۱)</sup>.

وفي الجملة فإن التوجيه النبوى الكريم يتلخص في الأخذ بالأرقى والأيسر، وترك التكليف وطلب ما لا يطاق، وفي ذلك تعبد الله تعالى، كما قال الإمام ابن القيم: "باسمه البر اللطيف المحسن الرفيق، فإنه رفيق يحب الرفق، ... لما فيه من روح التعبد باسم الرفيق اللطيف، وإيجام القلب به لعبودية أخرى، فإن القلب لا يزال يتنقل في منازل العبودية، فإذا أخذ بترفيه رخصة محبوبه استعد بها لعبودية أخرى، وقد تقطعه عزيمتها عن عبودية هي أحب إلى الله منها، كالصائم في السفر الذي ينقطع عن خدمة أصحابه، والمفتر الذي يضرب الأبنية، ويستقي الركاب، ويضم الماء"<sup>(۲)</sup>.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن التيسير الذي اصطبغت به الشريعة الإسلامية، لا يكون إلا وفق النص من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، وأن تفهم تلك التصوص وفق الضوابط والقواعد الأصولية ومن قبل أهل الاجتهاد، ولا يكون التيسير بالهوى أو مجارة رغبات الناس، فذلك من الإثم الذي لا يقبله الرسول ﷺ، بل هو خروج عن الجادة والاستقامة.

(۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم الدهر (۴۰/۳) رقم (۱۹۷۶) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًا (۸۱۲/۲) رقم (۱۱۵۹).

(۲) مدارج السالكين لابن القيم (۴۹/۱).

**الحديث الثاني:** عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن، قال: «يَسِّرْا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَوَّعَا وَلَا تُخْتَلِفَا»<sup>(١)</sup>.

في الحديث وصيته صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما بالتسهيل على الناس وترك التشدد والغلو في الدعوة إلى الله تعالى، ولا سيما من كان حديث عهده بإسلام، قال القاضي عياض: " فيه ما يجب الاقتداء به من التيسير في الأمور، والرفق بالناس، وتحبيب الإيمان إليهم، وترك الشدة والتنفير لقلوبهم، لا سيما فيمن كان قريب العهد به، وكذلك يجب فيمن قارب حد التكليف من الأطفال ولم يتمكن رسوخ الأعمال في قلبه ولا التمرن عليها، ألا يشدد عليه ابتداء؛ لئلا ينفر عن عمل الطاعات، نعم وكذلك يجب للإنسان في نفسه في تدريبيها على الأعمال إذا صدق إرادته ألا يت遁ئها أولاً إلا بتدريج وتيسير، حتى إذا أنسنت بحاله ودامت عليها، ينقلها حال آخر، وزاد عليها في عمل أكثر من الأول، حتى يرى قدر احتمالها، ولا يكلفها ما لعلها تعجز عنه ولا يدوم عليه"<sup>(٢)</sup>.

والوصية في هذا الحديث الشريف تدخل في إطار التيسير العام المنضبط الذي شرعه لنا الله تعالى ورسوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن الخطاب هنا إلى اثنين من ولاته صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معاذ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، وخصّهما بهذه الوصية -والله أعلم-؛ لأنَّه من شأن الأمارة أن يكون فيها شدة وحرز، والناس حديث الإيمان، بل وفيهم من ليس بمؤمن (أهل كتاب)، فالعمل المناط بمعاذ وأبي موسى الأشعري ذو شقين: تعليمي للمؤمنين، ودعوى لغير المؤمنين، وال الحاجة إلى التيسير المنضبط قائمة في الحالتين، والقاسم المشترك أن كلا الفترين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب (٤/٦٥) رقم (٣٠٣٨) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتسهيل وترك التنفير (٣/١٣٥٩) رقم (١٧٣٣).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/٣٧).

تشتريكان في الحاجة إلى الاستئناس والتيسير، وهذا ما يفسر ابتداء النبي ﷺ بالتيسير والتبشير، والتعليق عليهما بالنهي عن التعسir والتنغير، وصياغة هذه الجملة فيها مقابلة معنوية كما قال الإمام الطيبي: "إذا الحقيقة أن يقال: بشروا ولا تنذروا، واستأنسوا ولا تنفروا، فجمع بينهما ليعم البشارة والنذارة الاستئناس والتنغير" (١).

وهناك إشكالية ضمنية تعيق التيسير والتبشير أشار إليها النبي ﷺ -والله أعلم- في قوله: «وَتَطَاوِعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»، ذلك لأنَّ الاختلاف مؤدٌ حتماً إلى التشديد والتنغير، لما يعكسه من صورة ضبابية عن الدعوة وأحكامها، الأمر الذي يوقع حديثي الإسلام في حيرة، ويدفع غير المسلمين إلى التوقف عن القبول.

فالمعالجة النبوية هنا ظهرت في التوجيه أولاً إلى التبشير والتيسير ثم التحذير مما يؤثر عليهم.

وهناك معالجة أخرى تفهم -والله أعلم- من عموم هذا النص، ومن قول النبي ﷺ لمعاذ في حديث آخر: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ» (٢)، هي صورة فهم العالم والداعية للواقع، فالتيسيـر والبـشـارة مرتـبـطة بـوـاقـعـ النـاسـ وأـحـواـلـهـ، وما الـذـي يـنـاسـبـهـمـ منـ التـيـسيـرـ، وما الـذـي يـتـأـلـفـهـمـ وـلاـ يـنـفـرـهـمـ، وـمـقـىـ تـكـونـ النـذـارـةـ ضـرـورـيـةـ وـمـوـاتـيـةـ، شـرـيـطـةـ أـنـ يـقـنـىـ ذـلـكـ فيـ إـطـارـ الشـرـيـعـةـ وـنـصـوصـهـاـ.

(١) شرح المشكاة للطيبي (٨/٢٥٩٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/٤٩٨) رقم (٢٠٧١)، والدارمي في المسند، كتاب الزكاة، باب في فرض الزكاة (٢/١٠٠٥) رقم (١٦٥٥)، وأبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة (٣٤/٣) رقم (١٥٨٤)، والترمذـيـ فيـ جـامـعـهـ، أـبـوـابـ الزـكـاةـ عـنـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ، بـابـ ماـ جـاءـ فـيـ كـراـهـيـةـ أـخـذـ خـيـارـ مـالـ فـيـ الصـدـقـةـ (٢/١٣) رقم (٦٢٥)، والنـسـائـيـ فـيـ السـنـنـ، كـتـابـ الزـكـاةـ، بـابـ وجـوبـ الزـكـاةـ (٥/٢) رقم (٢٤٣٥)، وابن ماجـهـ فـيـ السـنـنـ، أـبـوـابـ الزـكـاةـ، بـابـ فـرـضـ الزـكـاةـ (٣/٥) رقم (١٧٨٣). قال الترمذـيـ: "حـدـيـثـ حـسـنـ صـحـيـحـ".

**الحديث الثالث:** عن الأزرق بن قيس أنه قال: "كنا بالأهواز نقاتل الح耀بة، فبينا أنا على جرف نهر، إذا رجل يصلي، وإذا لجام دابته بيده، فجعلت الدابة تنازعه، وجعل يتبعها، قال شعبة: هو أبو بزة الإسلامي، فجعل رجل من الخوارج يقول: اللهم افعل بهذا الشيخ، فلما انصرف الشيخ قال: إني سمعت قولكم، وإني غزوت مع رسول الله ﷺ سنت غَرَوَاتٍ، أو سبع غَرَوَاتٍ، أو ثمان، وشهدت تَيْسِيرَهُ، أَنْ كُنْتُ أَنْ أَرْجِعَ مَعَ دَائِيَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعَهَا تَرْجِعُ إِلَى مَأْلِفِهَا فَيَسْقُطُ عَلَيَّ" (١).  
وفي لفظ آخر للإمام البخاري فيه زيادة: قال أبو بزة: "ما عنتَني أحد منذ فارقت رسول الله ﷺ" (٢).

في الحديث بيان أبي بزة الإسلامي ﷺ حال النبي ﷺ في غزواته مع أصحابه، فكان أحسن الناس تعاملًا ﷺ مع أصحابه، فينقل حاله أنه شهد تيسيره في ست أو سبع أو ثمان غزوات، وفي هذا رد على غلوّ الخارجي الذي جعل يدعو على أبي بزة لما رأه يتبع دابته حتى لا تنفلت منه، مع بيان أنّ هذا ليس منهج النبي ﷺ.

والغرض من إيراد هذا الحديث هنا هو: بيان سلبيات حالة الجهل ومثالب الغلو والتطرف، وإشكالية تصدي أمثال هؤلاء للحكم على الآخرين، وأسوأ منه التصدي للفتوى، ويلحظ على هذا الرجل الخارجي أو الذي يرى رأيهم كما في الرواية الأخرى؛ أن جعل من نفسه مفتياً مع جهله وسوء خلقه، فبادر إلى سب الصحابي أبي بزة ﷺ والدعاء عليه، ولو كان لديه عقل وعلم، لتأتي قليلاً واستفسر قبل أن يبادر إلى ما قال.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة (٦٤/٢) رقم (١٢١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا (٨/٣٠) رقم (٦١٢٧).

والمتأمل في موقف أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه يجد معالجة راقية جداً، يتحلى فيها أثر التربية النبوية: وعken إجمالها في الآتي:

١. تُرْفَعُ أبي برزة رضي الله عنه عن سلوك الخارجي، فلم يجراه في التعنيف ولا الدعاء الذي تفوه به، بل يظهر أنّه ترَقَّع عن الخطاب المباشر مع ذلك الرجل ابتداءً.
٢. عَلِمَ أبو برزة رضي الله عنه الحاضرين ما جهلوه، فذكر لهم سيرة النبي صلوات الله عليه وسلم المتواترة في التيسير، مؤكداً ذلك بذكر عدد الغزوات.
٣. أظهر عذرَه في لحاقه بالفرس وهو في الصلاة وإمساكه بزمامها ثم إكمال الصلاة، وهو دفع المشقة عن نفسه لو تركها تذهب، وهو عَلِمَ تعلمه من رسول الله صلوات الله عليه وسلم، ومن حقّ المسلم أن يعمل بهذا التيسير، ويدفع المشقة عن نفسه.
٤. إشعار أبي برزة رضي الله عنه جماعة المسلمين الحاضرة إلى الأخذ على يد أمثال هؤلاء من الغلة، وعدم إتاحة الفرصة لهم للتصدي للفتوى والحكم على الناس، ويفهم ذلك من قوله رضي الله عنه: "ما عَنِّي أَحَدٌ مِنْذُ فَارَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ". وبما أنَّ الصَّالِح في هذه الجماعة كان هو الأصل والأعمَّ لذلك ظهرت استجابتهم على الفور، فقد ذكر الحميدي أَنَّمَّا قالوا للرجل: "مَا نَرَى اللَّهَ إِلَّا مُخْزِيكَ، سَبِّبْتَ رِجْلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ" (١).

---

(١) الجمع بين الصحيحين للحميدي (٥٦٧/١).

## الخاتمة

القضية الفكرية والسلوكية إشكالية بشرية، تستفزها الأهواء والرغبات والوسوس، فتأخذ بها ذات اليمين وذات الشمال، وتأتي الرسائل السماوية لتحافظ على الاستقامة الفكرية والسلوكية، ولتعالج ما انحرف منها فوصل إلى حد التطرف المتشدد أو التطرف المفرط، وفي السنة النبوية معين لا ينضب من تلك المعالجات، وأبرز ما توصل إليه الباحث من النتائج هو:

أولاً: التطرف لا يتوقف عند حد الغلو، فهو يشمل الإفراط والتشدد، كما يشمل التفريط والتساهل، والمدلول اللغوي واضح في هذه الدلالة.

ثانياً: لم يخل زمن بشري - فيما ظهر لي من الاستقراء العام - من طرء التطرف إلى الفكر والسلوك البشري، ولكن إذا توفرت له المعالجة الناجعة كما هو حال المعالجات النبوية الشريفة؛ فإنَّه يتوقف عند حدود الفكرة، ثم يحصل التراجع عنها، وإذا كانت المعالجات ضعيفة أو غير موجودة؛ فإنَّها تتطور إلى حد الانتشار.

ثالثاً: وجود تطبيقات غير سليمة للفكر والسلوك في عهد النبي في فائدة عظيمة، أهمُّها صدور تلك المعالجات النبوية الشريفة التي منعت استمرارها، وهي معالجات ينبغي على كل مُربٍ ومفكِّر مسلم أن يحيط بها، ومن ثم يستعين بها في معالجة ما يواجهه من حالات تطرف تُعرض له.

رابعاً: وجود الإيمان القوي والقناعة التامة بكمال التشريع ووفائه بكل ما يصلح حال الإنسان؛ كفيل بتحجيم التطرف فكرةً كان أم تطبيقاً أولياً، وبعد ذلك التراجع عنها. ولكن الإشكالية تبقى موجودة مع ضعف الإيمان وضعف القناعة بالمعالجات الشرعية، وهو ما أدى إلى شيوع البدع والانحرافات فيما بعد.

خامساً: المعالجات تتطلب تضافر الجهود، ويظهر ذلك من مبادرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لإخبار النبي ﷺ بما سمعنَ ورأينَ، وكذا تصرف سلمان الفارسي وعمرو بن

العاشر رضي الله عنهمَا، وبهذا يكون المجتمع بكافة أفراده متعاوناً على الاستقامة، ورافضاً للتطرس بكافة أطيافه.

**سادساً:** معرفة دوافع التطرف تعين على تحديد مكان الإشكالية، ومن ثم المعالجة المباشرة لتلك الدوافع.

**سابعاً:** التيسير في الإسلام سمة من سماته، ولكن الأدلة والتطبيقات النبوية الشريفة تدلّ على أنَّه ليس منفتحاً على مصراعيه كما يزَّين بعض الناس لأنفسهم ذلك، بل هو تيسير ضمن حدود الشريعة، ولا يخرج بحال من الأحوال إلى الحرام، إلَّا في حالات الضرورة التي تقدر بقدرها، وينتهي بانتهاء الضرورة.

وإذا ما كان من توصية؛ فيظهر لي أنَّ معالجات التطرف في السنة باب واسع، له جوانب عدَة، وما هذا البحث إلَّا بعض جوانبه، وبعْنَان للباحثين النظر في الجوانب الأخرى، أو أحد الموضوع وفق دراسة موضوعية: كمعالجة التَّطرف في أركان الإسلام، ومعالجة التطرف في الإيمان بالله، ومعالجة التطرف في مقام الْبُرُّوة، ومعالجة التطرف في الأموال، فالذِي بدا لي -والله أعلم- أنَّ هذه الموضوعات يمكن أن تُبحَث، وفي السنة مادة ثرية لها، والله أعلم.

تہذیب:

الباحث مدعوم من قبل عمادة البحث العلمي بجامعة الأمير سلطام بن عبد العزيز،  
رقم ٩٤/٢٠٠٩٤/٢٠٢٢.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١. الإبانة الكبرى، لابن بطة علي بن إسماعيل، تحقيق فوقيه محمود، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧ هـ.
٢. الأحكام الوسطى، لابن الحراط، عبد الحق بن عبد الرحمن، تحقيق حمدي السلفي وصحيي السامرائي، مكتبة الرشد، ١٤١٦ هـ.
٣. أخبار مكة، للأزرقي محمد بن عبد الله، تحقيق رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت.
٤. الإخنائية (الرد على الإخنائي)، لابن تيمية أحمد بن عبد الخليم، تحقيق أحمد العزني، ط١، دار الحرث، جدة، ١٤٢٠ هـ.
٥. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للقسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر، ط٧، مصر - المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣ هـ.
٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمرى القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوى، ط١، بيروت - دار الجليل، ١٤١٢ هـ.
٧. الإصابة، لابن حجر أحمد بن علي، تحقيق عادل معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٨. الأفراد، للدرقطني علي بن عمر، عنابة حابر السريع، ط١، الرياض، ١٤٢٩ هـ.
٩. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية أحمد بن عبد الخليم، تحقيق ناصر العقل، ط٧، دار عالم الكتب، لبنان، ١٤١٩ هـ.

١٠. إكمال المعلم بفوائد مسلم: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط١، مصر، دار الرفقاء، ١٤١٩ هـ.
١١. الأimalي، ابن بشران عبد الملك بن محمد، عنابة عادل العزاوي، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨ هـ.
١٢. الإيمان، ابن منه محمد بن إسحاق، تحقيق علي الفقيهي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
١٣. البحر الزخار: البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.
١٤. البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد، تحقيق وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
١٥. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: للإمام الحارث بن أبيأسامة، المنتقي: نور الدين علي بن سليمان بن أبي بكر الهيشمي، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، ط١، المدينة المنورة - مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ١٤١٣ هـ.
١٦. تاج العروس، للزبيدي محمد مرتضى، تحقيق مجموعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ.
١٧. تاريخ ابن معين يحيى بن معين، تحقيق أحمد سيف، دار المأمون للتراث، دمشق.
١٨. تاريخ الرسل والملوك، للطبرى محمد بن جرير، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٧٨ هـ.
١٩. التاريخ الكبير، للبخاري محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد الدباسى، ط١، الناشر المتميز، الرياض، ١٤٤٠ هـ.

٢٠. تحرير أحاديث إحياء علوم الدين (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار)، للعرaci عبد الرحيم بن الحسين، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦ هـ.
٢١. الترغيب والترهيب، لققام السنة إسماعيل بن محمد، تحقيق أimen شعبان، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤ هـ.
٢٢. تعظيم قدر الصلاة: المروزي، محمد بن نصر، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط١، المدينة المنورة -مكتبة الدار، ١٤٠٦ هـ.
٢٣. التعين في شرح الأربعين، للطوفي سليمان بن عبد القوي، تحقيق أحمد عثمان، ط١، مؤسسة الريان بلبنان، والمكتبة المكية بمكة المكرمة، ١٤١٩ هـ.
٢٤. تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للطبرى محمد بن حرير، تحقيق عبد الله التركى، ط١، دار هجر، ١٤٢٢ هـ التمهيد، لابن عبد البر
٢٥. تقریب التهذیب: ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، ط١، سوريا، دار الرشيد، ١٤٠٦ هـ.
٢٦. تهذیب الآثار (مسند عمر)، للطبرى محمد بن حرير، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدى، القاهرة.
٢٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، ط١، بيروت -دار ابن كثیر، ١٤٢٩ هـ.
٢٨. جامع المسانيد والسنن، لابن كثیر إسماعيل بن عمر، تحقيق عبد الملك الدهيش، ط٢، دار خضر للطباعة بيروت، ١٤١٩ هـ.

٢٩. الجامع، لمعمر بن راشد - مع مصنف عبد الرزاق -، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٣٠. الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن الرازي، ط١، الهند - طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٢٧١ هـ.
٣١. جزء الألف دينار، للقطيعي أحمد بن جعفر، تحقيق بدر البدر، ط١، دار النفائس، الكويت، ١٤١٤ هـ.
٣٢. الجمع بين الصحيحين، للحميدي محمد بن فتوح، تحقيق علي الباب، ط٢، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
٣٣. حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم عبد الرحمن بن محمد، ط٣، ١٤٠٨ هـ.
٣٤. الحجة في بيان المحجّة، لقوّام السنة إسماعيل بن محمد الاصبهاني، تحقيق محمد المدخلبي، ط٢، دار الرأي، الرياض، ١٤١٩ هـ.
٣٥. حدائق الروح والريحان، للهوري محمد الأمين، عنابة هاشم مهدي، ط١، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢١ هـ.
٣٦. الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأنزاوط، ط١، دمشق - دار المأمون، - دمشق، ١٩٩٠ م.
٣٧. حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبد الله، مطبعة السعادة، مصر.
٣٨. الخوارج نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، للصلابي علي بن محمد، دار المعرفة، بيروت.

٣٩. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد سالم، ط٢، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١ هـ.
٤٠. دروس الشيخ عبد العزيز بن بارز (المكتبة الشاملة).
٤١. دلائل النبوة، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق عبد المعطي قلعي، ط١، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ.
٤٢. ذم النمية، لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق بشير عيون، ط١، مكتبة دار البيان، دمشق ومكتبة المؤيد بالرياض، ١٤١٣ هـ.
٤٣. رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، للمعلمي عبد الرحمن بن يحيى، تحقيق عثمان علي، ط١، دار عالم الفوائد، ١٤٣٤ هـ.
٤٤. الزهد، لابن المبارك عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر محمد الرعبي بالاتفاق مع مجلس إحياء المعرفة بالمند.
٤٥. السراج المنير، للعزيزى علي بن أحمد. ط١، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، ١٣٠٤ هـ.
٤٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: الألباني، محمد ناصر الدين، ط١، الرياض، مكتبة المعرفة للنشر والتوزيع.
٤٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ط١، الرياض - دار المعرفة، ١٤١٢ هـ.
٤٨. السنة: ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الصحاح بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، بيروت - المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ هـ.

٤٩. السنة، لابن أبي عاصم أحمد بن عمرو، تحقيق محمد الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ.
٥٠. السنة، للمرزوقي محمد بن نصر، تحقيق سالم السلفي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
٥١. السنن الكبرى، للنسائي أَحْمَدُ بْنُ شَعِيبٍ، تَحْقِيقُ حَسْنٍ شَلْبِي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ.
٥٢. السنن المأثورة، للشافعي محمد بن إدريس، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
٥٣. السنن، لابن ماجه محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية وفيصل البابي الحلي.
٥٤. السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ.
٥٥. السنن، للترمذمي محمد بن عيسى، تحقيق بشار معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦ م.
٥٦. السنن، للدارقطني علي بن عمر، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٤٢٤ هـ.
٥٧. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان البستي محمد، عناية عزيز بك وآخرون، ط٣، الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٧ هـ.
٥٨. السيرة النبوية: لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الروّف سعد، طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٥٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي هبة الله بن الحسن، تحقيق أحمد الغامدي، ط٨، دار طيبة، السعودية، ١٤٢٣ هـ.
٦٠. شرح الأربعين النووية، للشيخ ابن عثيمين محمد بن صالح، دار الشريان للنشر.
٦١. شرح السنة، للبغوي الحسين بن مسعود، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامية، دمشق وبيروت، ١٤٠٣ هـ.
٦٢. شرح الطيبي على مشكاة المصايب، للحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧ هـ.
٦٣. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز محمد بن علاء الدين، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد الله التركي، ط١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧ هـ.
٦٤. شرح صحيح البخاري، لابن بطال علي بن خلف، تحقيق ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣ هـ.
٦٥. شرح مشكل الآثار، للطحاوي أحمد بن محمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٦٦. الشريعة، للأجري محمد بن الحسين، تحقيق عبد الله الدميرجي، ط٢، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
٦٧. شعب الإيمان، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق محمد زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢١ هـ.
٦٨. صحيح ابن حبان (التقسيم والأنواع)، لمحمد بن حبان البستي، تحقيق محمد سونمز وخالص دمير، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٣ هـ.
٦٩. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٧٠. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، عناية زهير الناصر، ط ١، دار طوق النجاة، حلب، هـ ١٤٢٢.
٧١. صحيح مسلم بن الحجاج النسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، هـ ١٣٧٤.
٧٢. الصمت، لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، تحقيق أبو إسحاق الحويني، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، هـ ١٤١٠.
٧٣. الضعفاء الكبير، للعقيلي محمد بن عمرو، تحقيق عبد المعطي قلعي، ط ١، دار المكتبة العلمية، بيروت، هـ ١٤٠٤.
٧٤. الطبقات الكبرى، لابن سعد محمد بن سعد بن منيع، تحقيق إحسان عباس، ط ١، دار صادر، بيروت، م ١٩٦٨.
٧٥. طرح التشريب في شرح التقريب: العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم، الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدّة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).
٧٦. العلل الكبير (ترتيب علل الترمذى الكبير)، للترمذى تحقيق صبحي السامائى وآخرون، ط ١، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، هـ ١٤٠٩.
٧٧. العلل المتناهية، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، ط ٢، إدارة العلوم الأثرية، باكستان، ١٤٠١ هـ.
٧٨. العلل، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد، تحقيق سعد الحميد وآخرون، ط ١، مطبع الحميضي، هـ ١٤٢٧.
٧٩. عمدة القاري، للعيني محمود بن أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٠. فتح الباري: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
٨١. فتح الباري: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنفي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط١، المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ.
٨٢. فتح القريب المحيب، للفيومي حسن بن علي، تحقيق محمد آل إبراهيم، ط١، مكتبة دار السلام بالرياض، ١٤٣٩هـ.
٨٣. الفوائد المنتقة عن الشيوخ، للحربي علي بن عمر، تحقيق تيسير أبو حميد، ط١، مؤسسة الوطن، السعودية، ١٤٢٠هـ.
٨٤. الفوائد: أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله، تحقيق: حمدي السلفي، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٢هـ.
٨٥. فيض القدير، للمناوي عبد الرؤوف بن علي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
٨٦. القضاء والقدر، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق محمد آل عامر، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١هـ.
٨٧. الكامل في ضعفاء الرجال، لأبن عدي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معرض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
٨٨. كشف الأستار عن زوائد البزار: الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ.
٨٩. لسان العرب، لأبن منظور محمد بن مكرم، عناية اليازجي وجماعة من اللغويين، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٩٠. مجمع الزوائد، للهيثمي علي بن أبي بكر، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ.
٩١. المخلصيات، محمد بن عبد الرحمن المخلص، تحقيق تبيل جرار، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ١٤٢٩ هـ.
٩٢. مدارج السالكين، لابن القيم محمد بن أبي بكر، ط٢، دار عطاءات العلم بالرياض ودار ابن حزم بيروت، ١٤٤١ هـ.
٩٣. مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح: القاري، علي بن سلطان الملا، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢ هـ.
٩٤. المستخرج، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق، محقق في رسائل جامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٣٥ - ١٤٣٨ هـ.
٩٥. المستدرك على الصحيحين، للحاكم محمد بن عبد الله، تحقيق مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.
٩٦. المسند (البحر الزخار)، للبزار أحمد بن عمرو، تحقيق محفوظ زين الله وصيري الشافعي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٨٨ - ٢٠٠٩ م.
٩٧. المسند (سنن الدارمي)، للدارمي عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق حسين أسد، ط١، دار المغني للنشر، السعودية، ١٤١٢ هـ.
٩٨. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: محمد بن عبد الحسن التركي، ط١، مصر، دار هجر، ١٤١٩ هـ.
٩٩. مسند الحارث (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث)، انتقاء نور الدين الهيثمي، تحقيق حسين الباكري، ط١، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، ١٤١٣ هـ.

- ١٠٠ . مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي المكي، تحقيق: حسن سليم أسد الداراني، ط١ ، دمشق، دار السقا ١٩٩٦ م.
- ١٠١ . مسند الشاميين، للطبراني سليمان بن أحمد، تحقيق حمدي السلفي، ط١ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ١٠٢ . المسند، لأبي يعلى أحمد بن علي، تحقيق حسين أسد، ط١ ، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤ هـ.
- ١٠٣ . المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط١ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ.
- ٤ . المسند، للحميدي عبد الله بن الزبير، تحقيق حسين أسد، ط١ ، دار السقيا، دمشق، ١٩٩٦ م.
- ١٠٥ . المسند، للروياني محمد بن هارون، تحقيق أيمان يماني، ط١ ، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٤١٦ هـ.
- ٦ . المسند، للشاشي الهيثم بن كليب، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، ط١ ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٠ هـ.
- ٧ . المسند، للطیالسی سليمان بن داود، تحقيق محمد التركی، ط١ ، دار هجر، مصر، ١٤١٩ هـ.
- ٨ . مصابيح السنة، للبغوي الحسين بن مسعود، تحقيق يوسف المرعشلي وآخرون، ط١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ١٤٠٧ هـ.
- ٩ . مصباح الزجاجة، للبصیري أحمد بن أبي بكر، تحقيق محمد الكشناوي، ط٢ ، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١١٠. المصنف، لابن أبي شيبة عبد الله بن محمد، تحقيق سعد الشثري، ط١، دار  
كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٣٦ هـ.
١١١. المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصناعي، تحقيق دار التأصيل، ط٢، ١٤٣٧  
هـ.
١١٢. المعجم الأوسط، للطبراني سليمان بن أحمد، تحقيق طار محمد وعبد المحسن  
الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.
١١٣. معجم الصحابة، لابن قانع عبد الباقي البغدادي، تحقيق صلاح المصراوي،  
ط١، كتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨ هـ.
١١٤. المعجم الكبير، للطبراني سليمان بن أحمد، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، مكتبة  
ابن تيمية، القاهرة.
١١٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار وآخرون، ط١، عالم الكتب، بيروت،  
١٤٢٩ هـ.
١١٦. المعجم، لابن الأعرابي أحمد بن محمد، تحقيق عبد المحسن الحسيني، ط١، دار  
ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٨ هـ.
١١٧. معرفة السنن والآثار، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق عبد المعطي قلعي،  
مصور عن جامعة الدراسات الإسلامية بکراتشي – باكستان، نشر دار الوفاء،  
القاهرة، ١٤١٢ هـ.
١١٨. معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق عادل العزاوي،  
ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩ هـ.

- ١١٩ . المفاتيح في شرح المصاييف، للمظهري الحسين بن محمد، تحقيق لجنة بإشراف نورالدين طالب، ط ١، دار النوادر، ١٤٣٣ هـ (من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية).
- ١٢٠ . المفردات، للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، تحقيق صفوان الداودي، ط ١، دار القلم والدرر الشامية، دمشق وبيروت، ١٤١٢ هـ.
- ١٢١ . مقاييس اللغة، لابن فارس أحمد، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- ١٢٢ . منهاج السنة النبوية، لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد سالم، ط ١، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦ هـ.
- ١٢٣ . الموسوعة الفقهية الكويتية، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٢٧ - ١٤٠٤ هـ.
- ١٢٤ . الموطأ: للإمام مالك بن أنس، صصحه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦ هـ.
- ١٢٥ . النكت والعيون، للماوردي علي بن محمد، تحقيق السيد عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت
- ١٢٦ . النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير المبارك بن محمد، تحقيق طاهر الزاوي ومحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ.



## فهرس الموضوعات

الصفحة	الباحث	الموضوع
٧		<b>قواعد النشر</b>
٩		<b>مقدمة العدد</b>
١١	د. أمل بنت محمد العجلان	١/ العزة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى
٧٩	د. عبد العزيز بن محمد الحمدان	٢/ مسؤولية الدعاة في المملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا
١٤١	د. مسعود بن بشير المحمدي	٣/ المسائل والدروس الدعوية المستفادة من حديث حنظلة ﷺ
٣٠٩	د. سليم بن حاضر العتيبي	٤/ المسؤولية الدعوية تجاه تحقيق التنمية المستدامة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)
٢٨٧	د. حسن بن يحيى ظافر الشهري	٥/ معالم الحسبة في قصص موسى التلبيلا في القرآن الكريم دراسة نظرية
٣٢٧	د. سعد بن عبيد الرفدي	٦/ معالجات التطرف في السنة النبوية
٤٠٢		<b>فهرس الموضوعات</b>